تذكرة أولي البصائر

في معرفة الكبائر

تأليف

عبد الرحمن بن علي بن عبد الله

الحافظ المفسر الفقيه الواعظ الأديب

(المعروف بابن الجوزي)

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

قدم له ونظر في التحقيق

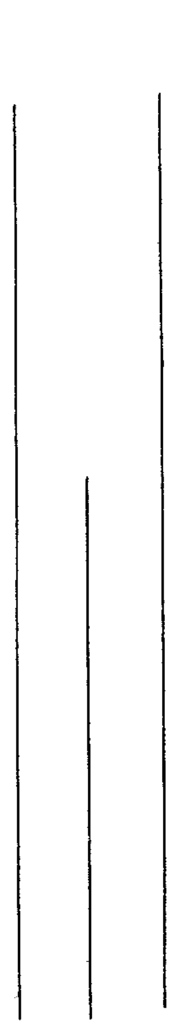
عبد القادر الأرناؤوط

حققه وعلق عليه

طالب عواد

دار ابن كثير

دمشق - بيروت



تذكرة أولي البصائر

في معرفة الكبائر



الطبعة الثانية

1429 هـ ـ 2008 م



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-12-4

الموضوع : وعظ

العنوان : تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر

التأليف : ابن الجوزي

المحقق : طالب عواد

الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 400

القياس : 17×24

التجليد : فني

الوزن : 760 غ

التنفيذ الطباعي : دار القماطي للطباعة - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد - بيروت



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520124

تذكرة أولي البصائر
في معرفة الكبائر

تأليف

عبد الرحمن بن علي بن عبد الله

الحافظ المفسر الفقيه الواعظ الأديب

(المعروف بابن الجوزي)

(٥١٠ - ٥٩٧هـ)

قدم له فضيلة المحدث المحقق

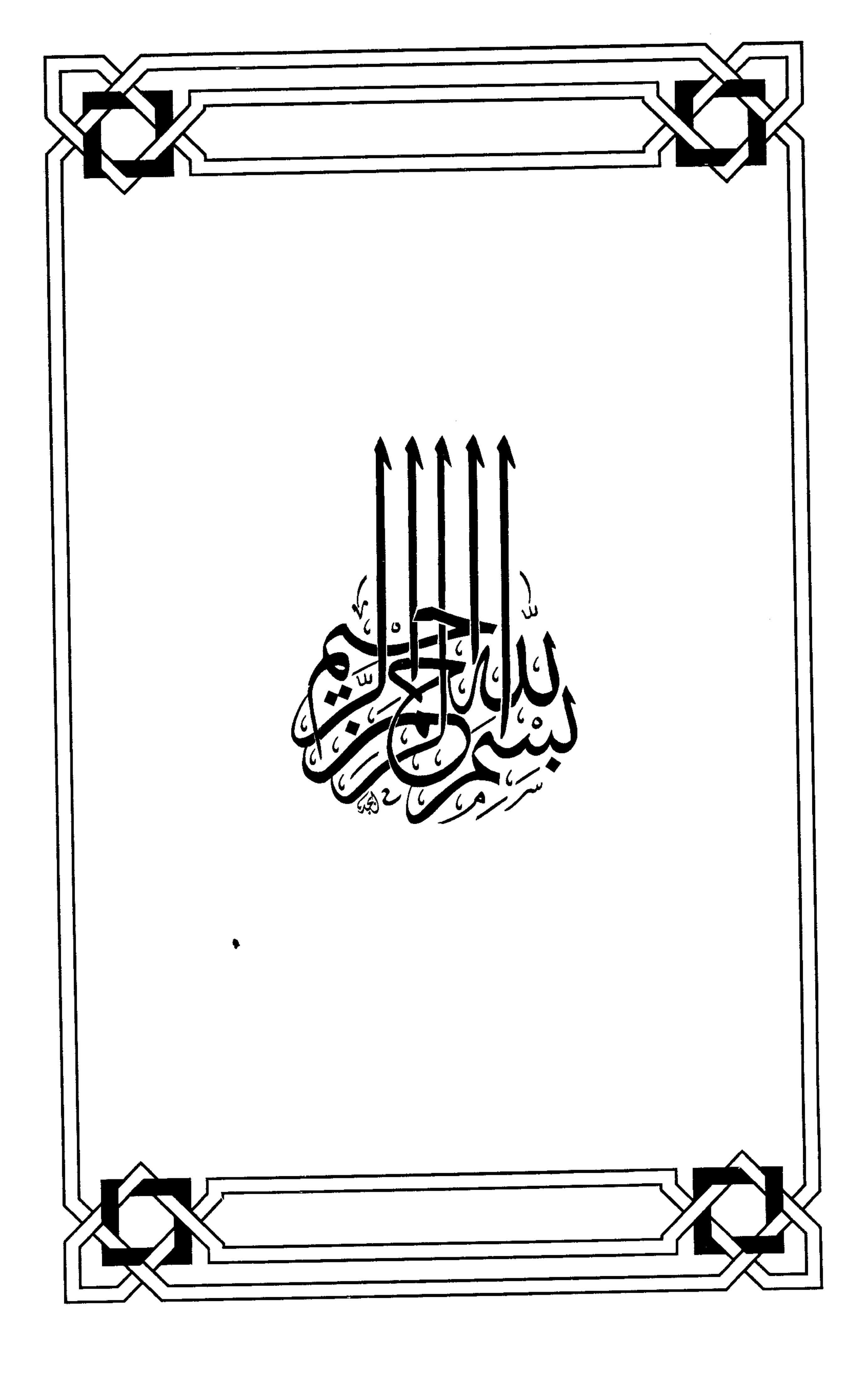
عبد القادر الأرناؤوط

حققه وعلق عليه

طالب عواد



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مختصرة

بقلم العبد الفقير إلى الله تعالى العلي القدير

(عبد القادر الأرناؤوط)



إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فهذا كتاب (تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر) للإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي الواعظ المتوفى سنة (٥٩٧) هـ رحمه الله .

يطبع لأول مرة عن نسخة خطية اعتمدها الأخ في الله الشيخ طالب عواد . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب ، ورجع في نقول المؤلف إلى أصولها ، وحقق نصوصه ، وخرَّج أحاديثه معتمداً في ذلك على ما قاله علماء الحديث المحققين حول هذه النصوص ، والحكم عليها ، وأحالها إلى مظانها من كتب السنة المعتمدة تسهيلاً لطلاب العلم . وترجم لبعض الأعلام الواردة في هذا الكتاب ، وشرح بعض الألفاظ الغريبة ، كما ترجم للمؤلف ترجمة موجزة وصنع فهارس لأحاديث

الكتاب ، وفهرساً للموضوعات ، فجزاه الله خيراً وشكر مسعاه .

نسأل الله تعالى أن يتولانا وإياه بعنايته إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق - يوم الإثنين : ١٧ رجب ١٤٢٣ هـ
٢٣ إيلـول ٢٠٠٢ م

عبد القـادر الأرنـاؤوط

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف[1]

هو الإمام العلامة عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله المنتهى نسبه إلى أبي بكر الصديق - المعروف بابن الجوزي.

وقال الذهبي: عُرف جدّهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة غيرها.

ولد ببغداد بدرب حبيب، واختلف المؤرخون في سنة مولده: فقيل: إنه ولد سنة ثمان وخمسمائة أو سنة عشر وخمسمائة وقيل غير ذلك.

إلا أنَّ أغلب المؤرخين رجّحوا ولادته سنة عشر وخمسمائة بناء على ما ذكره سبطه.

نشأ ابن الجوزي يتيماً، على العفاف والصلاح. فقد توفي والده وله من العمر نحو ثلاث سنين، وأهملته أمه. وقد أسعفته العناية الإلهية فهيأت له عمته، وكانت امرأة صالحة، اهتمت بتربيته منذ الطفولة، حيث كانت تأخذه إلى الشيوخ لتُسمعه الحديث. فأخذته إلى محمد بن ناصر، فاعتنى به، وأسمعه الحديث.

---

(١) مصادر الترجمة لهذا العلَم: مرآة الزمان/ ٨/ ٤٨١) والكامل لابن الأثير ١٢/ ١٧) والذيل على الروضتين لأبي شامه ص (٢١) والعبر ٤/ ٢٩٧) وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢) وابن كثير في البداية والنهاية (١٣/ ٢٨) ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٧) وفي الأعلام ٤/ ٨٩ و٩٠) وابن الوردي ٢/ ١١٨) وغيرهم.

وقد ذكر لنا كلٌّ من اعتنى بترجمته أنه لم يكن في زمن الصبا يألفُ الصبيان أو يلعب معهم ، وقد حدَّث هو عن نفسه في رسالة كتبها لولده قال فيها : فإني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ابن ست سنين . وأنا قرين الصبيان الكبار ، قد رُزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ .

يقول في «لفتة الكبد» ولقد رفق بي شيخنا أبو الفضل بن ناصر رحمه الله ، وكان يحملني إلى الشيوخ ، فأسمعني «المسند» وغيره من الكتب الكبار وأنا لا أعلم ما يراد مني فنلتُ به معرفة الحديث والنقل»[1] .

لقد جد فحصَّل فكانت ثمار تحصيله التزاماً بالخلق والعفة والحياء . وقاه الانحراف وحماه من الإنحلال بل حفظه مما يخدش براءة المؤمن ويجرحُ كرامة الرجال ، ومن الصفات البارزة التي اتصف بها هذا الإمام : انكبابه على العلم وجده في تحصيله يقول :

اللهَ أسألُ أن يطوِّلَ مُدَّتي ... لإنالَ بالإنعام ما في نيتي
لي همةٌ في العلم ما إن مثلُها ... وهي التي جنتِ النُحول هي التي
خُلقتْ من العِلق العظيم إلى المنى ... دُعيتْ إلى نيل الكمال فلبتِّ[2]

وكان رحمه الله يرى أن على الفقيه أن يكون موسوعيَّ المعرفة ، آخذاً من كل علم بطرف ، لأن ثقافته الواسعة هي الوسيلة في الوصول إلى الحقيقة في بحوثه وفتاواه . فالعالم كلما اتسع علمه قل خطؤه[3] .

ومن الصفات المجيدة التي اتصف بها إمامنا : علو الهمة ، وعزة النفس ، وعزوفه عن اللهو ، وعن إضاعة المال والوقت فيما لا يُجدي .

فهو يرى أن من علامة كمال العقل علو الهمة والراضي بالدون دنيء[4] .

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

وكان رحمه الله حريصاً على الوقت ، لأنه قد رأى أن العادات قد غلبت الناس

(١) انظر مشيخة ابن الجوزي ص (٥٣) .
(٢) صيد الخاطر ص (٤٤٠) .
(٣) صيد الخاطر ص ٤٣٨ .
(٤) صيد الخاطر ص (١٥) .

على تضييع الزمان فثار على هذه العادات لأنه لا يحب أن يكون أسيرها فينفق أثمن ما يملكه إنسان.

من أقواله: إن قوماً لم يقنعوا، وطلبوا لذيذ العيش فازدروا بدينهم وذلّوا لغيرهم وخصوصاً أرباب العلم فإنهم ترددوا إلى الأمراء فاستعبدوهم. ورأوا المنكرات فلم يقدروا على إنكارها. وربما مدحوا الظالم اتقاءً لشره. فالذي نالهم من الذل وقلة الدين أضعاف ما نالوا من الدنيا[1].

وكان رحمه الله ميالاً إلى العزلة والبعد عن مخالطة الناس حتى اتهمه البعض بالإنطوائية المريضة، فهو يقول: العزلة عن الخلق سبب طيش العيش. ولابد من مخالطة بمقدار. فدارِ العدو واستحمله فربما كادك فأهلك، وأحسن إلى من أساء إليك، واستعن على أمورك بالكتمان، ولتكن الناس عندك معارف. فأما أصدقاء، فلا، لأن أعز الأشياء وجود صديق.[2]

هذا الإمام وأمثاله جعل الحافظ ابن كثير يقول في البداية والنهاية ١٣/ ٢٨: تفرَّد بفن الوعظ الذي لم يُسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله. وفي خصاصته وبلاغته، ونفوذ وعظه. وغوصه على المعاني البعيدة، وتقريبه الأشياء الغريبه فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة.

مؤلفاته:

يقول الحافظ الذهبي: (ما علمتُ أن أحداً من العلماء صنَّف ما صنَّف هذا الرجل[3]، ويصفه صاحب (البداية والنهاية) بأنه: أحد أفراد العلماء برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، ومجموع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمئة مصنف. وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد. وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في جميع أنواعها. من التفسير والحديث. والتاريخ والحساب والنجوم. والطب والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو. وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها. منها كتابه في التفسير

(١) صيد الخاطر ص (٢٣٠).
(٢) صيد الخاطر ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.
(٣) انظر تذكرة الحفاظ، ترجمة ابن الجوزي رقم (١٠٩٨).

المَشهور بـ «زاد المسير». وله كتاب «المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم» في عشرين مجلداً، ويقول ابن كثير ولم يزل يُؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخاً وقد أورد ابن رجب عن القطيعي في تاريخه، ثبت التصانيف التي كتبها ابن الجوزي بخطه فذكر فيه حوالي (١٩٩) كتاباً[١].

لقد استمر هكذا حتى انطفأت ومضة حياته في الثاني عشر من رمضان ليلة الجمعة سنة سبع وتسعين وخمس مئة وحُملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثير جداً، ودفن بباب حرب بالقرب من قبر الإمام أحمد رحمه الله وقد أوصى أن يُكتب على قبره:

يا كثيرَ العفو عمن ... كثرَ الذنب لديه
جاءك المذنبُ يَرجو ... العفوَ عن جُرم يديه
أنا ضيفٌ وجزاء الضيفِ ... إحسانٌ إليه

* * *

(١) الذيل لابن رجب (١٠/ ٤١٦ و٤٢٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أما بعد :

فهذه مقدمة مختصرة وموجزة بين يدي كتاب «**تذكرة أولي البصائر ، في معرفة الكبائر**» للإمام الحافظ المفسر عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي رحمه الله .

إن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى الناس الرسل والأنبياء ليخرجوا الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، ويحذروهم من ارتكاب الفواحش والمعاصي والخوض في الملذات ، واجتناب الصغائر حتى لا يقعوا في الكبائر ، ومع ذلك ارتكب بعض الناس الكبائر والصغائر فمنهم من أشرك بالله فاتخذ له صاحبة وولداً ، ومنهم من عبد معه غيره من

الأصنام ، ومنهم من ارتكب الكبائر من الزنا وشرب الخمر والتعامل بالربا وقتل الأنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق .

ولذلك أرسل الله الرسل إليهم يدعونهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وختمهم بمحمد ﷺ بشيراً ونذيراً إلى الناس كافة يعرِّفهم بربهم ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، وكان بهم رحيماً ، فلم يدع عليهم كما فعل الأنبياء من قبله لأن الله سبحانه وتعالى وصفه بقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ وظل النبي ﷺ يحذرهم من ارتكاب الكبائر معرِّفاً لهم إياها بقوله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين» كما سيأتي في داخل هذا الكتاب ، وبلَّغ ما أنزل إليه من ربه . قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا تكلَّم مؤلفه عن الكبائر والصغائر وأسهم في شرح بعضها ، مصدّراً كتابه بالتحذير من الشرك الذي هو من أعظم الظلم مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وذكر من الكبائر ما يزيد عن سبعين كبيرة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه «هي إلى السبعين أقرب» وختم كتابه بذكر فضائل الصحابة مجملاً ، ثم أخذ بذكر فضائل العشرة المبشرين بالجنة ، وأسهب في ذكر فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم ، وذكر حكايات تبين حال من أبغض أحداً منهم أو طعن في فضلهم أو ازدرى بهم ، وتكلم في نهاية الكتاب عن التوبة : وحث عليها ، وبين فضائلها مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

عملي في الكتاب :

تصحيح النص ، وقد اعتمدت في ذلك على النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة في مكتبة الكونغرس ، وتقع المخطوطة في ٩٠ ورقة قياس ٣٥ × ٢١ في خط واضح وفيه بعض السقط وقد استدركته ، وقد وقفنا في آخر المخطوطة على القول الآتي : «وافق الفراغ من نسخها نهار الخميس من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعون وتسعمئة .

عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم.

تخريج الأحاديث التي احتوى عليها الكتاب، وهي كثيرة جداً، والتنبيه على صحتها أو ضعفها قدر المستطاع وإحالتها إلى مظانها من كتب السنة المعتمدة وشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من غريب الألفاظ إلى ضبط النص، وتخليصه من السقط والتحريف.

ترجمة وجيزة لبعض أعلام الكتاب.

ومن ثم قمت بصنع فهرس لأطراف الأحاديث الواردة في الكتاب، وآخر للموضوعات.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يكون عملي موصولاً بأعمال العلماء العاملين، وأن يحشرني في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

دمشق في ٢٤/ ٦/ ١٤٢٣
الموافق ١/ ٦/ ٢٠٠٢

وكتبه
أبو عبد الرحمن طالب عواد
غفر الله له ولوالديه

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله بارىء البريَّات ، وغافر الخطيَّات ، وعالم الخفيَّات ، المطَّلع على الضمائر والنيَّات ، وأحاط بكل شيءٍ علماً ، ووسع كلَّ شيءٍ رحمةً وَحِلْماً ، وقهر كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكماً . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيءٍ من علمه ، لا تدركه الأبصار ، ولا تغيره الأعصار ، ولا تتوهَّمُه الأفكار ، وكلُّ شيءً عنده بمقدار . وأشهدُ أن لا إله إلا الله الواحدُ القهَّار ، العزيزُ الغفَّار . وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه المصطفى المختار ، صلَّى اللهُ عليه ، وعلى آله ، وأصحابه صلاةً دائمةً آناء الليل وأطراف النَّهار ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

أمَّا بعد : فقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه الكريم خطاباً لعباده ، وتفهيماً : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] فقد وعد الله من اجتنب كبائر ما نهى اللهُ ورسولُه عنه أن يكفِّر عنه ذنوبه الصغائر ، ويُدخلَه الجنَّة ، فاحتاج العبدُ إلى معرفة الكبائر ليجتهدَ في اجتنابها . فاختلف العلماء فيها ، وفي عددها فقيل :

هي سبعٌ : واحتجُّوا بقول النبيِّ ـ ﷺ ـ : «اجتنبوا السَّبع الموبقات» أي : المهلكات ، فذكر الشِّرك ، والسِّحْرَ ، وقَتْل النَّفس ، وأكلِ مالِ اليتيم ، وأكل الرِّبا ، والتولي يوم الزَّحف ، وقذف المحصنة[1] .

وجاء عن ابن عباسٍ : أنَّه قال : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السَّبع[2] ، وصدق والله ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) ، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . والمحصنة العفيفة ، وقذفها رميها بالزنا .

(٢) أخرجه معمر بن راشد في الجامع برقم (١٩٧٠٢) ، ونسبه الحافظ في الفتح إلى الطبري ، وإسماعيل القاضي موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنه وإسناده صحيح .

والحديث فيما فيه حصر للكبائر ، والذي يتَّجه ويقوم عليه الدليل : أنَّ من ارتكب الكبائر العظائم ممَّا فيه حدٌّ في الدنيا : كالقتل ، والزنى ، والشرك ، والخمر ، والزُّور ، واللواطة وغيرها ، لأن بعض الكبائر أكبر من بعضٍ ،

ألا ترى : أنَّه ﷺ عدَّ الشِّرْك من الكبائر مع أن مرتكبه مخلَّدٌ في النار ، ولا يُغفر له أبداً .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وقال النبيُّ ﷺ : «ألا أُنبئكم بأكبرِ الكبائر ـ قالها ثلاثاً ـ قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس فقال ـ : ألا وقول الزُّور ، ألا وشهادة الزُّور فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت» متفق عليه[1] .

فبيَّن ﷺ : أنَّ قول الزُّور من أكبر الكبائر ، وليس له ذكرٌ في السبع الموبقات .

وها نحن نبين ما يسَّره الله منها على نحوٍ ممَّا قاله ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ لأنَّه ربانيُّ[2] هذه الأمة ، ودعا النبيُّ ﷺ له فقال : «اللهم فقِّهْهُ في الدين ، وعلِّمهُ التأويل»[3] رضي الله عنه .

ونذكر في بعضها فصولاً تليق بها إن شاء الله ـ تعالى ـ والله المستعان ، ولا حول ، ولا قوَّة إلا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٥٤) ومسلم رقم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢) رباني ـ عالم معلِّم ـ فقيه في الدين .

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أتى الخلاء فوضعتُ له وَضُوءاً ، فلما خرج قال : «مَن وضع هذا» قلتُ : ابن عباس فقال (اللهم فقهه في الدين) ومسلم رقم (٢٤٤٧) بلفظ (اللهم فقهه) ورواه أحمد في المسند رقم (٢٣٩٧) و(٢٨٧٩) بلفظ المؤلف رحمه الله .



هذا الكتاب تاليف ابن جوزي

الصفحة الأولى من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بارئ البريات وغافر الخطيات وعالم الخفيات
المطلع على الضماير والنيات احاط بكل شئ علما ووسع
كل شئ رحمة وحلما وقهر كل مخلوق عزة وحكما يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه لا
تدركه الابصار ولا تغيره الاعصار ولا تتوهمه الافكار
وكل شئ عنده بمقدار واشهد ان لا اله الا الله الواحد
القهار العزيز الغفار واشهد ان محمدا عبده ورسوله
المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى اله واصحابه صلوة
دايمة اناء الليل واطراف النهار وسلم تسليما كثيرا
اما بعد فقد [illegible]
خطابا لعباده وتفهيما ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما فقد
وعد الله من اجتنب كباير ما نهى الله ورسوله عنه
ان يكفر عنه ذنوبه الصغاير وندخله الجنة فاحتاج
العبد الى معرفة الكباير ليجتهد في اجتنابها
ثم اختلف العلما فيها وفي عددها فقيل هي سبع واحتجوا

الصفحة الثانية من المخطوط

يبيع الجنة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع
طوبى بويل وقد اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل
شيا فلما اعطاه الثمن قال للوزان زن وارجح ونظر الفضيل
بن عياض يوما الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يبيعه ويزيل
عنه الوسخ ليلا يزيد وزنه بسبب الوسخ فقال له يا بني
فعلك هذا افضل من عشر بن حجة فينبغي للخايف من عذاب
الله عز وجل ان ياخذ حذره من الشيطان ان يزين له
المعصية ويامره ان يكيل ناقصا او يزن ناقصا او يذرع
ناقصا فيستحق الويل من الله نعوذ بالله منه وهو شدة العذاب
فما اخسر من باع حظه من الله الجنة واشترى الويل بالجنة
وينبغي له ايضا ان يعتبر صحة ميزانه وسنجه بعد كل مدة
ليلا يكون حدث فيه عيب وهو لا يشعر فيدخل عليه الحرام
وهو لا يشعر وقد ذكر عن بعضهم انه قال حضرت الى صاحب
لي وهو في حالة النزع فجعلت الفنه الشهادة وهو لا ينطق
بها ثم افاق فقلت له ما لي اذكرك بالشهادة ولا تنطق بها
فقال لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها فقلت له
اكنت تزن ناقصا قال لا والله ولكني كنت اقف مدة لا اعتبر

الصفحة الوسطى من المخطوط



او ألقى السمع وهو شهيد واراد الله به [illegible]

ومذهبه فلا ينتفع بمجلدات ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب

الأليم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا

تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ربنا ظلمنا

أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والحمد لله

رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

[illegible] إلى يوم الدين ورضي الله عن

أصحاب [illegible] أجمعين اللهم أحينا على حبهم

وأعذنا اللهم يا مولانا من بغضهم وسبهم

ولا تجعل لأحد منهم في أعناقنا

ظلامة واجعلهم [illegible] لنا

إليك يوم القيمة

برحمتك يا أرحم

الراحمين

ووقع الفراغ من تحريره نهار الخميس شهر ربيع الآخر سنة [illegible] وسبعين وتسعمائة على يد

وارحمنا واعفنا [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوط

الكبيرة الأولى

الشِّرك بالله عزَّوجلَّ

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢]. فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً، فهو من أصحاب النار قطعاً، وإن عمل ما عمل من الحسنات. قال الله تعالى إخباراً عن المشركين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ثم إنه لمباح الدَّم، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]. وقال النبي ـ ﷺ ـ: «من بدَّل دينه فاقتلوه»[1]، وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله... الحديث»[2]. وقال: «اجتنبوا السَّبع الموبقات...» فذكر منها الشِّرك[3].

فصل

الشرك: هو أن تجعل لله نِدّاً، أو تعبد معه غيره من حجرٍ، أو بشرٍ، أو شمسٍ، أو قمرٍ، أو نبيٍّ، أو جنيٍّ، أو نجمٍ، أو ملكٍ، أو شيخٍ أو غير ذلك.

وقد يقع في ذلك بعض الجهَّال المنتسبين إلى دين الإسلام في أمورٍ تقع منهم عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه ص (١٤).

(٣) تقدم تخريجه ص (١٤).

جهلٍ ، فمن ذلك: المنتسبون إلى المشايخ كالشيخ أحمد ابن الرِّفاعي[١] ، أو الشيخ يونس[٢] ، والشيخ عدي[٣] ، أو غيرهم متولهون بذكرهم ، ومحبتهم من دون الله ، منعكفين على قبورهم يُقبِّلونها ، ويسجدون لها ، ويستغيثون بهم ، ويطلبون منهم المغفرة وقضاء الحوائج. وهذا أصلُ عبادةِ الأوثان ، وهذا نوعٌ من الإشراك بالله ، فإن اللاّت والعُزَّى التي كان يعبدها المشركون. . . .

وقرأ ابن عباسٍ ، ومجاهد ، وأبو صالح: (أفرأيتم اللَّات. . .) بتشديد ، وقالوا: كان رجلاً صالحاً يَلُتُّ السَّويق للحاجِّ ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه[٤].

وأمَّا العُزَّى؛ قال مجاهد: هي شجرة كانوا يعبدونها ، فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ خالد بن الوليد ، فقطعها[٥].

وذكر العلماء أيضاً: أن «وُدًّا» و«سُواع» و«يغوثَ» و«يعوقَ» و «نسراً» أسماءُ قومٍ

---

(١) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني ، أبوالعباس الإمام الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية ، ولد في قرية حُسن (من أعمال واسط بالعراق) وتفقه وتأدب في واسط ، وتصوف ، فانضم إليه خلق كثير من الفقراء ، كان لهم به اعتقاد كبير ، يُنسب إليه شعر منه الأبيات الرقيقة التي أولها (إذا جنَّ ليلى هام قلبي بذكرِهم أنوح كما ناح الحمام المُطَّوق) توفي رحمه الله سنة (٥٨٧ هـ) ولم يخلف عقباً.

(٢) الشيخ يونس ـ هو يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي شيح الطائفة اليونسية المنسوبة إليه توفي رحمه الله سنة (٦١٩) هـ.

(٣) الشيخ عدي ، هو عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري شرف الدين أبو الفضائل من شيوخ المتصوفة تنسب إليه الطائفة العدوية توفي رحمه الله سنة (٦١٩) هـ. في جبل الهكارية (من أعمال الموصل) انتشرت طريقته في أهل السواد والجبال ، وغالى أتباعه (العدوية) في اعتقادهم فيه وأحرق قبره سنة (٨١٧) هـ فاجتمع العدوية عليه. واتخذوه قبلة لهم ـ انظر ترجمته في الأعلام ، ووفيات الأعيان ـ وجامع كرامات الأولياء.

(٤) رواه البخاري رقم (٤٨٥٩) في التفسير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ (كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج) وقال الحافظ في الفتح ، وأخرج بن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ولفظه في زيادة «كان يلتُّ السويق على الحجر ، فلا يشرب منه أحد الاسمن فعبدوه».

(٥) رواه أبو يعلى رقم (٩٠٢) من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وذكره ابن كثير في التفسير من سورة النجم ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٦) وقال رواه الطبراني ، وفيه يحيى بن المنذر ضعيف ، وفاته أن ينسبه إلى أبي يعلى في مسنده.

صالحين، كانوا بين آدم ونوح ـ عليهما السَّلام[1] ـ.

فروى محمد بن جرير بإسناده إلى الثَّوريِّ عن موسى عن محمد بن قيس عن قول نوحٍ ـ عليه السلام ـ ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ـ عليهماالسَّلام ـ وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلمَّا ماتوا؛ قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون؛ دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم[2].

قال قتادة[3]: كانت هذه الآلهة التي يعبدها قوم نوح، ثمَّ اتخذها العرب بعدهم. فظهر لهذا: أن أصل عبادة الأوثان والأصنام من تعظيم قبور الأولياء والصالحين، ولهذا نهى الشارع ـ ﷺ ـ عن تعظيم القبور، والصلاة عندها، والعكوف عليها؛ فإنَّ ذلك هو الذي أوقع الأمم الماضية بالشِّرك الأكبر.

ولهذا نجد أيضاً في هذاالزمان أقواماً من الضُّلّال، الذين استحوذ عليهم الشيطان يتضرعون عند القبور، وعند سماع ذكر مشايخهم، ويخشعون عندها، ويعبدونهم بقلوبهم عبادةً لا يفعلونها في المسجد، ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد للقبر، فهذا هو الشرك بالله، نعوذ بالله منه.

والنبيُّ ـ ﷺ ـ قد صحَّ عنه: أنَّه قال: «اللَّهم لا تجعل قبري وثناً[4] يُعبد في

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٢٠) بلفظ وقال: عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ. أما وَدٌّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهُذَيل، وأما يَغوث فكانت لمراد، ثم لبنى غطيف، بالجُرف عند سبأ، وأما يَعوق فكانت لهَمْدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكَلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير رقم (٢٧١٥٤) من كلام محمد بن قيس رحمه الله موقوفاً عليه وفي اسناده موسى بن كردم قال الأزدي: ليس بذاك، وقال ابن حجر في التقريب: مجهول.

(٣) قتادة: هو ابن دعامة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع توفي رحمه الله (١١٧) هـ.

(٤) الوثن: قال ابن عبد البر الصنم ـ يقول لا تجعل قبري صنماً يُصلَّى ويسجد نحوه.

الأرض ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1] يحذر أمته من ذلك .

فإذا كان الوعيد الشديد لمن يسجد لقبره ؛ فما الظنُّ بغيره من هؤلاء المشايخ .

والنبيُّ ـ ﷺ ـ قد نهى عن الصلاة عند القبور مطلقاً ، فقال ﷺ : «لا تجلسوا على القبورِ ، ولا تُصلُّوا إليها»[2] . ومن ذلك الاستغاثة بهم في قضاء حوائجهم ، والحلف بهم ، والتواجد عند ذكرهم ، مالا يفعلونها عند ذكر الله ، وسماع آياته . فمن استعان بغير الله أو استغاثه ـ كما يقوله هؤلاء المتولِّهون بالمشايخ : يا سيدي الشيخ فلان ـ فقد أشرك مع الله غيره .

قال الله عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] قوله : «أنداداً» أي : شركاء تستغيثون بهم ، وتعبدونهم من دون الله .

وقال النَّبيُّ ـ ﷺ ـ : «إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله»[3] . فمن سأل غير الله المغفرة ، أو قضاء الحوائجَ أو استعان بغير الله ؛ فقد أشرك مع الله . وكذلك الحلف بغير اسم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كمن يحلف : وحياة الشيخ فلان ، أو : والنبيِّ ، والكعبةِ ، والأمانةِ ، وهي من أشدها نهياً ، فقد سمع ابن عمر رجلاً يحلفُ يقول : لا والكعبةِ ، فقال له ابن عمر : لا تحلف بغير الله ؛ فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «من حلف بغير الله ؛ فقط كفر ، وأشرك»[4] .

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٧٣٥٨) والحميدي رقم (١٠٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .
وروواه مالك في الموطأ مرسلاً من حديث عطاء بن يسار رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال : وذكره وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٥) ورقم (١٧٢١٥) ومسلم رقم (٩٧٢/ ٩٨) في الجنائز من حديث أبي مرثد الغَنوي رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥١٦) وقال حديث حسن صحيح وهو كما قال .

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٦٠٧٢) والترمذي رقم (١٥٣٥) وقال : هذا حديث حسن والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ـ أقول : هو حديث صحيح على شرط مسلم .

وقال ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منّا»[1] يقول ما لي إلا الله وأنت. أو: ماشاء الله وشئت.

وروى النَّسائيُّ[2] بإسنادٍ عن قُتَيْلة ـ امرأة من جُهيْنة ـ أنَّ يهودياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تُندِّدون وإنكم تشركون، تقولون ما شاءَ الله وشئت، وتقولون: والكعبةَ فأمرهم النبيُّ ـ ﷺ ـ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، ويقول أحدهم: ما شاء الله ثمَّ شئت.

ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود مرفوعاً: «الرُّقى، والتَّمائم، والتِّوَلَة شركٌ»[3] رواه الإمام أحمد، وأبو داود. والتِّوَلَةُ: نوعٌ من السحر، وهو يحبب المرأة إلى الزَّوج. والتمائم: جمع تميمة، وهي خرزةٌ يعلقونها على الولد يزعمون أنها تردُّ العين.

ومن ذلك: المراءاةُ في الأعمال، وهو أن يعمل عملاً من أعمال الخير يقصد به مراءاةَ الناس، أو أن يُقال عنه: أنه رجلٌ صالحٌ، أو دَيِّنٌ، ويُثنوا عليه بالخير.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. فالمراءاة للناس بعمل الخير هو الشرك الخفيُّ.

قال النبي ـ ﷺ ـ: «يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، فمن

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٩٨٠) وأبو داود رقم (٣٢٥٣) وابن حبان رقم (٤٣٦٢) من حديث بريدة رضي الله عنه وإسناده صحيح.
وقوله ﷺ (من حلف بالأمانة فليس منا) قال الخطابي في معالم السنن (٤/ ٤٦) هذا يشير إلى أن تكون الكراهة فيه من أجل أنه أُمر أن يحلف بالله وبصفاته، وليست الأمانة من صفاته وإنما هي أمر من أمره، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته.

(٢) رواه النسائي في السنن (٧/ ٦) ورقم (٣٧٧٣) وفي عمل اليوم والليلة رقم (٩٨٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧) وصححه، وقال في التلخيص: صحيح بلفظ المؤلف رحمه الله وقوله (تُنَدّدون) أي تجعلون له نداً.
ورواه أحمد في المسند رقم (٢٧٠٩٣) وابن سعد (٨/ ٣٠٩) مطولاً، وإسناده صحيح، وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ٧٩).

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٣٦١٥) وأبو داود رقم (٣٨٨٣) وأبو يعلى رقم (٥٢٠٨) والبغوي رقم (٣٢٤٠) وإسناده صحيح.

عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، فهو للذي أشرك ، وأنا منه بريءٌ» مخرّج في «الصحيح»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] في الثلاثة الذين أول خلقِ الله تُسَعَّرُ بهم النار: القارىء ، والمجاهد ، والكريم ، وأنهم كانت أعمالهم مراءاةً للناس من القراءة ، والجهاد ، والجود ، فنسأل الله أن يعصمنا أن نُشْرِكَ به ونحن نعلم ، ونستغفره لما لا نعلم ، إنَّه جوادٌ كريم.

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٧٩٩٩) ومسلم رقم (٢٩٨٥) وابن ماجه رقم (٤٣٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٠٥). والترمذي رقم (٢٣٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة الثانية

قتل النَّفس التي حرَّم الله

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «اجتنبوا السَّبْعَ الموبقات. .» فذكر منها: قتل النفس[١].

وسئل النبيُّ ـ ﷺ ـ: أيُّ الذَّنبِ أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِداً وهو خلقكَ»، قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتلَ ولدكَ خَشية أن يَطعمَ معكَ» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تُزاني حَليلةَ جارك»[٢]. فأنزل الله تصديقها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] مخرّج من «الصحيحين».

وقال ـ ﷺ ـ: «إذا التقى المسلمان بسيْفيْهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار».

قيل: يا رسول الله! هذا القاتلُ فما بالُ المقتول؟!

قال: «إنَّه كان حريصاً على قتل صاحبه» أخرجه البخاري ومسلم[٣].

وقال ـ ﷺ ـ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفرٌ»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٧٧) ومسلم رقم (٢٨٨٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٣١) ومسلم رقم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري رقم (٦٠٤٤) ومسلم رقم (٦٤) (١١٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ـ ﷺ ـ: «لا يزالُ المرءُ في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً» أخرجه البخاري[(١)].

وقال ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله أبى عليَّ بمن قتل مؤمناً». ـ قالها ثلاثاً ـ قيل معناه: أبى أن يُدخلَه الجنَّة[(٢)]، بدليل قوله ـ ﷺ ـ: «من قتل مُعاهداً؛ لم يَرح رائحة الجنَّة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» أخرجه البخاري، والنَّسائيُّ[(٣)]. والمعاهد: الذي له عهد الله وعهد رسوله، كاليهودي والنصراني إذا أقرَّ بالجزية في دار الإسلام.

وقال ـ ﷺ ـ: «ألا من قتل نفساً مُعاهَدةً، لها ذمةُ اللهِ، وذِمَّةُ رسوله، فقد أخفر ذِمَّةَ الله، ولا يَرُح رائِحةَ الجنَّة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً». حديث صحيح[(٤)]. حديث صحيح. فإذا كان هذا الوعيد بقتل يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ في دار الإسلام؛ فما الظنُّ بمن يقتل مسلماً؟! فله ما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لَقَتْلُ مؤمنٍ أعظم عند الله من زوال الدُّنيا»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٧٠٠٨) وابن حبان رقم (١١) موارد. والحاكم في المستدرك (١/ ١٩) من حديث عقبة بن مالك رضي الله عنه وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان، والعراقي وغيرهم، ومعنى الحديث: سألت الله عز وجل أن يقبل توبة من قتل مؤمناً ظلماً فامتنع أشد الإمتناع. انظر فيض القدير ٢/ ١٨٩.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٩١٤) والنسائي (٨/ ٢٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الترمذي رقم (١٤٠٣) وابن ماجه رقم (٢٦٨٧) وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح ـ والخريف: الزمان المعروف الفاصل بين الصيف والشتاء، والمراد به هاهنا السَنةُ جميعها، قاله ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٦٥١).

(٥) رواه النسائي (٧/ ٨٢) ورقم (٣٩٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ورقم (٣٩٩٠) من حديث بريدة رضي الله عنه، وهو حديث حسن، وقد صححه الضياء المقدسي، والسيوطي في الجامع الصغير، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول (١٠/ ٢٠٨).

وقال ـ ﷺ ـ: «من أعان على قَتْلِ مؤمنٍ ولو بشَطْر كلمةٍ؛ لقَي اللهَ مكتوبٌ بين عينيه: آيسٌ من رحمةِ الله»[1].

وقال: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلا الرَّجل يموتُ كافراً، أو الرَّجل يَقتل مؤمناً متعمداً». أخرجه النَّسائيُّ[2].

وقال ـ ﷺ ـ: «لا تُقْتلُ نفسٌ ظلماً إلا كانَ على ابنِ آدم الأول كِفلٌ من دَمها، لأنَّه أوَّل من سنَّ القتل» أخرجاهُ في «الصحيحين»[3].

فصل

ويلتحق بالقتل قَتلُ الإنسان نفسه. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ ـ ٣٠].

وعن جُندب بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرحٌ، فجزع، فأخذ سكِّيناً فحزَّ بها يده، فما رَقأ الدم حتى مات، فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «بادرني عبدي بنفسه، حرَّمت عليه الجنة». رواه البخاري ومسلم[4].

وقال ـ ﷺ ـ: «مَنْ قتلِ نفسَه بحديدةٍ فحديدتهُ في يده يتوجأ بها في بطنه في نار

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٦٢٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورمز له السيوطي بالضعف في الجامع الصغير، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: «في إسناده يزيد بن أبي زياد، بالغوا في تضعيفه»، وانظر فيض القدير (٦/ ٧٢).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٠٧) والنسائي في السنن (٧/ ٨١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥١) وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أبي داود رقم (٤٢٧٠) وصححه ابن حبان رقم (٥٩٨٠) وآخر من حديث عبادة بن الصامت عند البزار رقم (٣٣٢٥).

(٣) رواه البخاري رقم (٣٣٣٥) ومسلم رقم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(الكفل): الجزء، والنصيب والحظ. وقال الخليل: الضِّعف.

(٤) رواه البخاري رقم (٣٤٦٣) ومسلم رقم (١١٣) في الإيمان.

جهنم خالداً مخلَّداً فيها ، ومن قتل نفسه بِسُمٍّ ، فسُمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها» أخرجه البخاريُّ ومسلم[١] .

وفي الحديث الصحيح عن الرَّجل الذي آلمته الجراح في الغزاة مع النبيِّ - ﷺ - فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بذبابة سيفه ، فقال النبيُّ - ﷺ -: «هو من أهل النار»[٢] .

وقال - ﷺ -: «لَعْن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفرٍ فهو كقاتله ، ومن قتل نفسه بشيءٍ ، عُذِّب به يوم القيامة»[٣] .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٧٨) ومسلم رقم (١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم رقم (١١٢) في الإيمان من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري رقم (٦١٠٥) ومسلم رقم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

الكبيرة الثالثة

السِّحر

لأن السَّحاو لابُدَّ وأن يكفر. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وما للشيطان غرض في تعليمه الإنسان السِّحْرَ إلا الشِّرك به.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقال سعيد بن جبير: الجبت: السَّاحر. وقال ابن عبَّاسٍ: الجبت: الكاهن، والطاغوت: السَّاحر.

وقال تعالى عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] خلاق أي: [من] اختاره وتعلَّمه ماله في الآخرة من خلاق؛ أي: من نصيب. فترى خلقاً كثيراً من الضُّلَّال يدخلون في تعليم السِّيميا[1] وعلمها، وهي محض السِّحر، وفي عقد الرجل وزوجته، وهو سِحر، وفي محبَّة الزَّوج لامرأته، وفي بغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولةٍ، أكثرها شركٌ وضلالةٌ.

وحدُّ السحر: القتل؛ لأنَّه كفرٌ بالله، أو يشابه الكفر.

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «اجتنبوا السَّبع الموبقات...» فذكر منها: السِّحر،

---

(١) السيميا: السحر. وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس «المعجم الوسيط».

والموبقات: المهلكات. فليتق العبدُ ربَّه، ولا يدخل فيها؛ يخسرُ به الدنيا والآخرة
وحدُّ السَّاحر: القتل، لأنه كفرٌ بالله، أوضارع الكفر[1].

قال بَجالَةَ بن عبدة: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قبل موته بسنة: أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة. فقتلوا ثلاث سواحر في يومٍ[2] وقتلت حفصة بنت عمر جاريةً لها سحرتها[3].

ويروى عن النبي ـ ﷺ ـ: أنه قال: «حدُّ السَّاحر ضربه بالسَّيف»[4]. هكذا في حقِّ فاعله، وأمَّا من سعى في طلبه، وعمله، فهو كفاعله في الإثم والعقوبة، يكفر أيضاً بتعلُّمه وفعله وتعليمه.

وروى الإمام أحمد في «مسنده»[5]: أن النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: مُدْمِنُ خمرٍ، وقاطع رحمٍ، ومصدِّقٌ بالسِّحر». وهذا هو الشقاء المبين أن يسعى الإنسان فيما يُحْرَم به دخول الجنَّة، لأجل هوى نفسه، أو بسبب عداوة بينه وبين غيره، فيطلبه، ويستعمله، ويبذل عليه ما أمكنه من ماله. فنعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

---

(١) (ضارع الكفر) أي شابهه وقاربه.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٥٧) مطولاً، وأبو داود رقم (٣٠٤٣) وأبو يعلى في مسنده رقم (٨٦٠ و٨٦١) وإسناده صحيح على شرط البخاري، وقد ذكره البخاري في صحيحه رقم (٣١٥٦) دون قول عمر رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

(٣) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٨٧١) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بلاغاً، ووصله عبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٣) والبيهقي في السنن (٨/ ١٣٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بسند صحيح.

(٤) رواه الترمذي رقم (١٤٦٠) والطبراني في الكبير رقم (١٦٦٥) والدارقطني (٣/ ١١٤) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن، عن جندب الخير، وقال الترمذي «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يُضعف في الحديث، والصحيح عن جندب موقوفاً. والحديث ضعفه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٣٦) ورجح الذهبي في الكبائر وقفه قلت: والحسن مدلس وقد عنعنه.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٥٦٩) وأبو يعلى رقم (٧٢٤٨) وابن حبان رقم (٦١٣٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧٤) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد وأبو يعلى ثقات وصححه ابن حبان والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٦) ووافقه الذهبي، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فصل

ومن الكبائر: الكِهانة والتنجيم، والضرب في الرَّمل، والحصا، والشعير، والكتف، وإتيانهم، وسؤالهم، وتصديقهم.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

قال ابن عباس: الجبت: الكاهن: والطاغوت: السَّاحر.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ...﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ صبيحة ليلة مطيرة: قال الله تعالى: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فمن قال: مطرنابفضل الله؛ فذلك مؤمن بي؛ كافر بالكوكب. ومن قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب» متفق عليه[١].

وقال ـ ﷺ ـ: «من اقتبس شعبةً من النجوم؛ اقتبس شعبة من السِّحر». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح[٢].

وروى مسلم في «صحيحه»[٣] عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة».

وفي «سنن أبي داود»[٤] من حديث أبي هريرة عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «من

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٤٧) ومسلم رقم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٩٠٥) وابن ماجه رقم (٣٧٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث حسن ـ اقتبس ـ تعلَّم. شعبة، قطعة.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) في السلام.

(٤) رواه أبو داود رقم (٣٩٠٤) والترمذي رقم (١٣٥) وابن ماجه رقم (٦٣٩) وهو حديث صحيح.

أتى كاهناً أو عرَّافاً ، فصدَّقه . بما يقول ؛ فقد كفر بما أُنزل على محمَّد ـ ﷺ ـ» .

قال العلماء : والعرَّاف : من يدَّعي ، أو يُدَّعى فيه معرفة المغيبات من المنجمين ، والرَّمالين ، وضارب الحصا ، والشعير ، والكتف ، كلٌّ هؤلاء عرَّافون ، شياطين الإنس ، أكَّالون للسحت والحرام ، لا يحلُّ تصديقهم ، ولا إتيانهم ، ولا سؤالهم ، ومن سألهم عن شيءٍ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلةً ، ومن سألهم عن شيءٍ ، وصدقهم عليه ؛ فقد كفر بما أنزل على رسوله ـ ﷺ ـ .

وفي هذا وقعَ كثيرٌ من جهلة المسلمين ، إذا عرض له أمرٌ من زواجٍ أو سفرٍ ، أو تجارةٍ ، أو شركةٍ ، أو غير ذلك من أمور الدنيا ، ذهب إلى المنجِّم وسأله ، فإذا أخبره المنجِّم بحاله الذي ألقاه إليه الشيطان ، صدَّقه على ذلك ، فكفر بالله وبما أنزل على رسوله محمَّد ـ ﷺ ـ وهو لا يشعر ، فنعوذ بالله من ذلك .

وقد رُوِي عن عبد الله بن عوف : أنَّ مسافر بن عوف قال لعلَّيٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين انصرف من الأنباري إلى أهل النَّهروان ، فقال : يا أمير المؤمنين! لا تَسِرْ في هذه الساعة ، وَسِرْ في ثلاث ساعات يمضين من النَّهار . فقال عليٌّ : ولم؟ قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة ؛ أصابك ، وأصاب أصحابك بلاءٌ ، وإن سرت في الساعة التي أقول لك ، ظفرت وأصبت!

فقال له علي ـ رضي الله عنه ـ ما كان لمحمَّد ـ ﷺ ـ مُنجِّمٌ ، ولا لنا مِنْ بَعْدِه . ثم قال له عليٌّ : هل تعلمُ ما في بطن فرسي هذه؟ قال : إن حَسَبْتُ علمتُ . فقال عليٌّ : من صدَّقك بهذا القول ؛ كذَّب القرآن ، وإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ . . . ﴾ [لقمان : ٣٤] ما كان محمَّدٌ ـ ﷺ ـ يدَّعي ما ادَّعيت ، تزعم أنك تهدي إلى السَّاعةِ التي يصيب النَّفعُ مَنْ سار فيها ، وتصرف عن السَّاعة التي يصيب السوءُ من سار فيها . قال : نعم . قال عليٌّ : من صدَّقك بهذا ، استغنى عن الله في صَرْف المكروه عن نفسه ، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك الخير دون ربِّه لأنك بزعمك تهديه إلى الخير ، وتصرفه عن الشرِّ . من آمن لك بهذا ؛ لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ضداً ونداً . ثم قال عليٌّ : اللهمَّ لا طائر إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرُك . بل نكذبك أيهاالمنجِّم! ونسير في السَّاعة التي نهيتنا عنها .

ثم أقبل على الناس. فقال: أيُّها الناس! إيَّاكم وتعلم النُّجوم إلا ما تهتدون بها في ظلمات البرِّ والبحر! إنما المنجِّم كالسَّاحر، والسَّاحر كالكافر، والكافر في النار.

ثم سار عليٌّ في الساعة التي نهاه عنها المنجِّم، فلقي القوم الذين أرادهم، فقتلهم، وظفر بهم، ثم قال لأصحابه: لو سرنا في الساعة التي أمَرَنا به المنجِّم، لقال الناس: إنما ذلك بقول المنجِّم. ثم قال: أيها الناس! توكلوا على الله، فإنّه حسبُ من توكَّل عليه، وفوَّض أمره إليه[1].

فصل

والذي ينبغي لمن أراد أمراً ولا يدري ما عاقبة أمره فيه أن يطلب من الله الخيرة فيه.

كما روى جابر - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ -: أنَّه كان يعلمهم الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السُّورة من القرآن بقوله: «إذا همَّ أحدُكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللَّهُمَّ! إني استخيرُك بعلمكَ، واستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب.

اللَّهُمَّ! إن كنت تعلم: أنَّ هذا الأمر - ويسمِّي حاجته - خيرٌ لي في ديني، ودنياي، ومعاشي، وعاقبةَ أمري؛ فاقْدِرْهُ لي، ويَسِّره لي، وبارك لي فيه. وإن كنتَ تعلم: أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني، ودنياي، ومعاشي، وعاقبة أمري، فاصرفه عنِّي واصرفني عنه، واقدِر لي الخيرَ حيث كان، ثمَّ أرضيني به» أخرجه البخاري[2]. وفي رواية: «يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال - ١٠ رقم (٣٩٤٢٩) وقال: رواه الحارث، والخطيب في كتاب النجوم، وعبد الله بن عوف بن الأحمر، ومسافر بن عوف بن الأحمر لم نقف لهما على ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٣٨٢) وأبو داود رقم (١٥٣٨) والترمذي رقم (٤٨٠) والنسائي (٦/ ٨٠ و٨١) من حديث جابر رضي الله عنه.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ . . .﴾ وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . . .﴾ فإذا سلم من الركعتين دعا بهذا الدُّعاء».

ويذكر عن النبي ـ ﷺ ـ: أنه قال لأنس: «يا أنسُ! إذا هممتَ بأمرٍ؛ فاستخر ربَّك فيه سبع مرَّاتٍ، ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك، فإنَّ الخير فيه»[1]. وبالله التوفيق.

* * *

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٥٩٨) وقال النووي في الأذكار رقم (٣٥٨): سنده غريب فيه من لا أعرفهم ـ قال العراقي: هم معروفون لكن فيهم من هو معروف بالضعف الشديد، وهو إبراهيم بن البراء، فقد ذكره في الضعفاء ابن عدي، وابن حبان وغيرهم، وقالوا: إنه كان يحدث بالأباطيل عن الثقات، زاد ابن حبان: لا يحل ذكره إلاّ على سبيل القدح فيه.

الكبيرة الرابعة

في ترك الصلاة

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قال ابن عباسٍ، وكعبُ، وعطاءُ: الغيُّ الذي وعد الله به مضِّيع الصلاة: وادٍ في جهنم، أبعدُها قعراً، وأشدُّها حراً. وإضاعتها: تركها. وقيل: تأخيرها عن وقتها.

وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]. قال مجاهد: غافلون عنها. وقال قتادة: ساهي عنها: لا يبالي صلَّى أم لم يصلِّ. فالويل له من الله. والويل: شدَّة العذاب. وقيل: وادٍ في جهنَّم تستغيث جهنَّم من حرِّه، أُعِدَّ لمن يتهاون في الصَّلاة. نعوذ بالله منه.

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الجحيم حين يقول لهم الزَّبانية وهم في النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وهذا وعيدٌ لمن يتهاون في الصلاة، التي هي قرينة الإيمان، وثاني قواعد الدِّين، وأول ما يُسأل عنها العبد يوم القيامة.

كما قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «أوَّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاتهُ، فإن صلحت، فقد أفلح ونجح، وإن فسدت؛ فقد خاب وخسر»[(١)].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٤١٣) في الصلاة، والنسائي (١/ ٢٣٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده. من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وصحَّ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «بين الرَّجل والشِّرك ترك الصلاة»[1] .

وقال ـ ﷺ ـ : «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها ؛ فقط كفر»[2] .

وقال : «مَنْ ترك الصلاة متعمداً ، فقد برئت منهُ ذمّةُ الله تعالى»[3] .

وروى البخاري في «صحيحه»[4] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنَّه قال : «من ترك صلاة العصر ، فقد حَبط عملهُ» .

وقال : «الذي تفوتهُ صلاةُ العصرِ كأنما وُتِرَ أهلَه ومالَه»[5] أي خسرهم .

[وقال عمر بن الخطاب][6] : أما إنَّه لا حظَّ لأحد في الإسلام ترك الصلاة .

وقال ابراهيم النخعي : من ترك الصلاة ؛ فقد كفر .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ لا يَروْنَ شيئاً من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاة[7] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه ، ومعناه كما قال النووي في شرح صحيح مسلم (٢/ ٧١) : إن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة . فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل ، بل دخل فيه .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٢١) وابن ماجه رقم (١٠٧٩) والنسائي (١/ ٢٣١ و٢٣٢) من حديث بريدة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢٧٣٦٤) من حديث أم أيمن رضي الله عنها وإسناده ضعيف لانقطاعه ، مكحول لم يسمع من أم أيمن فيما ذكره البيهقي (٧/ ٣٠٤) والمزي في تهذيب الكمال في ترجمة مكحول الشامي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٥) : رجاله رجال الصحيح إلا أن مكحولاً لم يسمع من أم أيمن .
وفي الباب عن أبي الدرداء عند البخاري في الأدب المفرد رقم (١٨) وابن ماجه (٤٠٣٤) وهو حديث حسن .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٥٣) من حديث بريدة رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري رقم (٥٥٢) ومسلم رقم (٦٢٦) في المساجد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٦) سقط من الأصل ، واستدركناه من كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله .

(٧) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٧) قال في التلخيص : لم يُتكلم عليه وإسناده صالح ، وأخرجه الترمذي رقم (٢٦٢٤) في الإيمان من كلام عبد الله بن شقيق رحمه الله وإسناده حسن .

وقال ابن حزم: لا ذنب بعد الشركِ أعظم من ترك الصلاة حتّى يخرجَ وقتها، وقتل مؤمنٍ بغير حقٍّ[1].

وقال ﷺ: «من حافظ عليها؛ كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة. ومن لم يُحافظ عليها؛ لم تكن له نوراً، ولا برهاناً، ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف». رواه الإمام أحمد[2].

وعن ابن عباسٍ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه قال له: «يا بن عباس! إنَّ للقيامة خمس عقبات». فقلت: يا رسول الله! وما الخمس عقبات؟ قال: «الأولى: الموت وغصَّته. والثانية: القبر وضيقته. والثالثة: منكر ونكير ومسائلته. والرابعة: الميزان وخفته. والخامسة: الصراط ودقَّتُه». فقلت: يا رسول الله! وما الخلاص من هذه الخمس عقبات؟ فقال: «يا بن عباس! إذا صلى الإنسان الصبح؛ أمِنَ مِن الموت وغصته» معناه ـ والله أعلم ـ: أمن من شدَّة الموت، وإلا نفس الموت لا أمان منه لأحدٍ. «وإذا صلَّى الظهر؛ أمِنَ مِنَ روعةِ القبر وضيقته. وإذا صلَّى العصر، أمِنَ مِن منكرٍ ونكير ومساءلتَه. وإذا صلَّى المغرب؛ أمِنَ مِن الميزان وخفَّته. وإذا صلَّى العشاء أمِنَ مِن الصراط ودقته» قال: فقلت: يا رسول الله! هذه بشارةٌ للمصلِّين! قال: «يابن عباس! مَنْ لا يصلي الصبح تناديه الملائكة: يا خاسر! ومن لا يصلي الظهر تناديه الملائكة: يا غادر! ومن لا يصلي العصر تناديه الملائكة: يا كافر! ومن لا يصلي المغرب تناديه الملائكة: ياكافر! ومن لا يصلي العشاء تناديه الملائكة: يا آيس من رحمة الله، ورسول الله بريء منك» فنعوذ بالله من ذلك[3] ونسأله المعونة على طاعته، وأنَّه على كلِّ شيءٍ قدير.

لا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها؛ لأنه مخالفٌ لله ولرسوله.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] أي: فرضاً مؤقَّتاً، فلا يحلُّ تأخير الصلاة عن أوقاتها.

---

(١) ذكره ابن حزم في المحلى (١١/ ٣٧٦) و٣٨٠) مسألة تارك الصلاة حتى يخرج وقتها.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩) وابن حبان رقم (١٤٦٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩٢) وزاد نسبته إلى الطبراني في الكبير والأوسط وقال: رجال أحمد ثقات أقول: إسناده صحيح.

(٣) لم أجده وهو بكلام القصص أشبه.

وقد قال أبو العالية ـ أحدُ أئمة التفسير ـ في قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥] قال: هم الذين لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمُّون ركوعها ولا سجودها.

وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون؟ قال: «إضاعة الوقت»[١].

والويل شدَّة العذاب من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لمن أخَّر الصلاة عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله.

وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

قال ابن عباس، وعطاء، وكعب الأحبار: الغيُّ الذي وعد الله به مضيعي الصلاة وادٍ في جهنَّم، أبعدها قعراً، وأشدُّها حرّاً.

قال عبد الله بن مسعود: ليس معنى أضاعوها: تركوها بالكليّة، ولكن أخروها عن أوقاتها. ففي هاتين الآيتين وعيدٌ شديد لمن يتهاون بالصَّلاة، ويصليها بَعْدَ وقتها. وقد تقدَّم قول ابن حزم ـ وكان من كبار العلماء ـ: أنَّه لا ذنب بعد الشِّرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها، وقتل مؤمنٍ بغير حق، فقرن الشِّرك، وترك الصلاة عن وقتها، وقتل النفس التي حرَّم الله.

وكثيرٌ من الناس غافلون عن هذا وهم يسمعون القرآن يُتلى عليهم ولا يتدبَّرونه، ولا يتفكرون في وعده ووعيده، وقد ذمَّ الله من لم يتدبَّر القرآن بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) رواه البزار رقم (٣٩٢) والبيهقي في السنن (٢/ ٢١٤) والطبري (٣٠/ ٣١١) موقوفاً وقال البزار: ولا نعلم أحداً أسنده إلا عكرمة، وهو لين الحديث، وقد رواه الثقات الحفاظ عن عبد الملك عن مصعب عن أبيه موقوفاً.
وقال البيهقي: وهذا الحديث إنما يصح موقوفاً وعكرمة بن إبراهيم ضعفه يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث.
ورواه أبو يعلى رقم (٧٠٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٥) وقال رواه أبو يعلى وإسناده حسن موقوفاً على سعد رضي الله عنه.

لكن إذا غلبت الغفلةُ والشقاوةُ على ابن آدم ؛ منعته مِنْ كلِّ خير ، وساقته إلى كل شرٍّ ومعصيةٍ ، وثَقُلَت عليه طاعةُ الله ، والمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، وسبب ذلك أن يغلب على الإنسان حبُّ الدنيا وإيثارُها ، والسَّعيُ في طلبها وتحصيلها، فيشتغل بها عن طاعة الله تعالى ، والمحافظة على الصلوات في أوقاتها .

ولهذا قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة»[1] . فإذا غلب حبُّ الدنيا على ابن آدم؛ استحوذ عليه الشيطان ، فأنساه الصلاة ، والطَّاعة ، وذكر الله ، وغلب عليه الغفلةُ .

كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] .

وقال تعالى خطاباً لمن اشتغل بالدنيا عن طاعته وذكره ، وقد أخبر أنَّه من الخاسرين يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون : ٩] .

فهذا وعيدٌ عظيمٌ لمن اشتغل بالدنيا عن ذكر الله ، وأعظم ذكر الله المحافظة على الصلاة في أوقاتها .

وقد خاطب الله جميع المسلمين بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها . قال الله تعالى : ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . أي : قوموا له في الصلاة خاشعين ، ذليلين ، خاضعين .

والصلاة الوسطى : صلاة العصر على قول أكثر أهل العلم ، خصَّها الله تعالى بالذكر من بين الصَّلوات ، لأنها تأتي في أوقات معايشهم .

وخصَّها النبيُّ ـ ﷺ ـ أيضاً بالذكر من بين الصلوات ، لذلك . قال ﷺ: «من فاتَتْه صلاة العصر ، حبط عملُه» أخرجه البخاري[2] .

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (١٠٥٠١) عن الحسن مرفوعاً . وهو حديث مرسل . ورقم (١٠٤٥٨) من كلام عيسى عليه السلام . وقال المناوي ثم قال (أعني البيهقي) : ولا أصل له من حديث النبي ﷺ ، قال الحافظ العراقي : ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح .
وقال السيوطي في «فتاويه» : رفعه وهم ، بل عدَّه الحفاظ موضوعاً .

(٢) تقدم تخريجه رقم (٣٣) .

وقال ﷺ: «الذي تَفُوتـه صلاة العصر كأنما وُتِـرَ أَهْلَـهُ ومالَـه». مخرج فـي «الصَّحيحين»(١).

فقوله ﷺ: (كأنما وُتِر أهلَه ومالَه) تشبيهٌ وتمثيل. يعني: مَثَلُ الذي يتهاون بالصَّلاة حتَّى يخرج وقتها في عجيب حاله، وعظيم مصيبته وبلائه كمثل رجلٍ له أهلٌ ومالٌ، لاشيء أحبُّ إليه من أهلِه ومالِه، فأتاه أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في ساعةٍ واحدةٍ، فأهلك أهلَه ومالَه، فما أعظم مُصيبته! وما أشدَّ بلاءه!

فالذي يتهاون بصلاة العصر حتى تغرب الشمس؛ أعظمُ منه مصيبةً، وأشدُّ بلاءً.

وتَقَدَّم قوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ ترك صلاة العصر، حبط عمله»، وأيُّ مصيبة أعظم من حبط العمل، فهو أعظم من مصيبة ذهاب الأهل والمال؛ لأن الأهلَ والمالَ متاعُ الدُّنيا وزينتُها، وحبوط العمل خسران الآخرة، التي لا ينفع فيها مالٌ ولابنون إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم؛ أي: مستقيم على طاعة الله تعالى.

وقد وَعَدَ الله من واظب على الصَّلاة، وحافظ عليها في أوقاتها بجنَّات النَّعيم في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٤ ـ ٣٥].

وتَقَدَّم قول النبيِّ ـ ﷺ ـ: «من حافظ عليها؛ كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاةً يوم القيامة، ومَنْ لم يحافظ عليها؛ لم تكن له نوراً ولابرهاناً، ولا نجاةً يوم القيامة، وكان مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبيِّ بن خلف»(٢).

فأيُّ بشارة أعظم من هذه للمحافظة على الصَّلاة؟!

وأيُّ وعيدٍ أعظم من هذا للمتهاون بها، والمضيع لها؟!

وقد رويَ في حديثٍ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «ألاْ مَنْ نام عن صلاة العَتَمَةِ ـ يعني عِشاء الآخرة ـ حتى يذهب وقتها؛ تقول له الملائكة: لا نامت عيناك! ولا قرَّت! حبسك الله بين الجنة والنار كما حبستنا»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه رقم (٣٣).

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٣).

(٣) رواه البزار رقم (٣٧٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣١٤) وقال رواه البزار: وفيه =

ورويَ في حديثٍ آخر: «أنَّه من حافظ على الصلوات في أوقاتها؛ أعطاه الله خمسَ خصال: يَرفعُ عنه ضيقَ العيش، وعذابَ القبر، ويُعْطى كتابه بيمينه، ويمرُّ على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنَّة بغير حساب.

ومَنْ تهاون بالصَّلاة؛ عاقبهُ الله بخمسِ عشرة عقوبة، خمسةٌ في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة في القبر.

وثلاثة عند خروجه من القبر، فأما التي في الدنيا؛ فالأولى: تنزع البركة من عمره. والثانية: تمحا سيما الصالحين من وجهه. والثالثة: كلُّ عملٍ يعمله لا يؤجره الله عليه. والرَّابعة: لا يرفع له دعاء إلى السماء. والخامسة: ليس له حظٌّ في دعاء الصالحين.

وأمَّا التي تصيبه عند الموت؛ فإنَّه يموت ذليلاً. والثانية: يموت جائعاً. والثالثة يموت عطشاناً، ولو سُقي بحار الدنيا، ما رُويَ من عطشه.

وأمَّا التي تصيبه في قبره؛ فالأولى: يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فيه. والثانية: يوقد عليه نارٌ، يَتقلَّب على الجمر ليلاً ونهاراً. والثالثة: تُسلَّط عليه في قبره حيَّةٌ، تسمَّى: الشجاع الأقرع، عيناه من نار، وأظفاره من حديد، طول كلِّ ظفرٍ مسيرة يوم، فيكلم الميت ويقول: أنا الشجاع الأقرع، وصوته مثل الرعد القاصف، يقول: أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح، وأضربك على صلاة الصبح إلى الظهر، وأضربك على صلاة الظهر إلى العصر، وأضربك على صلاة العصر إلى المغرب، وأضربك على صلاة المغرب إلى العشاء، فكلما ضربه ضربةً يغوص في الأرض سبعين ذراعاً، فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة»[1].

= محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ضعيف من حديث عائشة بلفظ (من نام قبل العشاء فلا نامت عينه، ما رأيت رسول الله ﷺ نام قبل العشاء ولا تحدَّث بعدها).

(١) ذكره الذهبي في الكبائر ص/ ٣٠/ أقول:
تنبيه: قد عثر بعض المحققين على نُسخ خطيه لكتاب الكبائر تُبين أن النُسخ الموجودة في أيدي الناس اليوم فيها كثير من الزيادات في الأحاديث الضعيفة والموضوعة والحكايات الغريبة، وأن النسخ الأصلية بريئة من ذلك، وكذلك الذهبي رحمه الله بريء من كل ذلك، راجع كتاب الكبائر بتحقيق محيي الدين مستو، وكذلك تحقيق مشهور يظهر لك ذلك.

ولا حول ولاقوة إلى بالله العلي العظيم ، ما أعظم مصيبة من يتهاون في الصلاة إن لم يتب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وينتهي عن ذلك . فنسأل الله أن يعيننا على طاعته ويوفقنا لمرضاته ، فإنه لا حول ولا قوَّة لنا إلا به .

حكاية: قال بعضهم: دَفَنْتُ أختاً لي ، فسقط منيِّ في القبر شيءٌ ، ولم أشعر به ، فلمَّا سوَّيت التُّراب على القبر؛ ذكرته ، فلما انصرف النَّاس عن القبر؛ نبشتُه؛ فإذا بالقبر يشتعل ناراً ، فرَدَدْتُ التُّراب عليها ، ورجعتُ إلى أمِّي ، فقلت لها: أخبريني عن أختي ، وما كان عملُها؟ فقالت لي: وما سؤالك عنها؟ فقلت لها: لما رأيتُ من إشعال النار عليها في قبرها . فبكت . وقالت: كانت تؤخر الصلاة عن وقتها ، ولا تُصَلِّي بطهارةٍ كاملةٍ ، وكانت تنقل الحديث بين الجيران .

ولهذا قال العلماء: إنه يجب على الزَّوج أن يأمر أهله ، وزوجته ، وأولاده بالصلاة، ويخاصمهم عليها، لقول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢] .

ولقوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]. أي: علموهم ، وأدِّبوهم كي تقوهم النار .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[1] .

وقال بعض العلماء: لو كان عند الإنسان أهلٌ لا يصلون وهو لا يأمرهم بالصَّلاة؛ حشر يوم القيامة مع مضيعي الصلاة؛ لأنه قصَّر في حقِّهم ، ولم يأمرهم بها ، ولم يخاصمهم عليها . فنسأل الله أن يعيننا وأهلنا على طاعته ، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير .

فصل

فيمن يصلِّي ولا يتم صلاته ولا يتم ركوعها ، ولا سجودها ، بل ينقرها نقراً ، كما يفعله كثيرٌ من الجهلة ، فقد صحَّ في الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ أعرابياً دخل مسجد النبيِّ ـ ﷺ ـ ، فصلَّى ، ثمَّ جاء فسلَّم على النبي ـ ﷺ ـ فقال له النبيُّ ـ ﷺ ـ: «ارجع فصلِّ ، فإنك لم تصلِّ» فرجع ، فصلَّى كما صلَّى ، ثم جاء ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٥ و٤٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنها ، وإسناده حسن .

فسلَّم على النبيِّ ـ ﷺ ـ فقال له: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» فلمَّا كان عند الثالثة؛ قال: والذي بعثك بالحقِّ نبياً لا أحسنُ غيرَه، فعلّمني! قال: «إذا قمت في الصلاة؛ فكبِّر، ثم اقرأ بما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئنَّ راكعاً، ثم ارفع حتى تطمئنَّ قائماً، ثمَّ اسجد حتى تطمئنَّ ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالساً، وافعل ذلك في صلواتك كلِّها»[1] فقد بيَّن النبي ـ ﷺ ـ في هذا الحديث وجوب الطمأنينة في أركان الصلاة كلها، وإن الصلاة لا تصحُّ بدونها.

وكذلك صحَّ عنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا تُجزىءُ صلاةٌ لا يُقيمُ الرجلُ فيها صُلبَهُ في الرُّكوع والسُّجود»[2].

وقال ﷺ: «أسوأُ الناس سرقةً الذي يَسرقُ مِنْ صَلاتِهِ!» قيل: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يُتِمُّ ركوعها، ولا سجودَها» أو «لا يقيم صلبه من الركوع والسُّجود»[3]. رواه مالك، وأحمد.

وعن حذيفة بن اليمان صاحبُ رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه رأى رجلاً يُصلِّي لا يتم ركوعَ الصَّلاة، ولا سجودها، فقال له حذيفةُ: «ما صلَّيْتَ، ولو مُتَ وأنت تصلِّي هذه الصَّلاة، مُتَ على غير الفطرة؛ التي فطر الله عليها محمَّداً ـ ﷺ ـ» أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[4].

وفي رواية قال له: منذُ كم تصلي هذه الصَّلاة؟ قالَ: منذُ أربعينَ سنةً! قال:

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٥٧ و٧٩٣) ومسلم رقم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه رقم (٥٩١ و٦٦٦) والترمذي رقم (٢٦٥) وابن ماجه رقم (٨٧٠) وابن حبان رقم (١٨٩٢) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٩٩) وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٨٨)، والبيهقي في السنن (٢/ ٣٨٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ـ أقول: وله شاهد عند أحمد (٥/ ٣١٠) من حديث أبي قتادة، وآخر من حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد (٣/ ٥٦)، وثالث من حديث عبد الله بن المغفل رواه الطبراني في الصغير، رقم (٣٣٥) وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب فالحديث بهذه الشواهد صحيح.

(٤) رواه البخاري رقم (٧٩١) من كلام حذيفة موقوفاً، باب إذا لم يتم الركوع قوله: (ما صليتَ) هو نظير قوله ﷺ للمسيء صلاته. ص ٣٩.

قوله فطر الله محمداً. قال الحافظ زاد الكشمهيني (عليها) واستدل به على وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود، وعلى أن الإخلال بهما مبطل للصلاة.

ما صَلَّيتَ منذُ أربعين سنةً ، ولو متَّ ؛ متَّ على غير سُنَّة محمَّد ـ ﷺ ـ»[1] .

وهذا وعيدٌ شديدٌ لِمَنْ يتهاون بالصَّلاة ، وينقرها نقراً ، ولا يتمُّ ركوعها ، ولا سجودها ، ولا يقيم صلبه بين الرُّكوع والسجود .

وقد تقدَّم في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قول أبي العالية : إنهم هم الذين لا يصلون لمواقيتها ، ولا يتمُّون ركوعها ، ولا سجودها .

وتقدَّم قوله ـ ﷺ ـ : «أولُ ما يُحاسب به العَبْدُ يوم القيامة من عمله صلاتهُ ، فإن صَلُحَتْ ؛ فقد أفلح ، ونجح . وإن فَسَدتْ ؛ فقد خاب ، وخسر»[2] .

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ توضَّأ ، فأسبغَ الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة ، فأتمَّ ركوعها ، وسجودها ، والقراءَة فيها ، قالت الصَّلاة : حفظك الله كما حفظتني ، ثم صُعِدَ بها إلى السَّماء ولها ضوءٌ ونورٌ ، فتُفتَح لها أبواب السَّماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى ، فتشفع لصاحبها .

وإذا ضيَّع ركوعها ، وسجودها ، والقراءة فيها ؛ قالت الصلاة : ضيَّعك الله كما ضيَّعتني ، ثم صُعِدَ بها ولها ظلمةٌ ، حتى يُنتهى بها إلى السَّماء ، فتغلقُ دونها أبواب السَّماء ، ثم تُلَفُّ ، كما يُلَفُّ الثَّوب الخَلِق ، فَيُضرب وجه صاحبها»[3] . فنعوذ بالله أن تُـرَدَّ علينا أعمالنا ، ونسألهُ الاستقامة على طاعته ، إنَّـه جوادٌ كريمٌ .

---

(١) رواه النسائي في السنن (٣/ ٥٨ و٥٩) ورقم (١٣١٣) وابن حبان رقم (١٨٩٤) وإسناده صحيح .
قال الخطابي : معنى الفطرة الملة وأراد بهذا الكلام توبيخه على سوءِ فعله ليرتدع في المستقبل ولم يرد به الخروج عن الدين ـ قال التيمي وسميت الصلاة فِطرة لأنها أكبر عُرى الإيمان .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٢٢) ورقم (٢٧٣٤) وقال رواه الطبراني في الكبير ، والبزار بنحوه ، وفيه الأحوص بن حكيم وثقة ابن المديني ، والعجلي ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله موثقون ـ أقول الأحوص بن حكيم ـ قال ابن معين : لا شيء ـ وقال النسائي : ضعيف ، وقال ابن المديني : ليس بشيء حديثه ، وانظر باقي ترجمته في الميزان (١/ ١٦٧) ترجمة رقم (٦٧٥) .

فصل آخر

ويقرب من ترك الصَّلاة في الإثم تهاونٌ بالصَّلاة مع المسلمين في الجماعة في المساجد. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢ ـ ٤٣].

وقال إبراهيم التيمي: يعني: يُدْعَوْنَ إلى الصلاة المكتوبة بالأذان، والإقامة؛ فلا يأتون»[١].

وقال سعيد بن جبير: كانوا يسْمَعون «حيَّ على الصلاة! حيَّ على الفلاح!» فلا يجيبون، وهم سالمون أصحَّاء، فلا يأتونه[٢].

وقال كعب الأحبار ـ رحمه الله ـ: واللهِ ما نزلت هذه الآية إلاَّ في الذين تخلَّفوا عن الجماعات، (يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون) تصير أصلابهم كصياصي البقر، فلا يستطيعون السجود، (خاشعةً) ذليلةً، أبصارهم، (ترهقهم ذلة) يغشاهم ذلُّ النَّدامة حين يرون المؤمنين المواظبين على الصَّلاة على الجماعة، قد رفعوا رؤوسهم من السُّجود ووجوهم أشدُّ بياضاً من الثلج[٣]. فنسأل الله أن يعيننا على طاعته.

وقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل وأكثر العلماء إلى أنَّ الصَّلاة في الجماعة فرضٌ واجبٌ، لا يحلُّ تركها إلا لعذرٍ من خوفٍ أو مرضٍ لهذه الآية؛ وما فيها من الوَعيد لمن تخلَّف عنها. ولقوله ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه»[٤]: أنَّ رجلاً أعمى جاء إليه، فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فسأل رسولَ الله ـ ﷺ ـ أن يُرَخِّص له، فيصلِّي في بيته، فقال: «هل تَسمعُ الآذان؟» قال: نعم. قال: «فأجب».

---

(١) ذكره القرطبي في تفسير سورة القلم ١٨/ ١٦٣ من كلام إبراهيم التيمي رحمه الله موقوفاً عليه.
(٢) ذكره القرطبي في تفسير سورة القلم ١٨/ ١٦٣ من كلام سعيد بن جبير رحمه الله موقوفاً عليه.
(٣) ذكره القرطبي في تفسير سورة القلم ١٨/ ١٦٣ من كلام كعب الأحبار رحمه الله موقوفاً عليه.
(٤) رواه مسلم رقم (٦٥٣) والنسائي (٢/ ١٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية «لا أجِدُ لك رخصةً!»[1].

وأيُّ وجوبٍ أعظمُ من هذا؟! رجلٌ أعمى ماله من يُمْسِكُ بيده، ويقوده إلى المسجد، ولم يُرَخَّصْ له أن يُصَلِّيَ في بيته، فكيف يُرخَّصُ لغيره ممن هو صحيح البصر بعافية أن يصلي في بيته. ويترك الجماعة؟!

ولهذا قال ﷺ: «مَنْ سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذرٌ ـ قيل: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض ـ لم تُقبَلْ منه الصلاة التي صلَّى». رواه أبو داود[2].

ويروى عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنه ـ في مسجد الطائف، أنا، وعكرمة، وميمون بن مهران[3]، وأبو العالية[4]، وجماعة آخرين؛ إذ صعد المؤذن للآذان، فلمَّا قال: الله أكبر؛ بكى ابن عباسٍ حتى بلَّ رداءه، وانتفخت أوداجه، واحمرَّت عيناه، فقال له أبو العالية: يا بن عمِّ رسول الله ـ ﷺ ـ ما هذا البكاءُ، وما هذا الجزع، فإنما تسمع الأذان، ولا تبكي؟! فقال ابن عباس: لو يعلم الناسُ ما يقول المؤذِّنُ؛ ما استراحوا، ولا ناموا. قيل له: فأخبرنا ما يقول؟ قال: إذا قال المؤذِّن: الله أكبر؛ يقول: يا مشاغيل بالدُّنيا الفانية تفرَّغوا الآن لعبادة ربِّكم، وتقدَّموا إلى خير أعمالكم. وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ يقول: أشهد جميع مَنْ في السَّمواتِ ومن في الأرض مِنَ الخلائق ليشهدوا لي عند الله يوم القيامة: أني قد دعوتكم. وإذا قال: أشهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله؛ يقول: محمَّدٌ رسول الله يشهدُ لي يوم القيامة، والأنبياء كلُّهم: أني أخبركم بطاعة ربِّكم في

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥٥٢) وابن ماجه رقم (٧٩٢) من حديث عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٥١) وفي إسناده أبو جناب يحيى بن أبي حيّه ضعفوه لكثرة تدليسه، وللحديث شاهد رواه ابن ماجه رقم (٧٩٣) بلفظ «من سَمِعَ النداء فلم يأته، فلا صلاة له، إلا من عذر» وإسناده صحيح، وقد صححه غير واحد.

(٣) ميمون بن مهران الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقِّي ـ حدث عن أبي هريرة وعائشة، كان وَلِيَ خراج الجزيرة وقضاءها، توفي رحمه الله (١٢٧) هـ.

(٤) أبو العالية: رُفيع بن مهران، الإمام المقرىء الحافظ المفسر أحد الأعلام أدرك زمان النبي ﷺ وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، حفظ القرآن، وقرأه على أبي بن كعب، تصدَّر لإفادة العلم وبَعُدَ صيته توفي رحمه الله سنة (٩٠) هـ رحمه الله.

كلِّ يوم خمس مرَّات. وإذا قال: حيَّ على الصَّلاة؛ يقول: إنَّ الله قد أقام لكم هذا الدِّين، فأقيموه. وإذا قال: حيَّ على الفلاح؛ يقول: خوضوا في الرَّحمة، وخذوا سهمكم من الهدى والفلاح. وإذا قال: الله أكبر؛ يقول حرَّمت الأعمال وقت الصَّلاة. وإذا قال: لا إله إلا الله؛ يقول: أمانة سبع سمواتٍ وسبع أرضين وُضِعَتْ في أعناقكم، فإن شئتم؛ فتقدَّموا، وإن شئتم؛ فأدبروا.

وروي عن عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه كان إذا حضر وقت الصلاة؛ ارتعد، فسئل عن ذلك، فيقول: جاء وقت الأمانة؛ التي عرضها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على السَّموات، والأرض، والجبال، فأبين أنْ يحملنها، وحملها الإنسان، إنَّه كان ظلوماً جهولاً.

نسأل الله أن يعيننا على أدائها في أوقاتها مع المسلمين في الجماعة، إنَّه جوادٌ كريم. رواه أبو داود[١].

وسُئِلَ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عَنْ رَجُلٍ يصوم النَّهار ويقوم اللَّيْل، ولا يصلي مع الجماعة، ولا يُجمِّع؟ فقال: «هو في النار». رواه الترمذُّي[٢].

وروى مسلمٌ في صحيحه عن عبد الله بن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: مَنْ سرَّه أن يَلقى الله تعالى غداً مسلماً؛ فليحافظ على هؤلاء الصَّلواتِ الخمس حيثُ ينادى بهنَّ. فإنَّ الله تعالى (شَرَعَ لنبيكم سُنَنَ الهدى، وانهن من سنن الهدى ولو أنَّكم صليتم في بيوتكم، كما يُصَلي هذا المتخلِّف في بيته؛ لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنَّة نبيكم؛ لضَلَلْتم، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادىٰ بين الرجلين حتى يُقام في الصفِّ[٣].

وكان أبو عبد الرحمن السلمي التابعي[٤] ـ رحمة الله ـ يأمر أصحابه أن يحملوه

---

(١) ؟؟؟؟.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢١٨) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده صحيح كما قال أحمد شاكر في تحقيقه ـ وقال: وهذا الحديث وإن كان موقوفاً ظاهراً على ابن عباس إلا أنه مرفوع حكماً، لأن مثل هذا مما لا يُعلم بالرأي، ولا يجزم ابن عباس في رجل يصوم النهار ويقوم الليل بأنه في النار إلا عن خبر عنده عن رسول الله ﷺ.

(٣) رواه مسلم رقم (٦٥٤) في المساجد من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي، مُقرىء الكوفة، الإمام العَلَم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من=

في الطِّين والمطر إلى المسجد وهو مريضٌ ، ولم يكونوا يتحملون هذه المشاقَّ إلا لعلمهم بأن الصلاة في الجماعة واجبةٌ؛ لأنَّ الأذان للصَّلاة من أكبر شعائر الإسلام ، وقد أُمِرْنا بإشهاره ، وإظهاره على رؤوس الأشهاد ، وهو داعي الله يدعو إلى الصلاة والفلاح، فمن أجابه وجاء إلى المسجد ، وصلَّى مع جماعة المسلمين؛ كان من المفلحين يوم القيامة ، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] وعسى من الله واجبٌ .

ومَنْ أعرض عنه ، ولم يجبه ، فقد أعرض عن الله ، وعن ذكره ، وداعيه ، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ سمع المنادي؛ فلم يَمْنَعْهُ من اتباعه عذرٌ ـ قيل: مالعذر؟ قال: خوف أو مرضٌ ـ لم تُقْبَل منه الصلاة التي صلَّى»[(١)] .

وقال ابن عبَّاسٍ: سُئِل عن رجلٍ يصوم النَّهار، ويقوم اللَّيْل، ولا يصلِّي في جماعةٍ ، ولا يجمِّع ـ أي: ولا يصلي الجمعة ـ فقال: هو في النَّار»[(٢)] .

نعوذ بالله من النَّار ، ونسأله المعونة والتوفيق لما يُحِبُّ ربنا ، ويرضى ، إنَّه جوادٌ كريم. وقد ذُكر: أنَّه ما فات أحدٌ صلاة الجماعة إلا بذنبٍ أصابه. وحُكي عن حاتم الأصم[(٣)] ـ رحمه الله ـ: أنَّه فاتته صلاة الجماعة مرَّةً ، فعزاه أبو إسحق البخاريُّ وحده ، فقال: لو مات لي ولدٌ لعزَّاني أكثر من عشرة آلاف؛ لأنَّ مصيبة الدِّين عند الناس أهونُ من مصيبة الدنيا .

وقال أبو هريرة: لئن تمتلىءَ أُذن ابن آدم رصاصاً مُذاباً خيرٌ من أن يسمع النداء ، ثم لا يجيبه .

= أولاد الصحابة ، ولد في حياة النبي ﷺ قرأ القرآن ، وجوَّده ومهر فيه ، توفي رحمه الله سنة (٧٤) هـ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) حاتم الأصم: أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، الواعظ الناطق بالحكمة، يقال لقمان هذه الأمة ، روى عن شقيق البلخي وصحبه ، توفي رحمه الله سنة (٢٣٧) هـ.

ولقد وعد الله ورسوله من واظب على صلاة الجماعة بكلِّ خيرٍ عظيم ، وثوابٍ جزيل. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨]. ومن عمارتها الصلاة فيها مع الجماعة.

وقال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور: ٣٦] يعني المساجد. قال ابن عباس: المساجد بيوت الله في الأرض ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أي: تعظم. ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا ﴾ أي: يُصلَّى له فيها ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ أي: بكرة وعشيّاً. والأصيل من زوال الشمس إلى الليل.

قال ابن عبّاس: أراد الصلوات الخمس ، فالتي تؤدَّى بالغداة صلاة الصبح ، والتي تؤدَّى بالعشي صلاة الظهر والعصر والعشاءين. ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: عن الصلاة. ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ثم أخبرنا عمَّا أعدَّ لهم في الآخرة فقال: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢].

قال عليُّ بن أبي طالب: هم السابقون إلى الصلوات الخمس في الجماعة. وقال مقاتل بن سليمان: إلى التكبيرة الأولى مع الإمام.

وقال تعالى: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢] أي: خطاهم إلى المساجد.

وصحَّ عن النبيّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ تطهَّر في بيته ، ثمَّ مشى إلى بيتٍ من بيوت الله ليقضي فريضةً من فرائض الله ، كانت خطوتاهُ إحداهما تحطُّ خطيئةً ، والأخرى ترفع درجةً» رواه مسلم في «صحيحه»[1].

وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح ؛ أعدَّ الله له في الجنَّة نزلاً كلَّما غدا وراح» رواه البخاريُّ ومسلم[2].

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٦٦) وابن حبان رقم (٢٠٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٢٢) ومسلم رقم (٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

و(النُّزل) : الكرامة التي تُهَيَّأ للضيف .

وقال ﷺ: «مَنْ توضأ ، فأسبغ الوضوء ، ثم مشى إلى الصَّلاة المكتوبة ، فصلَّاها مع النَّاس ، أو في الجماعة ، أو في المسجد؛ غُفرت له ذنوبه»[(١)] . مخرَّج في «الصحيحين» .

وقال ﷺ: «بشِّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنُّور التامِّ يوم القيامة»[(٢)] . يعني به : المشي إلى المسجد في الصبح والعشاء .

وفي قوله ـ ﷺ ـ «سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمسجد؛ إذا خرج منه حتى يعودَ إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» مخرَّج في الصحيحين»[(٣)] . فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنِّه وكرمه ، فإنه لا حول ، ولا قوة لنا إلاَّ به .

فصل آخر

وإذا منَّ الله على العبد ، ورزقه المواظبة على الصوات الخمس في الجماعة ، فليشكر الله على هذه النِّعمة ، ويَعْلَم أنَّ الله تعالى هو الذي أهَّله لذلك ، وجعله من

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٣٣) عن عثمان رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يتوضأ وهو في هذا المجلس فأحسن الوضوء ثم قال : «من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتي المسجد فصلى ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه» قال : وقال النبي ﷺ «لا تغتروا» وراه مسلم رقم (٢٢٦) بلفظ «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه» .
ورواه أحمد في المسند رقم (٤٨٣) بلفظ «من توضأ فأسبغ الوضوء ، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها غُفر له ذنبه» ولم نجده باللفظ الذي ذكره المؤلف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٥٦١) في الصلاة ، والترمذي رقم (٢٢٣) من حديث بريدة رضي الله عنه وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٢) ورجال إسناده ثقات ، أقول : وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وانظرها في الترغيب (١/ ١٢٩) ومجمع الزوائد (٢/ ٣٠ و٣١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٨٠٨) ومسلم رقم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

أهل طاعته ، وخدمته ، وزوار بيته ، وطرَدَ غيره ، ولم يؤهله لذلك ، فليشكر الله على ذلك .

كما نقل عن حاتم الأصم ـ رحمه الله تعالى ـ: أنَّه كان يقول: يُصبح النَّاس كلَّ يوم على ثلاثِ فرق: فرقة طردوا من باب الله ، وفرقة طردوا من خدمته ، وفرقة أكرموا بخدمته وطاعته ، فالذين طُردوا من بابه هم الكفارُ ، والذين طُردوا من خدمته هم الفُسَّاق؛ الذين لا يصلون ، ولا يحضرون في المساجد للصلاة ، والذين أكرموا بخدمته هم الذين يُصلون في المساجد التي هي بيوت الله في أرضه .

فالواجب على الشاكر أن يعترف بهذه النعمة: الذي جعله من أهل طاعته ولم يجعله من المطرودين عن بابه وخدمته ، فللَّه الحمد والمنَّة على الإسلام والسُّنَّة ، ونسأله أن يثيبنا على ذلك .

ثمَّ يأخذ المسلم حذَره من الشيطان الرَّجيم إذا رآه حريصاً على الخير ، وعلى صلوات الجماعة أن يصدَّه عن ذلك ، فإن لم يتمكَّن من صدِّه؛ أفسد عليه طاعته وصلاته ، كما تمكَّن من كثيرٍ من الجاهلين ، وصدَّهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فاشتغلوا بالدُّنيا عن الله وعن طاعته ، وهؤلاء ممَّن استولى عليهم الشَّيطان ، فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزبُ الشيطان ألا إن حزبَ الشيطان هم الخاسرون . ولم يتمكن من قومٍ آخرين ، بل خالفوه وأقبلوا على الصلاةِ في الجماعة في المساجد ، فقصد إفساد عملهم وصلاتهم ، وأمرهم بمسابقة الإمام في الرُّكوع ، والسُّجود ، والقيام ، والقعود ، فلمَّا فعلوا ذلك؛ بَلغ الشيطان مراده منهم .

ولهذا قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الذي يرفع رأسه قبل الإمام ويخفضه ، فإنما ناصيته بيد الشيطان»[1] .

---

(١) رواه البزار رقم (٤٧٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٧٨) وقال: رواه البزار وإسناده حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً. ورواه مالك في الموطأ (١/ ٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ، قال الحافظ في الفتح: رواه البزار من رواية مليح بن عبد الله السعدي عن أبي هريرة مرفوعاً ، وأخرجه عبد الرزاق من هذا الوجه موقوفاً وهو المحفوظ أقول: مليح بن عبد الله السعدي لم نجد له ترجمة في التقريب) (والتهذيب) (وتعجيل المنفعة) ، (وميزان الاعتدال) وقد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عليه .

وقال ﷺ: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحوِّل الله وجهه وَجْهَ حمارٍ، أو صورتَه صورةَ حمارٍ». أخرجه مسلم في «صحيحه»[1]. لأنَّه لمَّا غيَّر صورةَ الصلاة، وخالف إمامه؛ غيَّر الله صورته.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ ذات يوم، فلما قضى صلاته، أقبل علينا بوجهه، فقال: «أيها الناس! إني إمامكم، فلا تستبقوني بالرُّكوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالانصراف، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي»[2].

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبيُّ ـ ﷺ ـ إذا قال: «سمع الله لمن حمده» يعني: وسجد، لم يَحْنِ أحدٌ منَّا ظهره، يعني: لم نمل للسجود حتى نرى النبيَّ ـ ﷺ ـ قد وقع ساجداً، ثمَّ نقع سجوداً من بعده مخرج في صحيح البخاريِّ[3].

وهكذا الواجب على المأموم أن لا يشرع في فعلٍ من أفعال الصلاة حتَّى يرى إمامه قد فعله، وإلا؛ لم تصح صلاتُه عند أكثر العلماء؛ لأنه خالف نبيَّه.

فإنَّه ـ ﷺ ـ قال لأصحابه: «إني إمامكم، فلا تستبقوني بالرُّكوع، ولا بالسجود، ولا بالقيام، ولا بالانصراف». وأمره لأصحابه أمرٌ لأمَّته كلهم، ومَنْ خالفه ـ ﷺ ـ فلا يأمن من فتنةٍ تصيبه في الدُّنيا أو عذاب أليم في الأخرى.

كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] فنعوذ بالله من ذلك.

وقد احتجَّ من أبطل صلاة من سابق الإمام مع ما حصل له من الإثم بقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: لا صلاة لمن فعل ذلك.

وما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّه نظر إلى من يسابق الإمام، فقال له بعد أن سلَّم: «لا وحدك صليت، ولا بإمامك اقتديت».

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٩١) ومسلم رقم (٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٤٢٦) في الصلاة والنسائي (٣/ ٨٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٩٠) ومسلم رقم (٤٧٤) من حديث البراء رضي الله عنه.

وكذلك روى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ثم ضربه ، وأمره أن يعيد الصلاة ، ولو كان صحت صلاته ، لماأمره بإعادتها ، فليعلم العبد ذلك ، ويأخذ حذره من الشيطان الرجيم ، فإنَّه عدوٌ ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] فنعوذ بالله منه .

* * *

الكبيرة الخامسة

منع الزكاة

قد سمَّى الله مانع الزَّكاة مشركاً بقوله تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]. قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: كلُّ مالٍ أُدِّيَتْ زكاتُه؛ فليس بكنز، وكلُّ مالٍ لم تؤدَّ زكاته؛ فهو كنز، وإن كان ظاهراً على وجه الأرض.

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامة؛ صفِّحت له صفائح من نارٍ، فأحمي عليها في نار جهنَّم، فيُكوى بها جنبهُ، وجبينهُ، وظهرهُ، كُلَّما بردت؛ أُعيدت له في يوم كان مقدارهُ خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين النَّاس، فيُرَى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإما إلى النَّار»[1].

قال ابن مسعود: لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم، ولكن يوسَّع جلده، حتى يوضع كلُّ دينارٍ ودرهم على حدة. فإن قيل: لمَ خصَّ الجباه، والجنوب، والظهور بالذكر؟ قيل: لأنَّ هذه الأماكن مجوّفة، فيصل الحرُّ إلى أجوافها.

وقيل: لأن الغنيَّ مانع الزكاة إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى ما بين عينيه،

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا قرب منه أعرض عنه لجنبه ، فإذا ضمه وإياه المجلس ولّاه ظهره ، فعوقب بكيِّ هذه الأعضاء .

وقال ﷺ : «ما مِنْ صاحب إبلٍ لا يؤدي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامة ؛ بُطح لها بقاع قَرْقرٍ أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها ، وتعضُّه بأفواهها ، كلَّما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخْراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يُقضى بين الناس ، فيُرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار .

وما مِنْ صاحب بقرٍ ، ولا غنمٍ لا يُؤدِّي منها حقَّها إلَّا إذا كان يوم القيامة ؛ بُطح لها بقاع قرقرٍ أوفر ما كانت ، ليس فيها عقصاء ، ولا جلْحاءُ ، ولا عضْباءُ ، تَنْطَحُهُ بقرونها ، وتعضه بأفواهها كلَّما مرَّ عليه أولاها ، رُدَّ عليه أخراها ، في يوم كان مقداره وخمسين ألف سنةٍ ، حتى يُقضى بين الناس ، فيُرى سبيلُه إمَّا إلى الجنَّة ، وإمَّا إلى النار» مخرج في الصَّحيحين»[1] .

وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ . . . ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ما مِنْ صاحبِ كَنزٍ لا يفعلُ فيه حقَّه إلا جاءَ كنزهُ يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه ، فاتحاً فاه حيث ما ذهب ، وهو يفرُّ منه ، فيقال : هذا مالك الذي كنت تبخل به ، فإذا رأى : أنَّه لا بدَّ له منه ؛ أدخل يده في فيه ، فيقضمها كما يقضم الفحل» . أخرجه مسلم في «صحيحه»[2] . والفحل : الجمل الهائج .

وقد تقدَّم أن الكنز هو كل مالٍ لم تؤد زكاته ، وإن لم يكن مدفوناً ، وما أديت زكاته لا يسمى كنزاً وإن كان مدفوناً .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه ؛ مُـثِّـل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان ، يُطوِّقه يومِ القيامة ، ثمَّ يأخذ بلهزِمَتَيْـه ـ يعني : شدقيه ـ

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤٠٢) ، ومسلم رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله (بقاع قرقر) القاع المكان المستوى من الأرض الواسع ، والقرقر : الواسع قوله : (عقصاء) . العقصاء الشاةُ الملتويةُ القِرنين . قوله : (جَلحاء) ، الجلحاء : الشاة التي لا قِرْنَ لها . قوله : (بأظلافها) : الظلف للشاة ـ كالحافر للفرس .

(٢) رواه مسلم رقم (٩٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

ثمَّ يقول: أنا مالك! أنا كنزك!» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[(١)].

وقيل: هو طوقٌ من نارٍ يُطَوَّق به مانع الزكاة إذا مات.

وقد اشتهر ما روى عن محمد بن يوسف الفريابي[(٢)] قال: خرجنا في زيارة أبي سنان[(٣)] ـ رحمة الله عليه ـ فلمَّا دخلنا عليه؛ قال: قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه. فخرجنا إليه، فلمَّا دخلنا عليه؛ إذا هو جزع لا يقبل عزاءً، ويبكي كثيراً، فقال له أبو سنان: ياأخي! أما تعلم أنَّ الموت سبيل لا بدَّ منه؟! فقال: أعلم ذلك، ولكن أبكي على ما أمسى فيه أخي من شدَّة العذاب؟! فقال: أعلم ذلك، ولكن أبكي على ما أمسى فيه أخي من شدَّة العذاب! فقلنا: هل أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا، ولكنِّي لما دفنته، وسوَّيت عليه التراب، وكان متهاوناً بإخراج الزكاة، فلمَّا انصرف الناس عنه، وأردت أنا الانصراف؛ إذا صوتٌ من قبره يقول: آه! فاستمعت إلى قبره، فإذا هو صوت أخي يقول: آه! فأردت نبشه، فسمعت قائلاً يقول: لا تنبشه! فتركته، وولَّيتُ عنه، فسمعته يقول: أفردتموني وحيداً، قد كنت أصوم، وقد كنت أصلِّي. فقلت: والله! لا تركت نبشه لأنظر ما حاله؟ قال: فنبشته، فوجدت في عنقه طوقاً من نارٍ، فمددت يدي، لأقطع الطَّوق من رقبته، فقُطعت يدي قبل أن تصل إليه. ثم أخرج يده إلينا وهي مقطوعة. قال: فأتينا أبا ذرٍّ، فقلنا: يا أبا ذرٍّ! يموت اليهود والنصارى ولا نرى فيهم مثل هذا؟! فقال: أولئك لا شكَّ أنهم في النَّار، وإنما يريكم في أهل الإيمان، لتعتبروا.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) محمد بن يوسف الفريابي ـ تركي الأصل، عالم بالحديث، من الحفاظ، أخذ بالكوفة عن سفيان، وقرىء عليه بمكة نزل قيسارية (بفلسطين) وتوفي فيها رحمه الله سنة (٢١٢) روى عنه البخاري (٢٦) حديثاً وله مسند في الحديث.

(٣) أبو سنان، هو ضرار بن مرة الكوفي ـ أبو سنان الشيباني الأكبر قال الحافظ في «التقريب»: ثقة ثبت توفي سنة (٢٣٢) هـ رحمه الله.

﴿أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المناقون: ١٠].

قال ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: ما مِنْ أحدٍ يموت وله مالٌ لم يؤد زكاته، وأطاق الحجَّ ولمَ يحجَّ؛ إلا سأل الرجعة عند الموت. فقال له قائل: اتق الله يا بن عبَّاسٍ؛ فإنما يسأل الرَّجعة الكفار، فقرأ ابن عباسٍ هذه الآية: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

فمن منع حقَّ الله من ماله؛ فقد سلك طريق الكافرين، وألقى نفسه في الهلاك، واختار لها نار جهنم إنْ لم يتُب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا ريب فيها،

ولا شكَّ، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وقوله الحقَّ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فمن شكَّ في هذا؛ فقد كذَّب بآيات الله، ومِن منع الزكاة التي أمَرَ الله بها؛ فقد ألقى بيده إلى التهلكة على علمٍ يقينٍ لا ريب فيه.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في مواضع كثيرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فإقام الصلاة حقٌّ لله تعالى واجب شكر النِّعمة للخلق، وإيتاء الزَّكاة حقٌّ لله تعالى واجب شكر النِّعمة للرزق، فَمَنْ أدَّى زكاة ماله، وصلَّى؛ فقد سلك طريق الشاكرين، ومَنْ منع الزَّكاة، ولم يصلِّ؛ فقد سلك طريق الكافرين، وثوابه يصل إليه في الآخرة وعقابه يصل إليه أيضاً في الآخرة.

كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] أي: عليها.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] والقرآن مملوءٌ بآيات الزكاة، والوَعدِ لمن أطاع بخير الدنيا والآخرة ومن التحذير والنهي عن البخل بالزكاة، والوعيد الشديد بسوء عذاب الدنيا والآخرة، كما تَقَدَّم من الآيات والأخبار عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] أي: مَنْ أعطى ما أُمر بـه الزكاة وغيرها، واتَّـقى الله في منعها،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣١٦) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، وإسناده ضعيف.

ولم يبخل بها. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالخلف من الله. وقيل: بوعد الله أن يثيبه بالجنَّة. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: للخلة اليُسرى؛ أي: نُيَسِّر عليه العمل بما يرضى الله به عنه. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ [الليل: ٨] بالزكاة، والنفقة في وجوه الخير، ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثواب الله. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠] أي: للشرِّ حتى يعمل بما لا يُرضي الله، فيستوجب به النَّار. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ١١] أي: وما يغنى عنه ماله الذي بخل بأداء حقِّ الله منه، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ أي: إذا هوى في نار جهنم. أجارنا الله منها! ففي هذا الخبر الذي أخبر الله - عزَّ وجلَّ - في هذه الآيات كفايةٌ لِمَنْ يسمع أو يعقل، وإنَّما أنزل الله - عزَّ وجلَّ - كتابه مبشراً لِمَن أطاع، ومنذراً لِمَنْ عصى وامتنع.

كما قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ١ - ٤].

كما أخبر رسول الله - ﷺ - فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] فالقرآن والرَّسول - ﷺ - قد بشّر مَنْ أطاع وأدَّى ما أوجب الله عليه بالجنة، وأوعد من عصى وخالف بالنَّار الكبرى؛ التي لا يصلاها إلاَّ الأشقى؛ الذي أعرض عن الذكرى وتجنَّبها.

كما قال الله تعالى لنبيِّه - ﷺ -: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠] أي: سيتَّعظ بالذكرى ﴿مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١٠ - ١١] أي: ويتجنب الذكر الأشقى؛ أي: الشقي. ثم أخبر عن مآله، ومصيره فقال: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ [الأعلى: ١٢] فيستريح مِنْ غمِّها ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه. وأيُّ مصيبةٍ أعظم من هذه المصيبة لِمَنْ أعرض وامتنع من أداء ما أوجب الله عليه من الزَّكاة في ماله؟! وأيُّ بلاءٍ أعظم مِنْ هذا البلاء؟! نعوذ بالله من هذا البلاء العظيم والعذاب الأليم. لكن هذا ذكرنا من مصيبة مانع الزكاة وبلائه أحد فتن المال، والغنى الذي استعاذ النبيُّ - ﷺ - منه، وأخبر عنه.

فقال ﷺ: «لكلِّ أمَّةٍ فتنة، وفتنة أمتي المال»(١).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٦٠) والترمذي رقم (٢٣٣٦) من حديث كعب بن عياض وهو حديث صحيح.

وكان يقول: «اللَّهمَّ إني أعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر»[1]. فالفتنة بالمال والغنىٰ مصيبةٌ عظيمةٌ، ومحنةٌ من الله تعالى، قلَّ مَنْ ينجو منها إلا مَنْ عصمه الله، وأراد به خيراً، فعلى العاقل أن ينظر لنفسه، ويتدبَّر كتاب ربِّه، ويتفكَّر في نفسه كيف كان أولاً عدماً لا يُذكر، فأخرجه الله تعالى من صُلب أبيه نطفةً، فاستقرّ في رحم أمِّه نطفةً من ماءٍ مهين، ثمَّ جعل الله النُّطفة علقةً، ثمَّ خلق العلقة مُضْغَةً، ثمَّ خلق المُضْغَةَ عظاماً، ثمَّ كسى العظام لحماً، وصوَّره، وشقَّ سمعه، وبصره، ونفخ فيه مِنْ روحه، وسخَّر له ملائكةً في بطن أمّه تُقَلِّبُه يميناً وشمالاً، وغذَّاه في بطن أمِّه، ثمَّ وسَّع له ما كان ضيِّقاً، وسهَّل له الخروج، وأخرجه إلى هذه الدَّار ضعيفاً لا قوَّة له، جاهلاً لا علم عنده، فقيراً لا مال معه، وسخَّر له أبويه يربيانه باللُّطف والشَّفقة التَّامة، وينظفانه مِنْ الأقذار، وأخرج له مِنْ صَدْر أمِّه لبناً خالصاً صافياً حلواً بارداً في الصيف، فاتراً في الشتاء، يخرج من أماكن كثيرة من حَلَمَةِ الثَّدي؛ كيلا يؤذيه بالشَّرَقِ إذا أُنزل من مكانٍ واحد، ولم يزل ينقله طوراً طوراً إلى أن بلغ، وصار رجلاً، وسخر له أبويه بغاية الشَّفقة والمحبَّةِ، إلى أن صار إلى هذا الحال، وسخر له ما في السَّموات وما في الأرض من شمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ، وما في الأرض من شجر، ونبات، وحيوان.

كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣] ورفع عنك قلم التكليف إلى أن بلغتِ الحُلُمَ، لُطفاً بك منه؛ كيلا يَحمِّلَكَ ما لا طاقة لك به، فلمَّا بلغت أشدَّك، وقدرتك على العمل؛ أمرك بطاعته، ونهاك عن معصيته، وأعطاك ما أعطاك من ماله، وأمرك بإخراج جزءٍ منه مواساة وسدّاً لحاجة مَنْ لم يؤته مثلما آتاك، وحذَّرك من مخالفة الله؛ لا حاجة منه إلى طاعتك، ولا استضراراً بمعصيتك؛ ليرجع إليك ثواب طاعتك إن أطعته، وتحذيراً مِنْ وبال معصيتك إنْ خالفته.

كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [الجاثية: ١٥] واختياراً منه تعالى لعباده؛ ليظهر المطيع من العاصي.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٧٨)، وأبو داود رقم (١٥٤٤) وابن حبان رقم (١٠٣٠)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، بلفظ «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقه، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الدهر: ٢] نختبره ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ نختبره بالأمر والنهي. قال بعض المفسرين: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فجعلناه سميعاً بصيراً لنختبره بالأمر والنهي ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنَّا له سبيل الحق والباطل، والهدى والضلال، وعرَّفناه طريق الشرِّ والخير ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: إما معترفاً لله بنعمته، قائماً بطاعته وامتثال أمره، وإما كافراً بنعمة الله، ممتنعاً من طاعته، مخالفاً لأمره. فالله تعالى إنَّما أعطى أناساً في هذ الدنيا من المال، ومنع آخرين امتحاناً منه، واختباراً لمن أعطاه؛ هل يكون من الشاكرين أم من الكافرين، فإن أعطى ممَّا آتاه الله تعالى ما أُمر به طيِّبة بهانفسُه لِمَنْ لم يُؤته الله مثل ما آتاه من الفقراء والمساكين؛ كان من الشاكرين، وإن بخل ومنع؛ كان من الكافرين. فالله تعالى امتحن الأغنياء بالفقراء، وامتحن الفقراء بالصبر والاحتساب عمَّا أوتي الأغنياء.

كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] فمن كان له مال في هذه الدُّنيا مِنْ ذهبٍ، أو فضَّةٍ، أو إبلٍ، أو بقرٍ، أو غنمٍ تجب فيها الزكاة، أو عروضٍ للتجارة من قماشٍ، أو قطنٍ، أو غير ذلك ممَّا يُعدُّ للبيع وقيمته مئتا درهم؛ التي هي أقلُّ نصاب الزكاة، وما زاد فبحسابه؛ فأدَّاها عند تمام الحول طيِّبةً بها نفسه، شكراً لنعمة الله، وطاعةً له ولرسوله؛ فقد سلك طريق الجنَّة مع الشَّاكرين.

وَمَنْ منعَها بُخلاً منه، وخشْيَةً من الفقر؛ الذي وعده به الشيطان؛ فقد كفر نعمة الله وعصاه، وأطاع الشَّيطان، وسلك طريق النَّار مع الكافرين. فنعوذ بالله مِنْ تسويل الشيطان الرَّجيم، ونسأل الله التوفيق لما يُحبُّ ويرضى، إنَّه جوادٌ كريم.

فصل

في بيان المحنة بالمال، وأنه فتنة، وبليَّةٌ لصاحبه إذا لم يؤد حقَّ الله منه.

وقد تقدَّم قول النبي ـ ﷺ ـ: «لكل أمَّةٍ فتنة وفتنة أمتي المال»[1]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وليس ذلك لعموم

(١) تقدم تخريجه.

النَّاس ، وإنما ذلك لمن اشتغل به عن الله ، وعن طاعته ، ومنع حقَّ الله منه ، فهذا هو الذي عليه فتنة وبليَّةٌ . نعوذ بالله من ذلك .

وأمَّا المحنة به ، فاعلم ـ رحمك الله ـ أنما أوتيت ما أوتيت من المال في هذه الدُّنيا امتحاناً من الله لك ، فإن اتقيت الله تعالى ، وأعطيت ما أمرك الله به ؛ نلت رضا الله تعالى ، وكنت عنده مرضيّاً .

وإن بخلت ، ومَنَعْتَ الحقَّ الذي أوجب الله عليك ؛ أدركك سَخَط الله ؛ الذي لا يقوم لمثقال ذرَّةٍ منه السَّموات والأرض وما فيهنَّ .

وتصديق ذلك والدَّليل عليه ماروى البخاريُّ ومسلمٌ في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال : «إنَّ ثلاثةً من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملَكاً ، فأتى الأبرص ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال : لونٌ حسنٌ ، وجلدٌ حسنٌ ، ويذهب عنِّي هذا الذي قد قذرني الناس! قال : فمسحه ، فذهب عنه قذرَه ، وأعطي لوناً حسناً . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال : الإبل ، فأعطي ناقة عُشراء ، وقال : بارك الله لك فيها!

قال : وأتى الأقرع ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال : شعرٌ حسنٌ ويذهب عني الذي قذرني الناس[1] . قال : أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال : البقر ، فَأُعطي بقرةً حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها!

وأتى الأعمى ، فقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال : أن يردَّ الله عليَّ بصري ، فَأُبصرُ الناس ، فمسحهُ[2] فردَّ الله عليه بصرَه ، وقال : أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك من المال؟ قال الغنم ، فأُعطي شاةً والداً ، فأنتج هذان ، وولَّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم .

ثمَّ إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجلٌ مسكين ، وابن السبيل ، فقد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلاَّ بالله ثمَّ بك ، أسألك بالذي أعطاكَ اللون الحسن ، والجلد الحسن بعيراً أتبلَّغُ به في سفري؟ فقال : الحقُوق

(١) سقط من المخطوط ، واستدركناه من الأصل .
(٢) سقط من المخطوط واستدركناه من الأصل .

كثيرة ، ولم يعطه شيئاً. فقال: كأني أعرفك! ألم تكن أبرصَ يَقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً؛ فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، فردَّ عليه مثلما ردَّ عليه هذا ، فقال: إن كنت كاذباً ، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثمَّ بك ، أسألك بالَّذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلَّغ بها سفري. فقال: قد كُنت أعمى ، فرد الله إليَّ بصري ، فخذ ما شئتَ ، ودَع ما شئت ، فوالله لا أجْهدُك شيئاً أخذته لله عزَّ وجلَّ! فقال المَلَك: أمسك مالك ، فإنَّما ابتليتم ، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك»[1].

ففي هذا الحديث موعظةٌ عظيمةٌ لِمَنْ أراد الله أن يهديَهُ. وقوله ـ ﷺ ـ في أول الحديث: «أراد أن يبتليهم» بيانٌ للمقصود الذي لأجله يبتلى الله من شاء بالغنى ، فمن ابْتُليَ بالمال ، وأدَّى ما أوجب الله عليه مِنْ حقِّه؛ فقد سلك طريق الشاكرين التي يرضى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بها ، ومَنْ مَنَعَ ما أوجب الله عليه بخلاً؛ فقد سلك طريق الكافرين؛ التي لا يرضى الله بها ، ويسخط على مَنْ سلكها.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه العزيز: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

حديث ثعلبة: يريد من ذلك بياناً لِمَن أنكر نعمة الله ، ومنع حقَّه الذي أوجبه الله عليه ، وما صار عاقبة أمره إليه من الكفر والنفاق في الدنيا ، ثمَّ نار جهنم في الآخرة ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ما ذكره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه العزيز ، وما قصَّه من قوله تعالى في كتابه على لسان نبيه ـ ﷺ ـ ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٦٤) ، ومسلم رقم؛ (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة.

وسبب نزول هذه الآية في رجلٌ من الأنصار يقال له : ثعلبة بن حاطب الأنصاريُّ على ماروى أبو أمامة الباهليُّ ـ رضي الله عنه ـ قال :

جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاريُّ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يرزقني مالاً ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ويحك يا ثعلبة ! قليلٌ تؤدي شكرَه خيرٌ من كثير لا تطيقه ! » .

ثمَّ أتاه بعد ذلك ، فقال : يا رسول الله ! أدع الله يرزقني مالاً ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ويحك يا ثعلبة أمالك فيَّ أسوةٌ حسنةٌ ؟ والذي نفسي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال معي ذهباً أو فضة ؛ لسارت ! » .

ثمَّ أتاه بعد ذلك ، فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يرزقني مالاً ! والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله لأعطيَنَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «اللَّهمَّ ارْزُقْ ثعلبة مالاً ! » قال : فاتَّخذ غنماً ، فنمت كما ينمو الدُّود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحَّى عن المدينة ، فنزل وادياً من أوديتها ، والغنم تنمي كما ينمو الدُّود ، وكان يصلي مع النبيِّ ـ ﷺ ـ الظُّهر ، والعصر ، ويصلِّي في غنمه سائر الصلوات ، ثمَّ كثرت ، ونمت حتى تباعد بها عن المدينة ، فصار لا يشهد إلا الجمعة .

ثمَّ كثرت ، ونمت فتباعد بها حتى كان لا يشهد جمعةً ولا جماعة ، فكان إذا كان يوم الجمعة ؛ خرج يتلقَّى الناس يسألهم عن الأخبار .

فذكره رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم ، فقال : «ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا : يا رسول الله ! اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها وادٍ ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «يا ويحَ ثعلبة ! يا ويحَ ثعلبة ! يا ويحَ ثعلبة ! » فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ آية الصَّدقات ، فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً من بني سُليم ، ورجلاً من جُهينة ، وكتب لهما أسنان الصَّدقة كيف يأخذانها وقال لهما : «مرَّا بثعلبة بن حاطب ، وبرجلٍ من بني سُليم ، فخذا صدقاتهما» فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصَّدقة ، وقرآ عليه كتاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أختُ الجزية ! انطلقا حتى تفرغا ، ثمَّ عودا إليَّ ! . . . فانطلقا ، وسمع بهما السُّلميُّ ، فنظر إلى خيار إبله ، فعزلها للصدقة ، ثمَّ استقبلهما بها ، فلمَّا رآها ؛ قالا له : ماهذا عليك ! فقال : خُذاه ، وإنَّ نفسي بذلك طيبةٌ . فأخذاه ، ودعوا له ، ثمَّ مرَّوا على الناس ، وأخذوا الصَّدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ، فقال : أروني كتاب رسول الله ـ ﷺ ـ فأروه ، ثم

قال: ما هذه إلا جزيةٌ! ما هذه إلا أختُ الجزية! اذهبا حتى أرى رأيي ، فانصرفا عنه ، ولم يعطهما شيئاً ، فأقبلا إلى المدينة ، فلمَّا رآهما رسول الله ـ ﷺ ـ قال قبل أن يكلماه: «يا ويح ثعلبة! يا ويح ثعلبة! يا ويح ثعلبة!» ثم دعا للسُّلمي بخير ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيه هذه الآية: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ... ﴾ إلى قوله ﴿ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ وكان عند رسول الله ـ ﷺ ـ رجلٌ مِنْ أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال: ويحك يا ثعلبة! لقد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبيَّ ـ ﷺ ـ فسأله أن يقبل صدقته ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله منعني أن أقبل منك صدقتك» فجعل يحثو التراب على رأسه ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «هذا عملك بنفسك ، قد أمرتك فلم تطعني». فلما أبى أن يقبل رسول الله ـ ﷺ ـ صدقته؛ رجع إلى منزله ، وقُبض رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أتى أبا بكرٍ ، فقال: اقبل صدقتي؛ فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ـ ﷺ ـ فأقبلها أنا! فقُبض أبو بكرٍ ولم يقبلها ، فلمَّا ولِّيَ عمر ، أتاه ، فقال: اقبل صدقتي! فقال: لم يقبلها منك رسول الله ـ ﷺ ـ ولا أبو بكر أقبلها أنا! فلم يقبلها ، فلمَّا ولِّيَ عثمان؛ أتاه فلم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان[1].

وقال ابن عباسٍ ، وسعيد بن جبير ، وقتادة: أتى ثعلباً مجلساً من مجالس الأنصار ، فأشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله؛ آتيت كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، وتصدقت منه ، ووصلت القرابة ، فمات ابن عمٍّ له ، فورثه مالاً ، فلم يفِ بما قال ، فأنزل الله فيه هذه الآية ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ لنؤدِّين حقَّ الله منه ﴿ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ نعمل فيه بعمل أهل الصَّلاح من صلة الرحم والنفقة في الخير ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٠) رقم (٧٨٧٣) وابن جرير الطبري (١٤/ ٣٧٠) رقم (١٦٩٨٧) وفي أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٢) والغزالي في الإحياء (٣/ ١٣٥) وقال العراقي وسنده ضعيف ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢) رواه الطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني متروك ، وقال الحافظ في تخريج الكشاف (٤/ ٧٧ و١٣٣): وإسناده ضعيف جداً.
أقول في إسناده علي بن يزيد الألهاني متروك ، ومعان بن رفاعه السلامي لين الحديث ، والحديث ضعيف جداً سنداً ومتناً.

﴿مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: صيَّر عاقبة أمرهم النفاق، وقيل: عاقبهم بنفاق قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ يريد: حَرَمَهُم التوبة إلى يوم يلقونه ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

وهذه علامة المنافق، كما قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[1].

وفي رواية: «آية المنافق ثلاث وإن صام، وصلى، وزعم أنَّه مسلم: «إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان حديث صحيح[2].

فهذه عقوبة من آتاه الله مالاً، وائتمنه عليه، وامتحنه؛ لينظر: أيشكر أم يكفر؟ فبخل بأداء حقِّ الله منه، وكفر نعمة الله عليه، والله غنيٌّ حميد عنه وعن ماله.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم: ٧].

والزيادة التي وعد الله بها تكون في الدنيا، ثمَّ توصل بنعيم الأخرة، والعذاب الموعد من كفر نعمة الله يكون في الدنيا بقطع النِّعمة وزوالها، وإباحة قتله وقتاله، كما قاتل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ والصحابة مانعي الزكاة، وقتلوا منهم من أصَّر على منعها، ثمَّ يتَّصل بعذاب الآخرة إذا لقي الله مصراً على ذلك؛ لما تقدَّم من الآيات والأخبار في عذاب مانع الزكاة في الآخرة، ولقوله ـ ﷺ ـ: «أوَّل ثلاثةٍ يدخلون النَّار: أميرٌ مسلَّط، وذو ثروة لا يؤدي حقَّ الله مِن ماله، وفقير فخور[3]».
إلا أن يتوب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويخرج من ماله ما أوجبه الله تعالى للفقراء، فمن تاب؛ تاب الله عليه، وقبل توبته، وزاده من فضله. كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. وقال تعالى:

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣) ومسلم رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٩ و ١١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٩٤٩٢) والطيالسي رقم (٢٥٦٧) وابن خزيمة رقم (٢٢٤٩) والحاكم (١/ ٣٨٧) وابن حبان رقم (٤٦٥٦) وإسناده ضعيف فيه عامر بن عقبة العقيلي، قال الذهبي لا يعرف، وكذا أبوه لا يعرف. قوله (فخور) في الأصل (فجور).

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

ولا بدَّ مع التوبة مِنْ إخراج ما لزمه في السنين المتقدِّمة ؛ فإنَّ الزكاة بمنزلة الدَّيْن في الذِّمَّة ، فهي ديْنُ الله ـ على عبده إذا ملك نصاباً من المال مأموراً بأدائه إلى من ذكر الله عزَّ وجلَّ ـ. في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ . . . ﴾ [التوبة : ٦٠] .

فواعجباً ممَّن أعطاه الله من ماله ، وأنعم عليه ، وأمره بالتصدُّق منه ؛ ليبقى له ذخراً في يوم فقرِه وفاقته ، ثم يبخل على نفسه بذلك ، وهو يعلم ويتحقق : أنه يموت ويخلِّفُه لِمَنْ لا يغني عنه مِنَ الله شيئاً ، ولا يدفع عنه عذاب مِنْ عذاب الله إذا انزل به مثقال ذرَّةٍ ! !

وتصديق ذلك في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان : ٣٣] .

فنعوذ بالله من شُرُور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ونسأله العصمة ، والتوفيق لما يُحِب ويرضى ، إنَّه جواد كريم .

فصل في فضل الجود والسَّخاء وذم البخل

قد أثنى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على الأسخياء ، ووعدهم بجنَّات النعيم ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج : ٣٥] .

وأثنى على المُؤثرين على أنفسهم وجعلهم مفلحين . قال الله ـ عزَّ زجلَّ ـ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] .

وسبب نزول هذه الآية ما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ رجلاً أتى النبيّ ـ ﷺ ـ فاستضافه فبعث النبي ـ ﷺ ـ إلى نسائه كلهنَّ ، فَقُلْنَ كلُّهنَّ : والذي بعثك بالحق نبيّاً ما عندنا إلا الماء ! فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ لأصحابه : «من يُضيِّف هذا الرجل ؟» فقال رجلٌ من الأنصار : أنا يا رسول الله ! فانطلق به الأنصاريُّ إلى رحله ، فقال لأمرأته : أكرمي ضيف رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت المرأة : ما عندي إلا قوت الصبيان !

فقال: عَلِّلِيْهِم بشيء، فإذا دخل ضيفُنا؛ فصبِّي الطعام، وأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، ونوِّمي الصبيان إذا أرادوا العَشاء. فهيأت المرأةُ الطعام، ونوَّمت الصبيان، فلمَّا دخل الضَّيف؛ قامت كأنها تصلح السِّراج، فأطفأته، وجعلا يُريان الضيف: أنهما يأكلان، فأكل الضيف، وبات الأنصاري وزوجتهُ طاويين، فلمَّا أصبح غدا على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «قد عجب الله مِنْ صنيعكما بضيفكما اللَّيلة، وأنزل هذه الآية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] [الحشر: ٩].

والشُّحُّ: أسوأ البخل، فمن وقاه الله شح نفسه كان من المفلحين، ومن كان شحيحاً كان من الخاسرين.

وفي الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ أنَّه قال: «السَّخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنَّة، قريبٌ من النَّاس بعيدٌ من النَّار. والبخيل بعيدٌ من الله بعيدٌ من الجنَّة، بعيدٌ من النَّاس قريب من النَّار. ولجاهلٌ سَخيٌّ أحبُّ إلى الله مِنْ عابدٍ بخيل»[2].

وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[3].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٧٩٨) ومسلم رقم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٦٢) والعقيلي في الضعفاء (١٥٤) وابن حبان في روضة العقلاء ص (٢٤٦) وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن محمد الوراق، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يَروى عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل.
وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد ولا غيره.
وقال ابن حبان: إن كان حفظ سعيد بن محمد إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب، أقول: وسعيد بن يحيى هذا قال: ابن معين لبس بشيء وقال النسائي ليس بثقة ـ وقال الدارقطني متروك.

(٣) رواه البزار رقم (٨٠) والعقيلي ص (٣٥٢) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٣٢٥ و٣٢٦ و٣٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في الأوسط مجمع البحرين رقم (١٥) من طريق آخر عن أنس رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٧٥٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
ورواه البزار رقم (٨٢) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فالحديث بهذه الطرق صحيح بشواهده وقد حسنه الشيخ ناصر في الصحيحة رقم (١٨٠٠) =

وقال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد مؤمن أبداً»[1].

وعن زيد بن أسلم[2]: أنَّه قال: «يا بن آدم! أمركَ الله أن تكون كريماً وتدخل الجنة، ونهاكَ أن تكون لئيماً فتدخل النار» واللئيم: هو البخيل.

وقال ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق»[3].

وفي رواية: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبدٍ أبداً»[4].

وكان النبي - ﷺ - يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من البخل!»[5].

وعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه -: أنَّه قال: إذا مات السَّخيُّ؛ قالت الأرض والحفظة: ربِّ تجاوز عن عبدك بسخائه في الدُّنيا. وإذا مات البخيل؛ قالت: اللهمَّ احجب هذا العبد عن الجنَّة كما حجب عبيدك ممَّا جعلت في يده!».

وقالت الحكماء: مَنْ كان بخيلاً؛ ورث ماله عدوَّه.

وقال النبيُّ - ﷺ - وقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي! مالي! وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت» وفي رواية «فأبقيت»[6].

= وقال المنذري في الترغيب عقب حديث أنس (١/ ١٦٢) رواه البزار والبيهقي وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى.

(١) رواه النسائي في السنن (٦/ ١٣) ورقم (٣١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٢) زيد بن أسلم، الإمام الحجة القدوة: أبو عبد الله العدوي العمري، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ - توفي رحمه الله سنة (١٣٦) هـ.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٨٢) والترمذي رقم (٢٠٢٨) وعبد بن حميد في المنتخب له رقم (٩٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث (صدقة بن موسى) أقول صدقة بن موسى قال الذهبي: ضعيف، ضعفه ابن معين وغيره، وقال المنذري ضعيف.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٣٧١) ومسلم رقم (٢٧٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم رقم (٢٩٥٨) والترمذي رقم (٣٣٥١) والنسائي (٦/ ٢٣٨) من حديث عبد الله بن الشِخِّير رضي الله عنه.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «أيكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله! ما منا أحدٌ إلا ماله أحبُّ إليه من مال وارثه! قال: «فإنَّ ماله ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر»[1].

وقال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثةٌ: أهلُه ، ومالهُ ، وعملهُ ، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ ، يرجعُ أهلُه ومالهُ ، ويبقى عمله»[2].

وقال يحيى بن معاذ[3] ـ رحمه الله ـ مصيبتان لابن آدم في ماله عند موته ، لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما! قيل: وما هما؟ قال؟ يؤخذ منه كلُّه ، ويُسأل عنه كلُّه.

وكان يقول: يا بنَ آدم! إذا أفنيت عمرك في طلب المال متى تأكله؟

وكان يقول عند قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]: عجبت لمن يبقى له مال وربُّ العزَّة!

وقيل: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى! أشكو إليك عبادي استقرضتهم ممَّا أعطيتهم فبخلوا ، وحذَّرتهم من عدوِّهم ، فلم يحذروا».

وفي رواية «إنَّ الله تعالى يقول: المال مالي ، والجنَّة جنتي ، فاشتروا جنتي بمالي».

وقال بعضهم: أيُّها الشَّحيحُ على نفسه بما ينفعه في آخرته! مثل في نفسك: لو أرسل إليك سلطان عادل في رعيته ، جوادٌ ، كريمٌ ، يعطي عطاءً جزيلاً لمن يُعامله ، ولِمَنْ لا يعامله ، ويضاعف العطاء لمن يعامله أكثر ، أرسل إليك يستقرض منك شيئاً مما أنعم به عليك ، ويردُّ عليك أضعافه؛ ألست تبادر إلى إجابته ، وإعطائه ما سأل؛ طمعاً منك في جوده وكرمه ، ورد أضعاف ما أقرضته مع

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٤٢) والنسائي (٦/ ٢٣٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٥١٤) والحميدي رقم (١١٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة ومن أقواله: مسكين ابن آدم قَلْعُ الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار ، خرج إلى بلْخ ، وأقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله.

محبته لك ، وتقريبه إيَّاك إذا أجبته ما سأل؟ فربُّ العالمين أولى بهذه المعاملة ؛ إذ هو أكرم الأكرمين ، وهو الذي أعطاك المال والبنين وجميع ما عندك من فضله وإحسانه وجوده .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] ثم إنَّه تعالى استقرضك ممَّا أعطاك ؛ ليضاعف لك الثواب إذا رجعت إليه في أخراك فقيراً لا مال معك ، ولا أهل ، ولا ولد ، واختباراً لك فيما أعطاك في مواساة الفقراء والمساكين في الدنيا .

وهو معنى قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] أي : من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقِه .

كما جاء في الحديث عن النبيِّ ـ ﷺ ـ «إن الله تعالى يقول يوم القيامة : ابن آدم! استطْعمتُك فلم تُطعمْني! قال : يا رب! كيف أُطعمك وأنت ربُّ العالمين؟! قال : استطعمَكَ عبدي فلانٌ ، فلم تطعمه! أما علمت : أنك لو أطعَمته لوجدت ذلك عندي؟!»[1] .

قال العلماء : وسمَّى الله تعالى الصدقة قرضاً لثلاثة أوجهٍ . أحدها : أنَّ القرض يبذل للجزاء ، فتطمئن نفس البخيل إلى العوض .

الثاني : أنَّه يتأخر قضاؤه فيعلم الصبر .

الثالث : لبيان العوض من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

فروى البخاريُّ في «صحيحه»[2] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «مَنْ تصدَّق بِعدْل تمرةٍ من كسبٍ طيِّبٍ ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإنَّ الله تعالى يقبلُها بيمينه ، ثمَّ يربيها لصاحبها كما يربِّي أحدهم فَلُوَّهُ ، حتى تكون مثل الجبل» . فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

وقيل : هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله . وقيل : الحسنة بسبعمئة .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٩) في البر والحميدي رقم (١١٥٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري رقم (١٤١٠ و٧٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

كما روى مسلم في «صحيحه»[1] عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجلٌ بناقة مخطومةٍ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله إنَّ هذه في سبيل الله! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة مخطومةٍ».

واعلم: أنَّ للقرض الحسن الذي يقبله الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علامات؛ منها: أن يكون حلالاً، فإن الله لا يقبل صدقةً من غلول؛ يعني: من خيانة، كما جاء في الحديث[2]، والحلال: هو الطيِّب الذي يقبله الله، وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] يعني: الحلال؛ لأنَّ غير الحلال خبيث، وكان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ يقول: أيها المتصدِّق على المسلمين برحمةٍ ارحم من ظلمت.

الصفة الثانية: أن يكون من محبوب المال، قرأ ابن عمر قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] فقال: لا أحبُّ إليَّ من مرجانة جاريتي (رومية)[3] هي حرَّة لوجه الله تعالى[4]، وكان قد أعطي بها ألف دينار.

وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الصفة الثالثة: أن يكون في صحة المتصدِّق، فقيل: مثل الذي يُعتِق، ويَتَصدَّقُ عند الموتِ، مثلُ الذي يُهدي إذا شبع[5].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٩٢) والبغوي رقم (٢٦٢٥) وابن حبان رقم (٤٦٤٩) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٠١٥) والترمذي رقم (٢٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ـ وذكر الحديث ـ والطيب الحلال».

(٣) في الأصل رُميته، وصححناها من الأصل.

(٤) رواه البزار رقم (٢١٩٤). وقال «لا نعلمه يُروى عن عبد الله بن عمر إلا بهذا الإسناد ورجاله معروفون مترجمون. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد/٦ (٣٢٧) رواه البزار وفيه من لم أعرفهم.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٧١٨ و٢١٧١٩) والترمذي رقم (٢١٢٣) وأبو داود رقم (٣٩٦٨) والدارمي رقم (٣٢٣٦) وابن حبان رقم (٣٣٣٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وقال الترمذي حديث حسن صحيح أقول في إسناده أبي حبيبة الطائي مجهول لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي، ولم يوثقه غير ابن حبان، وللحديث شواهد بمعناه منها الذي بعده.

وفي «الصحيحين»[1]: أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ سُئِلَ: أيُّ الصَّدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأملُ الغنى، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلانٍ كذا: ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان».

الصفة الرابعة: أن يقصد المتصدق وجه الله تعالى. قال الله ـ تعالى ـ مثنياً على عباده الصالحين حين قالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ . . .﴾ [الإنسان: ٩] إلى قوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

وفي «الصحيحين»[2] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنه قال: «يؤتى برجلٍ يوم القيامة قد وسَّع الله عليه، فيقال له: ما عملت فيما آتيتُك؟ فيقول: ما تركت من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقت لك فيها. فيقال: كذبت! ولكنك فعلت؛ ليقال هو جواد، وقد قيل. فيُسحب على وجهه، فيلقى في النَّار». فنعوذ بالله منها.

الصِّفة الخامسة: إخفاؤها. قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وفي حديث «السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه معلق بالمسجد؛ إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً فذرفت عيناه»[3] يعني من خشية الله.

الصِّفة السادسة: أن تكون الصَّدقة بغير منٍّ ولا أذى. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. والمَنُّ مِنْ وجهين؛ أحدُهما: مواجهة الفقير بما يؤذيه من الكلام.

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤١٩) ومسلم رقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) والترمذي رقم (٢٣٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (١٤٢٣) ومسلم رقم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: أن يخبر النَّاس بما فعل معه، ولقد كان حسَّان بن شنان[1] يشتري أهل البيت، فيعتقهم، ولا يُعلمهم من هو.

وقال بشر الحافي[2] ـ رحمه الله ـ: صدقة السِّر أفضل من حجِّ التطوُّع، هذا يركب ويرفع يراه الناس، وهذا يعطي سراً لا يراه إلا الله.

الصفة السابعة: تصغيرُ المعروف وتعجيله، وستره، لأنه إذا عجَّله؛ فقد هناه، وإذا صغَّره، فقد عظَّمه، وإذا ستره؛ فقد أتمَّه.

الصفة الثامنة: انشراح الصَّدر بما يعطيه لله؛ الذي أعطاه، وأنعم عليه، وأفقر غيره، وأحوجه إليه.

ذكر ما روى من حكايات الأسخياء

ولما علم أولو البصائر والعقول الكاملة: أنَّ ما بهم وفي أيديهم من النِّعم والأموال من الله، وسمعوه ـ تعالى ـ يستقرض منهم لا لحاجةٍ به إليهم، بل ليكون ذلك ذخراً عنده، يجازيهم به في الآخرة؛ بالغوا في الانفاق؛ ابتغاء وجهه، وتقرُّباً إليه، حتَّى مَنْ لم يكن منهم له مال تصدَّق بما يمكنه.

وكان نبينا محمَّد ـ ﷺ ـ فقيراً لا مال له، لكنه كان إذا فتح عليه بشيءٍ مِنْ مال الله قرَّبه إلى الله.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «ما سُئِلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ شيئاً قطُّ، فقال: لا»[3].

وقال جابر: جاء سائلٌ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر له بأربعين شاةً، فرجع الرَّجلُ

---

(١) حسان بن أبي سنان، هو ابن أبي أوفي التنوخي الأنباري ولد سنة ستين ورأى أنس بن مالك ودعا له فجاء من نسله قضاة ووزراء وصلحاء، أدرك الدولتين الأموية، والعباسية توفي رحمه الله سنة (١٨٠) هـ.

(٢) بشر الحافي هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماحان بن عبد الله الحافي أصله من مرو من قرية بَكَرْد، سكن بغداد، وتوفي بها سنة سبع وعشرين ومائتين من كلامه رحمه الله أعمل في ترك التَصنّع، ولا تعمل في التصنّع، وقال: الدعاء ترك الذنوب.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٠٣٤) ومسلم رقم (٢٣١١) من حديث جابر رضي الله عنه، وليس من حديث عائشة كما ذكر المؤلف رحمه الله.

إلى قومه ، فقال يا قوم! أسلموا؛ فإن محمَّداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة[1] .

وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجود النَّاس[2] وكذلك كان أصحابه ، وتابعوهم مجبولون على السَّخاء .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بالصَّدقة ، ووافق مالاً عندي ، فقلتُ: اليوم أسابق أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ إن سبقته يوماً. فقال: فجئت بنصف مالي. فقال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: الشَّطر يا رسول الله! قال: وجاء أبو بكر بكلِّ ماله ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله! قال عمر: والله لا أسابقك إلى شيءٍ بعدها أبداً![3] .

وخطب النبيُّ ـ ﷺ ـ يوماً ، فحثَّ على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ: عَلَيَّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثمَّ حثَّ على الصَّدقة ، فقال عثمان: عَلَيَّ مِئَةٌ أُخرى بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله»[4] .

وفي روايةٍ: أنَّه ـ رضي الله عنه ـ جهَّز جيش العُسْرَة بألف بعيرٍ إلا سبعين بعيراً ، جعل مكانها سبعين فرساً ، وأتى النبيَّ ـ ﷺ ـ بألف دينارٍ ، فصبَّها في حُجْره ، فجعل النبيُّ ـ ﷺ ـ يقلّبها بيده ، ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»[5] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣١٢) في الفضائل من حديث أنس رضي الله عنه ، وليس من حديث جابر كما ذكر المؤلف رحمه الله .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٢٠) ومسلم رقم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وليس من حديث أنس رضي الله عنه كما ذكر المؤلف .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٦٧٨) والترمذي رقم (٣٦٥٧) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٤) رواه أحمد في المسند (١٦٦٩٦) والترمذي رقم (٣٧٠٠) والطيالسي رقم (١١٨٩) من حديث عبد الرحمن بن خبَّاب السلمي رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة ، أقول: إسناده ضعيف لجهالة فرقد أبي طلحة قال علي بن المديني لا أعرفه ، وقال ابن حجر في التقريب: مجهول ، وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن سمرة رواه أحمد في المسند (٥/ ٦٣) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٠٦٣٠) والترمذي رقم (٣٧٠١) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وصححه الحاكم ووافقه =

واشترى بئر رومة بعشرين ألفاً ، وجعلها للمسلمين يشربون منها[١] .

وقدم عليه أحمال بُـرٍّ من الشام ، وكان قد أصاب المسلمين في المدينة مجاعةٌ ، فدخل إليه التُّجَّار ، فقالوا : نُربحك في الدرهم مِثْلَهُ . فقال : قد زادوني ! فقالوا : ثلاثة أمثاله . فقال : قد زادوني ! فقالوا : خمسة أمثاله . فقال : قد زادوني ! فقالوا : مَنْ يزيدُك ونحن تجّار المدينة ، ولم يبق في المدينة غيرنا ؟! فقال : زادني ربي الدِّرهم بعشرة أمثاله ، أشهدكم : أنَّه صدقة على المسلمين . فرؤي رسول الله ـ ﷺ ـ في تلك الليلة في المنام ، وهو مستعجلٌ ، فقيل له : يا رسول الله ! مالك مستعجلاً ؟ فقال : «دعينا إلى عرس عثمان ؛ فإنَّ الله قد قَبل صدقته ، وزوَّجه عروساً في الجنَّة» .

وأمَّا عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ فإنَّه تصدَّق من ماله على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ بشطر ماله ، بأربعة آلاف ، ثمَّ تصدَّق بأربعين ألفاً ، ثمَّ تصدَّق بأربعين ألفاً ، ثم حمل على خمسمئة فرسٍ في سبيل الله ، ثمَّ حمل على ألفٍ ، ثم حمل على خمسمئة فرسٍ في سبيل الله[٢] .

وقال ابن برقان : بلغني : أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بنت[٣] .

وباع طلحة بن عبيد الله ـ أحد العشرة ـ رضي الله عنهم ـ أرضاً من عثمان بن عفان بسبعمئة ألف ، فحملها إليه ، فلمَّا جاء بها الرَّسول إليه ؛ قال : إنَّ رجلاً يبيت وهذه عنده لا يدري ما يطرقه من الله لعزيزٌ بالله ، فبات طلحة ورسله تختلف بها في سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم[٤] .

= الذهبي من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أقول إسناده حسن ويشهد له ما قبله .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠٣) والنسائي في السنن (٦/ ٢٣٥) وذكره الحافظ في الفتح (٥/ ٢٩) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن وقد روي من غيروجه عن عثمان رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (٢٦٥) من حديث الزهري وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد رقم (١٤٩٠٠) وقال : رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية رقم (٣١٦) من كلام جعفر بن برقان رحمه الله موقوفاً عليه .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية رقم (٢٧٧) عن الحسن رحمه الله ، وإسناده صحيح غير أن فيه تدليس الحسن .

وقال زياد بن جرير: رأيت طلحة بن عبيد الله فرّق مئة ألفٍ ، ولقد خاط طرف إزاره بيده.

وبعث عبد الله بن الزبير إلى عائشة بمالٍ في غرارتين ، ثمانين ومئة ألف ، فدعت بطبق وكانت صائمة ، فجلست تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست؛ قالت: يا جاريةِ! هلمي أفطري ، فجاءتها بخبزٍ وزيتٍ ، فقالت لها خادمتها: ما استطعت يا أمّاه ممّا قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟! فقالت: لا تعنفيني ، لو كنت ذكّرتيني لفعلتُ[1].

وقال عروة بن الزبير: لقد رأيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقسم سبعين ألفاً ، وهي ترفع درعها.

وورث عبد الرحمن بن الحارث[2] خمسين ألفاً ، فبعث بها إلى إخوانه صُرراً ، وقال: أنا أسأل لإخواني الجنة؛ فكيف أبخل عليهم بالدنيا؟!

وجاء رجلٌ إلى سعيد بن العاص[3] ، فسأله شيئاً ، فقال: يا غلام! أعطه جمام ، فرجع الغلام مستفهماً ، فقال: يا سيدي! دنانير أم دراهم؟ قال: ما أردت إلا دراهم ، ولكن أعطه دنانير ، فقعد الرجل السائل يبكي ، فقال: ما يبكيك؟ قال: أنَّ الأرض تأكل مثلك.

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد[4] ـ رحمه الله ـ أحد الأئمة السبعة في العلم ـ

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٣/ ٢٤٧) عن محمد بن المنكدر عن أم ذرَّة ، وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها ، قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غزارتين ثماني ومئة ألف وذكره. ومحمد بن المنكدر ثقة فاضل توفي سنة ثلاثين وما بعدها كما في التقريب ، وأم ذرَّة ذكرها الحافظ ابن حجر في التقريب وقال: هي مولاة عائشة رضي الله عنها.

(٢) عبد الرحمن بن الحارث هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي أبو محمد تابعي ثقة جليل القدر ، من أشراف قريش ، وهو أحد الأربعة الذين عهد إليهم عثمان رضي الله عنه بنسخ المصاحف لتوزيعها على الأمصار توفي في المدينة سنة (٤٣) هـ رحمه الله.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ربِّي في حجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وولاه عثمان الكوفة وهو شاب ـ وعهد إليه معاوية ولاية المدينة فتولاها إلى أن مات ، وهو فاتح طبرستان ، وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم توفي رحمه الله سنة (٥٣) هـ.

(٤) الليث بن سعد هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام ، عالم الديار المصرية ، ولد بِقَلْقَشندة من أسفل=

وفي يدها قدح زجاج ، وقالت : إنَّ زوجي مريض ؛ وقد اشتهى عسلاً ، فأمر لها براوية ـ يعني : زقَّ عَسَل ـ فقيل له : تطلب منك قدح ، تعطيها راوية عسل؟! فقال : هي تطلب على قدرها ، ونحن أعطينا على قدرنا .

واشترى منه قومٌ تمر نَخِيلِه ، فلمَّا جذُّوه ؛ خاس معهم ، فجاؤوا إليه ، واستقالوه ؛ فأقالهم ، وأمر لهم بخمسمئة درهم زيادةً على مالهم ، فقيل له : قد رددت عليهم مالهم ؛ فلم زدتهم من مالك خمسمئة؟ فقال : إنَّهم أمَّلوا أن يربحوا من جهتي ، فلمَّا خاس التَّمر ؛ كرهت أن يرجعوا من جهتي خائبين ، فرضي الله عنه ، وأرضاه .

ما أحسن هذه الأخلاق الحميدة ، وهذه المقاصد الحسنة! فلأجل ذا انتشرت أخبارهم من بعدهم ، وبقي لهم الثناء الحسن إلى يوم القيامة ، تحيا القلوب بذكرهم وهم أمواتٌ .

وبقي اليوم أقوامٌ أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم من شحِّ أنفسهم ومنعهم ، وجمعهم لمن يأكله من بعدهم ، ويلعنهم ، ويعمل فيه بما لا يرضى ، ويستعين به على معصية الله .

يروى : أنَّ محمد بن كعب القرظيَّ استفاد مالاً كثيراً ، فتصدَّق به ، وواسى إخوانه ، فقال له بعض إخوانه : لو ادَّخرته لولدك من بعدك! فقال : لا بل ادخر لي عند ربي ، وأدَّخر ربي الذي أعطاني ولدي .

وقال أبو حازم سلمة بن دينار : لا تختر ولدك على نفسك ، فإن كانوا أولياء لله ؛ فلا تخف عليهم ؛ وإن كانوا أعداءً ؛ فلا تبالي ما لقوا بعدك .

ويقال : أشدُّ الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجلٌ له عبدٌ جاء يوم القيامة أفْضَلَ مِنْ سيِّده .

ورجلٌ تعلَّم العلم ، فلم ينتفع به ، فعلَّمه غيره ، فانتفع به .

ورجلٌ له مالٌ فلم يقدِّم لنفسه خيراً ، فمات وتركه ، فورثه الوارث ، فتصدَّق به .

= أعمال مصر سنة أربع وتسعين ـ قال أحمد ليث كثير العلم صحيح الحديث وقال ابن سعد استقل الليث بالفتوى وكان ثقه سخياً له ضيافه توفي ليلة النصف من شعبان سنة (١٧٥) هـ رحمه الله .

وهذه هي المصيبة العظمى أن يكدح الإنسان طول عمره ، ويجمع من حلالٍ وحرامٍ ، ويتركه لمن يأكله هنيئاً ، ويلبس منه ناعماً ، ويأكل به طيباً ، ويركب به وطيّاً ، فإن تصدَّق منه؛ كان له أجره ، وعلى الذي جمعه وزره وعقابه ، ويُسأل عن كل درهم من أين اكتسبته . وفي أي شيء أنفقته .

قال بعضهم : يشقى بجمع المال البخيل ، ويأكله الوارث أكلاً هنيئاً .

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ : لقد بالغ الإنسان في الإساءة إلى نفسه من بخل عليها بالتزود لها ممَّا هو منتقلٌ عنه إلى غيره .

وقد روى الترمذي عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنه قال : «يُجاء با بن آدم يوم القيامة كأنَّه بَذَجٌ [١] ، فيوقف بين يدي الله تعالى ، فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له : أعطيتك ، وخوَّلتك ، وأنعمت عليك فما صنعت؟ فيقول : يا رب جمعته وثمَّرته فتركته أكثر ما كان فأرجعني آتك به ، فيقول له : أرني ما قدَّمت ، فيقول يا رب! جمعته وثمَّرته ، فتركته أكثر ما كان ، فارجعني آتك به! فيقول له : أرني ما قدَّمت ، فيقول : يا رب جمعته وثمَّرته ، فتركته أكثر ما كان ، فارجعني آتك به ، فإذا عبدٌ لم يُقدِّم خيراً فيمضي به إلى النَّار»[٢] . ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ما أعظم هذه المصيبة! وما أشدَّ هذا البلاء! نعوذ بالله من هذا البلاء أن يُبتلى الإنسان بعذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة ، يبتلى في الدنيا بجمعها ، والحرص عليها ، والكدح في طلبها من حلالٍ وحرام ، ويلقى في قلبه الشُّحُّ والبخل ، فيمنع حقوق الله من ماله ، ويمنع من الإيثار ، والمواساة ، وفعل الخير ، ويُلقى له البغض في قلوب النَّاس أجمعين حتى أهله وأولاده يبغضونه ، ويتمنون موته ، ويعذَّب في الآخرة بالنَّار ، نعوذ بالله من هذا البلاء!

ولأجل شؤم البخل في الدُّنيا والآخرة لم يجبل الله قطُّ عبداً صالحاً من الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، إلا على السَّخاء ، كما تقدَّم من ذكر بعض أخبارهم .

---

(١) البذج : كلمة فارسية : تكلمت بها العرب ، وهو أضعف ما يكون من الحملان ، يُجمع على بذجان .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٢٩) في صفة القيامة ، وقال الترمذي ، قد روى هذا الحديث غيرُ واحد عن الحسن قولَه ولم يُسندوه ، وإسماعيل بن مسلم يُضعَّف في الحديث من قِبَلِ حفظه ، وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أقول الحديث سنده ضعيف وله شواهد .

والسَّخيُّ يحبُّه الله ورسوله والمؤمنون ، وله الثناء الحسن في الدُّنيا والآخرة ، فبلغ قول النبيِّ - ﷺ -: «قريبٌ من الله ، قريب من الجنَّة ، قريبٌ من النَّاس ، بعيدٌ من النار. والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريبٌ من النَّار ، ولجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيل»[١].

وكان علي بن أبي طالب ينشد هذه الأبيات من قلبه :

مـا أحسـنَ الـدُّنيـا وَإقبـالَهـا ... إذا طـاعَ اللهَ مَـنْ نـالَهـا
مَـنْ لـم يـواسِ النَّـاسَ مـن مـالِـه ... عَـرَّضَ لـلإدْبـار إقبـالَهـا
فـاحـذر زوالَ الفضـلِ يـا مـاسـكٌ ... وواسِ مِـنْ دُنيـاكَ مَـنْ سَـالَهـا
فـإنَّ مَـوْلاكَ جـزيـلُ العَطَـا ... يُعْطِيْـكَ بـالجنَّـة أمثـالَهـا

وقيلَ: إنَّ دَخْلَ الليث بن سعد - رحمه الله - الذي تقدَّم ذكره - كان كلَّ سنةٍ ثمانون ألف دينار ، ولم تجب عليه زكاةٌ قطُّ ، بل كان يواسي إخوانه ، ويتصدَّق ، ويعتق.

وكان عبد الله بن بكر[٢] - رحمه الله - ينفق على أربعين داراً من جيرانه ، ويبعث إليهم بالكسوة ، والأضاحي ، والهدايا في الأعياد.

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - يوماً جالساً على باب داره ، فجاء إليه سائل ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وخمسمئة دينار ، وقال: ائت بحمَّالٍ يحمل لك هذا المال ، فجاء بحمَّالٍ ، فأعطى الحسن الحمَّال طيلسانه أجرته.

وقال: تكون أجرة الحمَّال من قِبَلِي.

وكان الحسين بن علي - رحمه الله - يحمل جُرَبَ الدقيق على ظهره بالليل ، ويفرِّقها على الأرامل والمساكين والضَّعفة في المدينة ، ولا يعلمون مَنْ هو ، فلمَّا مات ؛ فقدوا ذلك فعلموا: أنَّه هو الذي كان يفعل ذلك.

موعظة: قال بعض السَّلَف: كم قَد ندمَ البخيلُ وجامع المال عند الفراق ، وقد التفَّتْ في أكفانه السَّاق بالسَّاق ، سبقه الصالحون وما تركواالبخيل يطيقُ اللحاق ،

---

(١) تقدم تخريجه ص (٦٣).

(٢) عبد الله بن بكر بن حبيب الحافظ الحجة: أبو وهب السهمي الباهلي البصري ، نزل بغداد. مولده في خلافة هشام بن عبد الملك. توفي رحمه الله في شهر المحرم سنة ثمان ومئتين.

ولسوف يسأل في القيامة أن يفتدي بجميع ما جَمَعَ في دنياه واقتنى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

أيها البخيل! مالَكَ من مالِكَ بعد الموت نَقير ، غير أنَّك بأوزار ما جمعت غفير ، لقد بعتَ أنفسَ الأشياء بأحقر حقير ، كم تتقلَّل بالتوفيق ، هذا المال ، وهذا الفقير ، هذا الخَيْفُ وهاتيك مِنى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ .

أسباب غرضك في الدُّنيا قويَّـة ، وهمَّتُك في طاعة الله ليست عَلِيَّة ، فقدِّم من مالك لنفسك ، فقد استقرض منك لك ربُّ البريَّة ، قد مضى ما مضى ؛ فاستدرك البقيَّة .

يا هذا! ما تصنع بالمالِ في الصندوق ، وما يُقام فيه بالحقوق؟ ويحكَ تَحثُّكَ على الإيثارِ وفعلِ الخير الشريعة ، وتعلمك : أنَّ المال عندك للوارث وديعة ، تَحرَّكَ الأجواد بالإيثار ؛ وأنت رصاصة ، كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فمالك إلا القطن والكفن ، ولا لك من كدِّك لتنعيم بدنك إذا صرت في لحدك إلا البلاء والعفن .

أين الرافلُ في أثوابه عرِّي في ترابه أعر الملابس؟ أين جامع المال ، سُلِبَ المحروس ، وقَفَلَ الحارس . حقٌ لِمَنْ عرف مكر الدُّنيا وانتقالَها إلى غيره أن يهجَرها ، وَلِمَنْ عرف جهل نفسه أن يزجرَها ، وَلِمَنْ تحقق انتقاله إلى الآخرة أن يذكرها ، وَلِمَنْ عُمَّ بالنَّعيم من الله سبحانه أن يشكرَها . فنسأل الله المنَّان بفضله أن يوقظنا لذكره ، وأن يستعملنا بأداء شكره ، إنَّه جوادٌ كريم .

❋ ❋ ❋

الكبيرة السادسة

عقوق الوالدين

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾ [العنكبوت: ٨]. أي: براً بهما وعطفاً عليهما.

قال ﷺ: «رضا الله ـ تعالى ـ في رضا الوالدين، وسخطُ الله في سخطهما»[(١)].

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...» فذكر منها: «عقوق الوالدين»[(٢)].

وقال: «الوالدُ أوسط أبواب الجنَّة، فإنْ شئت؛ فاحفظ، وإن شئت فضَيِّع» رواه الترمذيُّ وقال: حديث صحيح[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٨٩٩) والبغوي رقم (٣٤٢٤) وابن حبان رقم (٤٢٩) والحاكم (٤/ ١٥١ و١٥٢) وصححه ووافقه الذهبي مع أنه قال في الميزان في عطاء والد يعلى: (لا يُعرف) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
ورواه الترمذي رقم (١٨٩٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢) موقوفاً على عبد الله بن عمرو ولم يرفعه وهذا أصح، وقال الترمذي: وهكذا روى أصحاب شُعبة عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، ولا نعلم أحد رفعه غير خالد بن الحارث عن شعبة، وخالد بن الحارث ثقة.
أقول: الحديث صحيح بطرقه وشواهده مرفوعاً، وإن كان الأصح موقوفاً.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٩٧٦) ومسلم رقم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي رقم (١٩٠٠) وقال هذا حديث صحيح، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[1].

وقال ﷺ لرجل جاءه يستأذنه في الجهاد معه؛ قال: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»[2].

وقال ﷺ: «أمَّك وأبَاك، وأختك وأخاك، وأدناك أدناك»[3]. أي: برَّهم.

وروي عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّه قال: «لا يدخل الجَّنةَ عاقٌّ والديه، ولا منَّان، ولا مُدْمنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ»[4].

وعن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله» قال: ثُمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ عقوق الوالدين» قال: ثمَّ ماذا؟ قال: «اليمين الغموس»[5].

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنَّة عاقٌّ، ولا مُكَذِّبٌ بالقَدَرِ»[6].

---

(١) رواه ابن عدي (٦/ ٣٤٨) والعقيلي في الضعفاء، عن موسى بن محمد بن عطاء حدثنا أبو المليح حدثنا ميمون عن ابن عباس: وقال العقيلي: هذا منكر، نقله الحافظ في ترجمة موسى بن عطاء، وهو كذاب.
ورواه القضاعي رقم (١١٩) والدولابي في الكنى (٢/ ١٣٨) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده منصور بن المهاجر، عن أبي النضر. قال ابن طاهر: لا يعرفان. والحديث منكر، ويغني عن هذا الحديث حديث معاوية بن جاهمة أنه جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال هل لك من أم، قال نعم: قال فالزمها فإن الجنة تحت رجليها رواه النسائي (٢/ ٥٤) وسنده حسن.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٠٤) ومسلم رقم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٧١٠٨) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٧١٣) من حديث أبي رمثة رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٦٨٨٢) وابن حبان رقم (٣٣٨٤) والدارمي رقم (٣١٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال البخاري في التاريخ (٢/ ٢٥٧) ولا يُعرف لجابان سماع من عبد الله بن عمرو، ولا لسالم من جابان ولا من نبيط، أقول: الحديث إسناده ضعيف، وله شواهد انظرها في الصحيحة رقم (٦٧٣).

(٥) رواه البخاري رقم (٦٩٢٠) والترمذي رقم (٣٠٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) رواه أحمد في المسند رقم (٢٧٤٨٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وفي إسناده =

وروِيَ: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أرأيتَ إن صلَّيْتُ الصلوات الخمس، وصُمْتُ رمضان، وأدَّيْتُ الزَّكاة، وحججتُ البيت؛ فماذا لي؟ قال: «مَنْ فعل ذلك كان مع النبيِّين والصِّدِّيقين، والشهداء إلا أن يعقَّ والديه»[1].

وقال ﷺ: «لا يَجزي وَلَدٌ والداً إلا أن يَجده مملوكاً فيشتريه، فيعتقه». رواه مسلم[2].

وعنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لعن الله العاقَّ لوالديه»[3].

وقال ﷺ: «الخالة بمنزلة الأمِّ»[4].

وعن وهب بن مُنَبِّه قال: إنَّ الله ـ تعالى ـ قال: يا موسى! وقِّر والديك؛ فإنَّه من وقَّر والديه مددتُ له في عمره عمراً، ووهبت له ولداً يبرُّه، ومَن عقَّ والديه؛ قصَّرتُ عمره، ووهبتُ له ولداً يعقُّه.

وقال كعب: والذي نفسي بيده! إنَّ الله لَيُعَجِّل حين العبد[5] إذا كان عاقًّا لوالديه؛ ليعجل له العذاب. وإنَّ الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه؛ ليزيده برّاً وخيراً.

وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة: مَنْ يضرب أباه يُقتل.

وقال وهب: في التوراة: على مَنْ صَكَّ والديه الرَّجم.

= سليمان بن عتبة الدمشقي، وهَّاه ابن معين، وقال صالح جزرة: روى مناكير.

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧) وقال: رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٣٨) دون قوله ﷺ «إلا أن يعق والديه» وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم رقم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٣) من حديث علي رضي الله عنه وسكت عليه الحاكم، والذهبي في التلخيص، ويغنى عنه ما رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٧٨) بلفظ «لعن الله من لعن والديه».

(٤) رواه البخاري رقم (٢٦٩٩) في حديث طويل عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٥) حَيْنُ العبد: أجله.

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «كل الذُّنوبِ يُؤخِّرُ منها ما شاء الله إلى يوم القيامة إلا عقوقُ الوالدين؛ فإنَّه يعجِّل لصاحبه»[1].

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من الأف؛ لنهى عن ذلك، فليعمل العاقُّ ما شاء أن يعمل؛ فلن يدخل الجنَّة. وليعمل البارُّ ما شاء أن يعمل؛ فلن يدخل النَّار»[2].

وعن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه قال: ما من مؤمنٍ له أبوان فيصبح وهو محسنٌ إليهما؛ ألا فتح الله له بابين إلى الجنَّة، ولا يسخط عليه واحدٌ منهما فيرضى الله عنه حتى يرضى، قيل: وإن كان ظالماً؟ قال: وإن كان ظالماً.

قال بعض العلماء: لو لم يذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه حرمة الوالدين، ولم يوصِ بهما، لكان يُعرف من طريق العقل أن حرمتهما واجبةٌ، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حقهما؛ فكيف وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ في جميع كتبه حقهما، وأوحى إلى جميع أنبيائه ورسله، وأوصاهم بحرمتهما، ومعرفة حقهما، وجعل رضاه في رضاهما، وسخطه في سخطهما، واستجاب دعاهما في الولد؛ لعظم حرمتهما، وحقهما عليه.

فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «ثلاثُ دعوات مستجابات، لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلوم، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالد على ولده»[3] رواه الترمذيُّ، وقال: حديث حسن. حتَّى لو كان الولد طائعاً لله وهو عاصٍ لهما؛ عوقب بعصيانه لهما.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٦) وصححه. وقال الذهبي في التلخيص* في إسناده بكار بن عبد العزيز ضعيف أقول: قال ابن معين في بكار ليس بشيء.

(٢) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٣) من حديث الحسين بن علي، وفيه عيسى بن عبيد الله وعنه أصرم بن حوشب، وأصرم بن حوشب ـ قال يحيى: كذاب، وقال البخاري: متروك، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٣ و٤٨١) وأبو داود رقم (١٥٣٦) وابن ماجه رقم (٣٨٦٢) والترمذي رقم (١٩٠٥ و٣٤٤٨) وهو حديث حسن رجال إسناده ثقات: إلا أن فيه انقطاعاً إن كان ابن جعفر هو محمد بن علي كما قال ابن حبان فإنه لم يدرك أبا هريرة وإن كان غيره فهو مجهول: وللحديث شاهد رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٤) بلفظ (ثلاثة تستجاب دعوتهم الوالد، والمسافر والمظلوم) فهو به حسن.

ولو كان في صلاة تطوُّع وناداه أحد والديه؛ وجب عليه قطع صلاته وإجابتهما مُسْرِعاً؛ خشيةً من سخطهما عليه.

مطلب: قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابنُ مريم، وصاحب يوسف، وصاحبُ جريج. وكان جُرَيْج رجلاً عابداً، أتته أمَّه وهو يصلِّي، فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلمَّا كان الغَدُ؛ أتته، فقالت: يا جريج! فقال: يا رب! أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته، فلمَّا كان من الغد؛ أتته، فقالت: يا جُرَيْج! فقال: يا رب! أمي وصلاتي! فأقبل على صلاته، يعني: ولم يجبها. فقالت: اللَّهم لا تُمته حتى ينظر إلى وجوه الموسمات؛ يعني: البغايا. فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثَّل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننَّه، فتعرَّضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً، وكان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلمَّا ولدت؛ قالت: هو من جُريج، فأتوه، فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟! فقالوا: زنيت بهذه البغيِّ، فولدت منك! فقال: أين الصبيُّ؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني أصلِّي. فصلَّى، فلما انصرف؛ أُتيَ بالصبيِّ، فطَعَنَ في بطنه، وقال: يا غلام! من أبوك؟ فقال: فلانٌ الرَّاعي. فأقبلوا على جُريجُ يقبِّلونه؛ ويتمسحونَ به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طينٍ كما كانت ففعلوا»[1] متفق عليه.

فانظر كيف نفذت دعوة أمِّه فيه مع ما كان فيه من الصلاة والعبادة. وفي رواية في الحديث: «لو دعت عليه أن يفتن لفتن».

وهذا تصديق قوله ـ ﷺ ـ «دعوةُ الوالد على ولده مستجابةٌ»[2].

وقال محمد بن عابد: بينما أنا أمشي في بعض ضواحي البصرة؛ إذ مرَّ بي شابٌ، فمضى غيرَ بعيد؛ إذ سمعته يقول: أُخِذْتُ والله! فنظرت فإذا به قد ابتلعته الأرض، وبقي مِزْوَدٌ كان معه، فقعدتُ مستعجباً، مفكِّراً في أمره، وإذا شيخٌ قد أقبل معصوب العين فسَلَّمَ عليَّ، وقال: هل مرَّ بك ها هنا شابٌ ومعه مِزْوَد؟ قلت:

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤٣٦) ومسلم رقم (٢٥٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/ ٢١٧) وقال العراقي في تخريجه: لم أقف له على أصل بلفظ (دعوة الوالد أسرع إجابة).

نعم: وأخبرته بما رأيتُ من أمرِه ، وأنه ابتلعته الأرض! فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، قال: ذلك والله ولدي! جادلني في شيءٍ ، ولطم عيني! فقلت: لا أخرجك الله من أقطار البصرة ، أو يَخسفَ بك. ثمَّ أخذ المِزْوَد وانصرف.

قال سفيان بن عيينة: نزل رجلٌ منزلاً إلى جنب مقبرةٍ ، فسمع صوتَ نهيق الحمار من قبره ، فسأل ما هذا؟ فقيل: هذا كان رجلٌ له أمٌّ إذا كلَّمته في شيء؛ قال لها: انهقي نهيق الحمار ، فنحن نسمع هذا النَّهيق من قبره.

ثمَّ اعلم: أنَّ حقَّ الأمّ مقدَّمٌ على حقِّ الأب ، والإساءة إليها أعظم جرماً من الإساءة إلى الأب ، وما ذاك إلا لأنَّ عناءَها أكثر ، وشفقتها أكثر من مشاق التربية.

ولهذا حضَّ النبي - ﷺ - على الإحسان إليها ، وعلى برِّها ثلاث مرار وعلى الأب مرَّةً.

ففي الحديث الصحيح: أنَّ رجلاً قال له: يا رسول الله! من أحقُّ الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمك». قال: ثم مَنْ؟ قال: «أباك ثم أدناك أدناك»[1].

فحضَّ على الأم ثلاثاً ، وقدَّمها في الإحسان على الأب لما ذكرنا من موضع الشفقة ، وكثرة المشقة عليها دون الأب.

ثم جعل النبيُّ - ﷺ - الخالة بمنزلة الأم في البرِّ والإحسان بعد الأم.

وأنشد بعضهم:

لئن كان برُّ الوالدين مقدَّماً ... فما يستوي في بره الأبُ والأمُّ
لأمِّك ثلثا البرِّ والأب ثلثه ... بهذا أتاك النَّص واطَّرد الحكمُ
وهل يستوي الوضعان وضع مشقةٍ ... ووضع التذاذٍ ، ذاك برٌّ وذا سقمُ
إذا الْتَفَتَتْ نحو السَّماء بطرفها ... فكن حَذِراً من أن يصيب عينيك السَّهْمُ
وفي آيةِ التأفيف[2] للحرِّ مقنعاً ... ولكنه ما كل عبدٍ له فهمُ

وذُكر: أنَّ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - رأى رجلاً في الطَّواف قد حمل أمَّهُ على رقبته ، وهو يَطوفُ بها ، ويقول: إنِّي لها بعيرها المذلَّل ، إن ذعرت

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٩٧١) ومسلم رقم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ركابها؛ لم أذعره، ثمَّ قال: يا ابن عمر! أتراني جزيتها؟ فقال ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدةٍ، ولكنَّكَ قد أحسنتَ، والله يجزيك بالقليل كثيراً.

ونادت ابنَ عوفٍ يوماً أمُّه، فأجابها، فارتفع صوتُه على صوتِها، فاعتق رقبتين.

ومن حقِّ الأبوين ألاَّ تسميهما بأسمائهما، بل تقول: يا أباه! ويا أماه! ولا تمش بين أيديهما، ولا تجلس قبلهما.

وقيل لعُمر بن ذر[1]: كيف كان بَرُّ ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً إلا مشى خلفي، ولا مشيت ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقي سطحاً وأنا تحته.

وقال محمد بن مجيرير: مَنْ مشى بين يدي والديه؛ فقد عقهما، إلا أن يمشي فيميط لهما الأذى عن طريقهما، ومَنْ دعاهما بأسمائهما، أو كنيتهما؛ فقد عقهما، بل يقول: يا أباه! يا أمَّاه.

وقد قيل: أفضل النفقة نفقة الرَّجل على والديه. وَمَنْ برَّ والديه؛ زاد الله في عمره. ومَنْ دعا على والديه؛ أورثه الله الفقر.

ومن الكبائر أن يسب الرجل والديه، قيل يا رسول الله ـ ﷺ ـ: كيف يسبُّ الرَّجل والديه؟ قال: «يسبُّ أبا الرَّجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»[2].

وروى هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة: ملعونٌ من لعن أباه، ملعونٌ من لعن أمَّه، ملعونٌ من صدَّ عن السبيل، وأضلَّ الأعمى عن الطريق، وملعونٌ مَنْ ذبح لغير الله، وملعونٌ من غيَّر تخوم الأرض ـ يعني: الحدَّ الذي بين أرضه وأرض غيره ـ.

ومعنى قوله: ملعونٌ من لعن أباه، وملعونٌ من لعن أمَّه: يعني: يعمل عملاً يُلْعَنُ به أبواه، فيصير كأنه هو الذي لعنهما.

ويُقال: للوالدين على الولد أحد عشر حقاً:

---

(١) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة: الإمام الزاهد، العابد: أبوذر الهمداني توفي رحمه الله سنة ثلاث وخمسين ومئة، وكان ثقة كثير الحديث، احتج به البخاري دون مسلم.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٩٧٣)، ومسلم رقم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الأول: إذا احتاجا إلى الطعام أطعمهما.

والثاني: إذا احتاجا إلى الكسوة؛ كساهما إنْ قدر على ذلك، وهكذا روي عن النبيِّ - ﷺ - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] فقال: «مصاحبة المعروف: أن يطعمهما إذا جاعا، ويكسيهما إذا عريا»[١].

الثالث: أنَّه إذا احتاجا إلى خدمته خدمهما.

والرابع: إذا دعاه أحدهما أجابه، وسارع إلى إجابته.

والخامس: إذا أمراه بأمرٍ بادر إلى امتثال أمرهما، ما لم يكن الأمر معصية.

والسادس: أن يكلمهما بكلام اللِّيْن؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: ليِّناً، لطيفاً، ولا يكلمهما بالكلام الغليظ.

السَّابع: ألا يدعو أحداً منهما باسمه، ولا بكنيته، بل يقول: يا أبي! يا أمي! كما تقدَّم.

الثَّامن: أن يمشي خلفه، كما يمشي العبد خلف سيِّده.

والتَّاسع: أن يرضى لهما ما يرضاه لنفسه، ويكره لهما ما يكره لنفسه، كما قال نوح - عليه السلام -: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨].

وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

العاشر: أن يكرم صديقهما من بعدهما؛ لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إن من أبر البِّر صلة الرَّجل أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يولِّي[٢]»[٣].

وعن أبي أُسيْد قال: جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله! هل بَقي من بر أبويَّ شيءٌ أبـرُهما بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاةُ عليهما». والمراد من الصلاة عليهما هنا: الدُّعاء، كما قال الله - تعالى - لنبيه - ﷺ -: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادعُ لهم. «والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهمامن بعدهما، وصلة

---

(١) لم أجده فيما بين أيدينا من المصادر.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٥٢) والترمذي رقم (١٩٠٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) يُولِّي: يموت.

الرَّحم؛ التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما». رواه أبو داود[١].

وقد قرن الله شكر الوالدين بِشُكْرِه ، فقال تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه؛ كان عاصياً.

وصحَّ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنه قال: «رغم أنف ، رغم أنف ، رغم أنف من أدرك أبويه الكبرُ أو أحدُهما أو كلاهما ثمَّ لم يدخل الجنَّة». مخرَّج في «الصحيح»[٢].

وهذا من أعظم المبالغة والحضِّ على الإحسان إلى الوالدين وأنَّ الإحسان إليهما من أعظم أسباب دخول الجنة. كما أن الإساءة إليهما ، أو إلى أحدهما من أعظم أسباب دخول النار ، كما تقدَّم من قوله ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة عاقٌ» يعني: عاق لوالديه «ولا منَّان ولا مدمن خمرٍ»[٣].

وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنه قال: «أربعٌ حقٌّ على الله أن لا يدخلهم الجنَّة»[٤]. وأصل العقِّ: القطع ، فكأنَّ الولد قطعهما بالإساءة إليهما ، وإذا لم يدخل العاقُّ الجنَّة؛ كان مأواه النار ، حتَّى ولو قتل في الجهاد في سبيل الله ، ومات شهيداً؛ حبس عن الجنَّة؛ بسبب إساءته إلى والديه.

وقد قيل: إنَّ أصحاب الأعراف رجالٌ خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم.

وروى مقاتل في «تفسيرِه» مرفوعاً قال: هم رجالٌ غزو في سبيل الله عصاةً لآبائهم ، فقتلوا في الجهاد فأعتقوا من النَّار بقتلهم في سبيل الله ، وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم ، فهم آخر مَنْ يدخل الجنَّة»[٥].

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥١٤٢) وابن ماجه رقم (٣٦٦٤) وفي إسناده على بن عبيد الساعدي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه ص (٧٨).

(٤) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٥٣٠). وذكره المنذري في الترغيب (٥/ ٣). وقال: رواه الحاكم عن إبراهيم بن خثيم بن عراك ، وهو واه عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال النسائي متروك.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٤٦٤٤) والصغير رقم (٦٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه محمد بن خالد الرعيني ضعيف. وقال ابن عدي: حدَّث بالأباطيل.

وروي عن مجاهد: أنَّهم أقوامٌ رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر ، يحبسون عن الجنة إلى أن يقضي الله بين الخلائق .

وقد فضَّل النبيُّ ـ ﷺ ـ خدمة الوالدين ، والإحسان إليهما على الجهاد في سبيل الله ؛ لما تَقَدَّم مِنْ قوله ـ ﷺ ـ للرَّجل الذي جاءه يستأذنه في الجهاد معه .

فقال : «أحيٌّ والداك؟» فقال : نعم . فقال : «ففيهما فجاهد»(١) .

فخدمة الوالدين أو أحدهما ، والإحسان إليهما من أعظم أسباب دخول الجنَّة ، كما تقدَّم ، فالمحروم الشقيُّ من له والدٌ أو والدةٌ كبيرين يحتاجان إلى خدمته وبرِّه وإحسانه ، ولم يفعل ذلك ، فيكون ذلك دليلاً على تعسه وشقائه ـ نعوذ بالله من الشقاء ـ حتَّى لو كان الولد صالحاً في نفسه ، طائعاً لله ، وهو مقصرٌ في حقِّ والديه يخشى عليه سوء الخاتمة . ـ نعوذ بالله منها ـ .

فقد كان في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ شابٌ يسمَّى علقمة ، وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله تعالى ، كثير الصَّدقة ، فمرض ، واشتدَّ مرضه ، فبعثت امرأته إلى رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّ زوجي علقمة في النزع ، فأردت أن أعلمك حاله ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لبلال ، وعليٍّ ، وسلمان ، وعمار ، وعثمان: «اذهبوا إلى علقمة ، وانظروا حاله» فانطلقوا حتى دخلوا عليه ، فقالوا له: قل: لا إله إلا الله . فلم ينطلق بها لسانه ، فلمَّا أيقنوا: أنَّه هالك؛ بعثوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يخبروه بحاله . فقال سول الله ـ ﷺ ـ: «هل له أبوان؟» فقيل: يا رسول الله! له أمٌّ كبيرة . فقال: «يا بلال! انطلق إلى أم علقمة ، وأقرئها منِّي السَّلام ، وقل لها: إن قدرت على المسير إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وإلا فقري حتى يأتيك» فأتاها بلالٌ ، فأخبرها ، فقالت: نفسي لنفسه الفداء أناأحقُّ بإتياني ، ثمَّ أخذت عصا ، ومشت حتى دخلت على رسول الله ـ ﷺ ـ فسلَّمت عليه ، فردَّ عليها السَّلام ، فقال لها: أصدقيني ، وإن كذبتيني؛ جاءني الوحي من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: كيف كان حالُ علقمة؟» فقالت: يا رسول الله! كان يصلي كذا ، ويصوم كذا ، ويتصدَّق بجملةٍ من الدَّراهم ، ما يدري وزنها ، وما عدَدَها! فقال: «وما حالك وحاله؟» فقالت: يا رسول الله! أنا ساخطةٌ! قال: «فلم ذاك؟» قالت: كان يؤثر امرأتَه عليَّ ، ويطيعُها ، ويَعصيني!

---

(١) تقدم تخريجه ص (٧٨) .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سخط أم علقمة حجبَ لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله» ثم قال لبلال: «انطلق، واجمع لي حطباً حتى أحرقه بالنار!» فقالت المرأة: لِمَ يا رسول الله! ابني، وثمرة فؤادي تحرقه بالنَّار بين يديَّ! كيف يحمل قلبي؟! فقال لها رسول الله ـ ﷺ ـ: «فعذاب الله أشدُّ وأبقى، فإن أردت أن يغفر الله له؛ فارضي عنه، فواالذي نفسي بيده! لا ينتفع بصلاته، ولابصيامه، ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة» فرفعت يديها، وقالت: أُشهد الله في سمائه، وأنت يا رسول الله! ومَنْ حضر من المسلمين أنّي قد رضيت عن علقمة. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا بلال! انطلق، فانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله، فلَعَلَّ أمَّ علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءً من رسول الله ـ ﷺ ـ» فانطلق بلال، فلما انتهى إلى الباب؛ سمع علقمة يقول: لا إله إلا الله، فلما دخل بلالٌ قال: يا هؤلاء! إنَّ من سخط أمِّ علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإنَّ رضاها أطلقه. ثمَّ مات علقمة من يومه، فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ فأمر بغسله وكفنه، وصلى عليه، ثمَّ قام على شفير القبر، ثم قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار! مَنْ فضَّل زوجته على أمِّه؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً»(١). يعني الفرائض والنوافل.

وهذا معنى قوله ـ ﷺ ـ في الحديث المتقدِّم: «رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخطهما»(٢).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٨٢) ورقم (١٩٤١١) مختصراً. وفي إسناده فائد بن عبد الرحمن قال الذهبي: تركه أحمد والناس. وقال البخاري منكر الحديث.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٨) وقال: رواه الطبراني وأحمد باختصار وفيه فائد أبو الورقاء متروك. من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.
وذكره البيهقي في شعب الإيمان رقم (٧٨٩٢) بلفظ المؤلف، وقال: تفرد به أبو الورقاء، وليس بالقوي.
ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٠٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦١) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٨٧) كلهم من طريق فائد أبو الورقاء والقصة ضعيفة السند. ضعفها أحمد في المسند والعقيلي والبيهقي، وابن الجوزي والمنذري إذ رواه بصيغة التمريض، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٩٦) والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٣١) بقوله: وفي إسنادها متروك وكذاب.

(٢) تقدم تخريجه.

ومعنى قوله ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة عاقٌّ»[1] ، فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ورضاهما ، وأن يجنبنا سخطه وسخطهما ، وأن يرحمهما كما ربيانا صغاراً ، وأن يجمعنا وإياهما في جنَّات النَّعيم ، إنَّه جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم.

* * *

(١) تقدم تخريجه ص (٧٨).

الكبيرة السابعة

أكل الربا

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

سئل بعض العلماء عن كبائر المحرمات؛ فقال: حتَّى أقرأ القرآن، فلما انتهى إلى هذه الآية إلى قوله ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ قال: لا أحد أسوأ حالاً ممن يحاربه الله ورسوله، فحربُ الله النار، وحرب رسوله السيف، وصدق والله! فإن مثقال ذرةٍ من عذاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا تقوم بها السَّموات والأرض، فكيف حال المرابي؟! نعوذ بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ من عذابه.

قال ابن عبَّاس: يقال يوم القيامة للمرابي: خذ سلاحك للحرب.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠ ـ ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ . . .﴾ [البقرة: ٢٧٥] فهذا وعيدٌ شديدٌ بالنَّار كما ترى لِمَن عاد إلى أكل الرِّبا بعد الموعظة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم!

فمعنى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أي: يعاملون به، وإنما خصَّ الأَكل بالذكر؛ لأنه أعظم المقصود من المال. وقوله ﴿ لَا يَقُومُونَ﴾ يعني: مِنْ قبورهم يوم القيامة ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يصرعه الشيطان من المس. أي: الجنون. وأصل الخَبط: الضرب، والوطىء، وهو ضربٌ على غير استواء. يقال: ناقةٌ خبوط، وهي التي تطأ الناس، وتضرب الأرض بقوائمها.

﴿ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ يقال: مُسَّ الرجلُ، فهو ممسوس: إذا كان مجنوناً، ومعناه: أنَّ آكل الرِّبا يُبعث يوم القيامة من قَبره، وهو كمثل المجنون.

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ في قصة الإسراء قال: «فانطلق بي جبريل إلى رجالٍ كثير، كلُّ رجلٍ منهم بطنُه مثل البيت الضَّخم، منضدين على سابلة آل فرعون، وآلِ فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعَشيّاً» قال: «فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة، والثَّمر، والشَّجر، لا يسمعون، ولا يعقلون، فإذا أحسَّ بهم أصحاب تلك البطون؛ قاموا، فتميل بهم بطونهم، فتصرعهم، يقوم أحدهم فيميل به بطنه، فيصرعه، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون، فيردونهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة. قلت: يا جبريل! مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الرِّبا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطُه الشيطان من المسِّ»(١).

وفي رواية عنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «ليلة أُسْرِيَ بي إلى السَّماء سمعت في السَّماءِ السَّابعة فوق رأسي رعداً وصواعق، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت، فيها حياتٌ تُرى من ظاهر بطونهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل! فقال: أكلة الرِّبا»(٢).

قوله ـ تعالى ـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: ذلك الذي نزل بهم من العذاب ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ واستحلالهم إياه، وذلك: أن أهل الجاهلية كان أحدُهم إذا حلَّ دينُه على غريمه، فطالبه به، فيقول الغريم لصاحب الدَّيْن: زدني في الأجل حتى أزيدكم في المال، فيفعلان ذلك، ويقولان: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى، وقال: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وهذا اليوم في هذا الزمان كثير، فأهل الجاهلية الذين نزل فيهم هذا الوعيد كان

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠ و٣٩١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي إسناده أبو هارون السعيدي، عمارة بن جُوين ضعفه شعبه وقال البخاري: تركه يحيى القطان وقال النسائي: والحاكم: متروك انظر ترجمته في الميزان (٣/ ١٧٣).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٨٦٤٠) وابن ماجه رقم (٢٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف، وأبو الصلت مجهول.

صاحب الدَّيْن إذا حلَّ الأجل؛ يقول لغريمه: أتقضي أم تربي؟ أي: أتوفِّي الدَّيْن الذي عليك أم تَزيدُني في المكسب حتى أزيدَك في التأخير.

واليوم يقولون: أتقضي الدَّين أم تعامل؟ جعلوا المعاملة حيلة في زيادة المال، لأجل زيادة التأخير.

وأصل الرِّبا في اللغة: الزِّيادة. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنَّما المحرَّم زيادةٌ على صفةٍ مخصوصةٍ في مالٍ مخصوص بيَّنه رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه عُبادة بن الصامت عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا تبيعوا الذهبَ بالذهبَ، ولا الوَرِقَ بالوَرِقِ، ولا الشَّعير بالشَّعير، ولا التَّمْرَ بالتَّمْرِ، ولا الملح بالملح إلاَّ سواءً بسواءٍ، يداً بيدٍ، ولكن بيعوا الذهب بالوَرِق، والوَرِق بالذهبِ، والبُرَّ بالشَّعيرِ، والشَّعير بالبُرِّ، والتَّمْرَ بالملح، والملح بالتَّمر يداً بيد كيف شئتم».

وفي روايةٍ: «فمن زاد أو ازداد؛ فقد أربى[1]، الآخذ والمعطي فيه سواء»[2].

وعلة مال الرِّبا عند الشافعي ـ رحمه الله ـ ما كان ثمناً، أو مطعوماً. والرِّبا نوعان: ربا الفضل، وربا النِّساء. فإذا باع مال الرِّبا بجنسه، مثل أنْ باع أحد النقدين بجنسه، أو باع مطعوماً بجنسه، كالحنطة ونحوها، ثبت فيه كلا نوعي الرِّبا: الفاضل والنِّساء، ولا يجوز إلا متساويين في معيار الشَّرع فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير يشترط المساواة في الوزن.

وإن كان قَليلاً كالحِنطة والشَّعير يُباع بجنسه. ـ وأعني بقولنا: مال الرِّبا الأشياء السِّتَّة المذكورة في الحديث ـ نظر إن باع بما لا يوافقه في وصف الرِّبا، مثل: إنْ باع مطعوماً بأحد النقدين؛ فلا ربا فيه، كما لو باعه بغير مال الرِّبا.

وإن باعه بما يوافقه في الوصف، مثل: إنْ باع الدَّنانير بالدَّراهم، أو باع الحنطة بالشعير، أو باع مطعوماً بمطعومٍ آخر من غير جنسه؛ فلا يثبت فيه ربا

---

(١) فمن زاد أو ازداد، فقد أربى، معناه فقد فعل الربا بالمحرم، فدافع الزيادة وآخذهما عاصيان مرابيان.

(٢) رواه مسلم رقم (١٥٨٧) بلفظ المؤلف من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

الفضل حتى يجوز متفاضلاً وجُزافاً ، ويثبت فيه ربا النساء حتى يُشْترط التقابض في المجلس مع إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس . هذا كله في البيع والشِّراء .

وأما مَنْ أقرض شيئاً بشرط أن يردَّ عليه أفضل منه ، أو أكثر ؛ فهو ربا ، وكذا لو شرط أن يبيعَه دارَه ، ويحمل له عليها ، أو يهدي له ، أو يشفع له ، فهو ربا ؛ إذ كل قرضٍ جرَّ نفعاً فهو ربا .

وهكذا قبول الهديَّة على الشفاعة ؛ لما روى أبو داود عن رسول الله ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «مَنْ شَفَع لأحدٍ شفاعةً ، فأُهدي عليها هديةً ؛ فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الرِّبا»[1] .

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : مَنْ شفع لرجلٍ شفاعةً فأهدى إليه هديةً ؛ فهو سُحتٌ .

وعنه قال : إذا كان لك على رجلٍ دَيْن ، فأهدى لك حِمل ـ أي : حمل تبن ـ فلا تأخذه ؛ فإنَّه ربا .

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ : إذا كان لك على رجلٍ دَيْن ، فأهدى لكَ ، فما أكلت من بيته ؛ فهو سحت . أي : حرام .

قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي : تذكير وتخويف ﴿ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكل الربا ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي : ما مضى من ذنبه قبل النهي ، مغفورٌ له ، ﴿ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بعد النهي ؛ إن شاء عصمه ، حيث يثبت على الانتهاء ، ولا يعود ، وإن شاء ، خذله حتى يعود إلى أكل الرِّبا .

﴿ وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى أكل الرِّبا بعد النَّهي مستحلاً له ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فهذا وعيدٌ عظيم بالخلود في النَّار لمن عاد بعد النَّهي إلى أكل الرِّبا .

ولقد لعن النبيُّ ـ ﷺ ـ آكلَ الرِّبا وموكلَه ؛ يعني : الآخذ والمعطي ، فروى البخاريُّ في «صحيحه»[2] : «أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ نهى عن ثمن الدَّم ، وثمن الكلب ، وكسب البغي ، ولعن آكل الرِّبا ، وموكله ، والواشمة ، والمستوشمة ، والمصوِّر» .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٤١٦ و٣٤١٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٢٣٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه .

وروى الترمذي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: «أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ لعن آكل الرِّبا ومُوكلَه ، وشاهديْه ، وكاتِبَه ، وقال: هم سواء»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الرِّبا سبعون باباً ، أهونُها عند الله ـ عزَّ وجلَّ ـ كالذي ينكح أمَّه»[2].

وقد روى عن النبي ﷺ: أنَّه قال: «درهمٌ مِنْ ربا يأكله الرَّجل وهو يعلمه أشدُّ من ستٍ وثلاثين زنيةً في الإسلام»[3] حتى يثبت على الانتهاء فلا يعود.

وقال أبو بكر الصِّديق ـ رضي الله عنه ـ: الزايد والمستزيد في النار.

وفي حديث سَمُرَة بن جُنُدب ـ رضي الله عنه ـ في منام النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه ـ ﷺ ـ قال لأصحابه ذات غداة: «إنَّه أتاني الليلة آتيان من ربي ، وأنهما قالا لي: انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنَّا أتينا على رجلٍ مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرةٍ ، وإذا هو يهوي بالصَّخرة لرأسه ، فيثلغُ رأسَهُ ، فيتدَهْده الحجر ، فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه ، فيفعل به مثلَ ما فعلَ في المرَّة الأولى .

قال: قلت: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلُّوبٍ من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقَّي وجهه ، فيشرشر شدقَه إلى قفاه ، ومنخرَه إلى قفاه ، وعينَه إلى قفاه ، ثمَّ يتحوَّل إلى الجانب الآخر ، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب ، حتى يصح ذلك الجانب كما كان . ثم يعود عليه . فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى .

قال: قلت: سبحان الله! ما هذا؟ قالا لي: انطلق ، انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على مثل التنُّور ، فأحسب أنه قال: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ ، فاطلعنا فيه؛ فإذا فيه

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٢٠٦) وأبو داود رقم (٣٣٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٥٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي إسناده عبد الله بن زياد منكر الحديث. وقال البيهقي: غريب بهذا الإسناد.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٢٧٠٣) والدارقطني في السنن (٣/ ١٦) من حديث عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه ، وفي إسناده ليث بن أبي سليم ، قال أحمد: مضطرب الحديث. وقال يحيى والنسائي: ضعيف. وللحديث شاهد رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٥) فهو به حسن.

رجالٌ ونساءٌ عراةٌ ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللَّهب ضوضوا .

قلت : ما هؤلاء؟! قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على نهرٍ ـ حسبت أنَّه قال : أحمر مثلُ الدم ـ وإذا في النَّهر رجلٌ يسبح على الماء ، وإذا على شطِّ النَّهر رجلٌ قد جمع عنده حجارةً كثيرة ، وإذا ذاك السَّابح يسبح ما يسبح ، ثمَّ يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغرُ له فاه ، فيلقمه حجراً ، فينطلق ، فيسبح ، ثم يرجع إليه ، كلما رفع إليه فغر له فاه ، فالتقمه حجراً .

قلت لهما : ما هذان؟! قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على رجلٍ كريه المَرْآة كأكره ما أنت رائي رجلاً مَرأى ، وإذا عنده نارٌ يَحشُّها ، ويسعى حولها .

قلت لهما : ما هذا؟ قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا ، فأتينا على روضةٍ مُعْتَمَّةٍ فيها من كل نَوْر الربيع ، وإذا بين ظهري الرَّوضة رجلٌ طويل ، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرَّجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قطُّ .

قلت لهما : ما هذا؟ أو : ما هؤلاء؟ قالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقنا إلى دوحةٍ عظيمةٍ ، لم أر دوحةً قطُّ أعظم منها ، ولا أحسن . قالا : ارق فيها ، فارتقيت فيها إلى مدينةٍ مبنيةٍ بِلَبِنِ ذهب ، ولَبِن فضَّة ، فأتينا بابَ المدينة ، فاستفتحنا ، ففتح لنا ، فدخلناها ، فتلقانا رجال شَطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ ، وشطر كأقبح ما أنت راءٍ ، قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النَّهر ، وإذا نهرٌ معترضٌ يجري كأن ماءه المحض في البياض . فذهبوا ، فوقعوا فيه ، ثمَّ رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السُّوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة .

قال : قالا لي : هذه جنَّة عدن ، وهذاك منزلك ، فسما بصري صُعُداً فإذا قصرٌ مثل الرَّبابة البيضاء ، قالا لي : هذاك منزلك . قلت لهما : باركَ الله فيكما ، ذراني فأدخُلَه! قالا : أمَّا الآن فلا ، وأنت داخله . قلت لهما : فإني رأيت منذ الليلة عجباً ، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي : أما إنا سنخبرك :

أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يُثلَغُ رأسُهُ بالحجر ؛ فإنَّه الرَّجل الذي يأخذ القرآن ، فيرْفُضهُ ، وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأمَّا الرَّجل الذي أتيت عليه ، وهو

يُشرشَرُ شِدقُهُ إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، فإنَّه الرَّجل يغدو من بيته ، فيكذبُ الكذبة تبلغ الآفاق .

وأمَّا الرِّجال والنِّساء العراة الذين هم في مثل التنُّور ؛ فإنهم الزناة والزواني .

وأمَّا الرَّجل الذي أتيت عليه وهو يَسبحُ في النهر ، ويُلقَم الحجارة ؛ فإنَّه آكل الرِّبا .

وأمَّا الرَجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ، ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم .

وأما الرَّجل الطَّويل الذي في الرَّوضةِ ؛ فإنَّه إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ . وأمَّا الوِلْدان الذين حوله ؛ فكلُّ مولودٍ وُلِدَ على الفطرة»

فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ! وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «وأولاد المشركين .

وأمَّا القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن ، وشطرٌ منهم قبيح ؛ فإنَّهم قوم خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً ، تجاوز الله عنهم» روى هذا الحديث البخاريُّ في «صحيحه»[١] . وفي رواية قالا له : «وأنا جبريل ، وهذا ميكائيل»[٢] .

وهذا المنام وحي من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لأنَّ في الحديث : «إنَّ رؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وحيٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

قوله : (يُثلغُ رأسُه) : أي : يشدخُه ، ويشقُّه . قوله : (يتدهده) : أي : يتدحرج . و(الكَلُّوب) ـ بفتح الكاف وضم اللام المشدَّدة ـ : معروف . قوله (يشرشر شدْقه) ؛ أي : يقطعه . قوله : (ضوضوا) ـ بضادين معجمتين ـ أي : صاحوا . وقوله : (فيفغر له فاه) ؛ أي : يفتحه . وقوله : (كريه المَرْآة) ـ بفتح الميم ـ أي : كريه المنظر . وقوله : (يَحُشُّها) ـ بفتح الياء ، وضم الحاء المهملة ، وبالشين المعجمة ، أي : يوقدها ، وقوله : (روضة معتمةٌ) ، بضم الميم وإسكان العين . وفتح التاء . وتشديد الميم ، أي : وافية النبات . وقوله : (دوحة) : هي الشجرة الكبيرة . وقوله : (كأن ماءه المحض) ـ بالحاء المهملة . والضاد المعجمة . وهو اللبن . وقوله : (وسما

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٣٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

بصري) أي: ارتفع صعداً؛ أي: مرتفعاً. وقوله: (مثل الرَّبابة) ـ بفتح الرَّاء والباء الموحده المكرَّرة ـ أي: السَّحابة.

وفي الحديث فوائد:

منها: ما أخبر به عن عذاب من يقرأ القرآن، ويترك العمل به، وهكذا قد جاء في رواية عن الذي يُثلغ رأسه بالحجر: أنَّه الذي يأخذ القرآن، فينام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنَّهار.

ومنها: ما أخبر به عن عذاب الكذاب؛ الذي يشرشر شِدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه.

ومنها: ما أخبر به عن الزناة والزواني من الرِّجال والنساء؛ الذين ماتوا من غير توبة أنَّهم في النار.

ومنها: ما أخبر به عن عذاب آكل الرِّبا. وأوَّلَ العلماء ذلك النهر الأحمر الذي مثل الدَّم يسبح فيه آكل الرِّبا: أنَّه المال الحرام الذي جمعه في الدنيا من المعاملة بالرِّبا، يتكلَّف المشقَّة والتَّعب فيه، ثمَّ يلقم حجارة النار، فيبتلعها كما ابتلع المال الحرام في الدنيا.

فهل من خائفٍ على نفسه من هذاالعذاب الشديد مع لعنة الله له، كما تقدَّم من قول النبيِّ ـ ﷺ ـ: «لعن الله آكل الرِّبا، وموكله وشاهديه، وكاتبه». وقال: «هم سواء»[1]؟!

واللعنة من الله هي البعد والطَّرد، وإذا أبعد الله العبد وطرده؛ فقد عذَّبه وأشقاه، وطرده وأقصاه، فنعوذ بالله مِنْ غضبه وعذابه، فهل خائف على نفسه مِنْ عذاب ربِّه، وطرده، وإبعاده؟!.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: إذا ظهر الزِّنى والرِّبا في قريةٍ؛ أُذن بهلاكها.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. . .» فذكر منها أكل الرِّبا روا ه البخاريُّ ومسلم[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «أربعٌ حقٌّ على الله ألاَّ يدخلهم الجنَّة، ولا يذيقهم نعيمها: مُدْمِنُ خمرٍ، وآكل الرِّبا، وآكل مال اليتيم بغير حقٍّ، والعاقُّ لوالديه»[2].

وكثير ممَّن يأخذ المال بالرِّبا يظنُّ أنه لا إثم عليه، وأن الإثم على صاحب المال وحده، وهذا مِنْ جهله، بل اللَّعنة عليه أولاً. لقول رسول الله - ﷺ -: «لعن الله آكل الرِّبا وموكله»[3] يعني: الآخذ والمعطي. وهكذا قد جاء مصرحاً به في حديث آخر: «الآخذ والمعطي سواء»[4].

وقد روي عن موسى بن عبد الله: أنَّ أباه بعثه عاملاً - يعني بتجارةٍ - إلى أصبهان بأربعة آلاف، فبلغ المال ستة آلاف، ثمَّ إن العامل ماتَ، فذهب يأخذُ مالَه، فبلغه: أنَّه كان لا يفارق الرِّبا، فأخذ رأس ماله الأربعة آلاف، وترك البقية؛ خوفاً مِنْ وبال الرِّبا، وتحرُّزاً من عذاب الله، نعوذ بالله من عذابه، ونسأله العصمة والتوفيق لما يحبُّه ويرضاه، إنَّه جواد كريم.

فصل

وإذا حَرَّم الله الرِّبا؛ فهو دليلٌ على أنَّه يحبُّ الإحسان إلى خلقه، خصوصاً الضعيف بينهم والمسكين، فإنَّه يلحقه بالرِّبا ضررٌ عظيمٌ بزيادة الكسب عليه في كلِّ عامٍ، فيستغرق ماله، ويبيع مسكنه، فيتضرَّر بذلك، ويبقى كَلاًّ على الناس بسبب الرِّبا، فكره الله ذلك من أرباب الأموال والأقوياء، وأمرهم أن يحسنوا إلى من احتاج إليهم بالقرض والصَّدقة؛ ليعوضهم من عنده بالثواب الجزيل، والأجر العظيم في الآخرة.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٦٦) ومسلم رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص (؟؟).

(٣) تقدم تخريجه ص (؟؟).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩)، والدارقطني في السنن رقم (٣/ ٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

فقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وسئل بعض العلماء: لِمَ حرَّم الله الرِّبا؟ فقال: لئلا يتمانع النَّاسُ المعروف.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَا مِنْ مُسْلمٍ يقرض الله قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرَّةً»(١).

وقال ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسْرِيَ بي على باب الجنَّة مكتوباً: الصَّدقة بعشرِ أمثالها، والقَرضُ بثمانيةَ عَشَر. فقلت: يا جبريل؟ ما بالُ القرض أفضل من الصَّدقة؟ قال: لأنَّ السَّائلَ يَسألُ وعندَه، والمستقرض لا يستقرض إلاَّ من حاجة». أخرجه ابن ماجه(٢).

فصل

ثمَّ من المعروف والإحسان الذي أمر الله به الصَّبْرُ على المُعْسِر، والتيسير عليه بوضع الدَّين عنه، أو الصَّدقة عليه.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] يعني: إن كان الذي عليه الدَّينُ معسراً فنظرةٌ؛ أي: فأمهالٌ، وصبرٌ عليه إلى وقت يسار.

﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ ﴾ أي: تتركوا الدَّين الذي عليه المعسر، وتسقطوه من ذمته ﴿ خَيْرٌ

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٤٣٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفي إسناده قيس بن رومي مجهول، وسليمان بن يسار متفق على تضعيفه، وللحديث شواهد يتقوى بها. انظرها في إرواء الغليل (٥/ ٢٢٥) وكنز العمال (٦/ ٢١٠).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٤٤١) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده خالد بن يزيد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي والدارقطني.

﴿لَّكُمْ﴾ من التضييق عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ثواب الله في الآخرة وجزاءه خيرٌ لكم.

ندب الله عباده الأقوياء أهل اليسار في هذه الآية إلى الإحسان إلى الضعفاء، والمقلّين، ووعدهم على ذلك الثواب الجزيل، والأجر العظيم؛ إذا صاروا إليه في الآخرة، ووقفوا بين يديه.

عن عبد الله بن قتادة عن أبيه: أنَّه كان طلب غريماً بحقٍّ له عليه، فأختبأ منه، ثمَّ لقيه فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: إنِّي معسرٌ! فاستحلفه، فحلف له، فدعا بِصَكِّه - أي: وَثيقَته - فأعطاه إيَّاها، ثم قال: إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «مَنْ أنظر معسِراً، أو وضع له، أنجاه الله من كُرَبِ يوم القيامة» أخرجه مسلم[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: «كان رجلٌ يُداينُ النَّاس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه؛ لعلَّ الله يتجاوز عنَّا، فلقي الله، فتجاوز عنه». مخرَّج في «الصحيحين»[2].

وقال ﷺ: «إنَّ رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له: ما كُنت تعملُ؟ (قال: فإمَّا ذكر، وإمَّا ذُكِّر) فقال: إني كنتُ أبايعُ الناس، فكُنْتُ أُنْظِر المعسر، وأَتَجَوَّزُ في السِّكَّةِ، أو في النَّقْدِ، فَغُفِر له». رواه مسلم[3].

ففي هذه الأحاديث أعظم دليل على فضل المسامحة والصَّبر على المعسر. ودليلٌ على فضل التجاوز في النقد فيما يأخذه من فقير، وضعيف الحال؛ لمايعلم من رقة حاله، وضعفه، فإنَّ الله يغفر له بذلك، ويكون ما يعطيه عوضاً عن تلك الدَّراهم الزائفة صدقة سرٍّ، لا يعلمها إلا الله، فَيثيبُه على ذلك في الآخرة ثواباً جزيلاً.

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّه قال: «مَنْ يسَّرَ على مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[4].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٥٦٣) بلفظ: «من سره أن يُنجِّيه الله من كُرِب يوم القيامة، فلينفِّس عن مُعسِر أو يَضعَ عنه» من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٠٧٨ و٣٤٨٠) ومسلم رقم (١٥٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (١٥٦٠ و٢٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) وأبو داود رقم (٤٩٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «مَنْ أنظر مُعسراً ، أوْ وَضعَ عنه؛ أظلَّه الله في ظلِّه يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه». أخرجه مسلم في «صحيحه»[1].

فهذه بشارةٌ عظيمةٌ ، وغنيمةٌ شريفة لِمَنْ صبر على المعسر ، أو وضع عنه من دَيْنه ، بأنَّ الله يظلَّه في ظلِّ عرشه يوم القيامة والناس في شدَّة وكُرَبِ القيامة.

وهو داخل في قول النبيِّ - ﷺ - «مَنْ نفَّسَ عن مؤمِنٍ كُرْبَةً من كُرَب الدنيا؛ نفَّس الله عنه سبعين كربةً من كرب الآخرة يوم القيامة»[2].

فصل

وإذا كان هذا من جانب صاحب المال؛ فليكن من الذي عليه الدَّين الاهتمام بالوفاءِ وحسنِ القضاءِ ، وليعلم: أن أمر الدَّين في الآخرة صَعْبٌ ، وأنه من ظلم العباد التي لا يغفرها الله - عزَّ وجلَّ - إلا برضا صاحب المال.

وفي الحديث الصحيح: أنَّ رجلاً أتى النبيَّ - ﷺ - فقال: يا رسول الله! أرأيتَ إن قُتلتُ في سبيل الله أتكفَّرُ عنِّي خطاياي؟ قال: «نعم إن قُتلتَ في سبيل الله ، وأنتَ صابرُ ، محتسبٌ ، مُقبِلٌ غير مُدْبرٍ إلاَّ الدَّيْن»[3].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو أنَّ رجلاً قتل في سبيل الله ، ثمَّ أحيي ، ثم قُتل ، ثم أُحيي وعليه دَيْنٌ ما دخل الجنَّة حتَّى يقضى عنه»[4].

ولهذا امتنع النبيُّ - ﷺ - من الصلاة على من مات في زمانه وعليه دَيْن ، كما روى سلمةُ بن الأكوع: أنَّ النبيَّ - ﷺ - أُتيَ بجنازة ، فقالوا: صَلِّ عليه يا رسول

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٠٠٦) في الزهد ، باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
ورواه الترمذي رقم (١٣٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) والترمذي رقم (١٤٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «من نفَّس عن مؤمن كُربه من كُرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» ولم نجده بلفظ المؤلف.

(٣) رواه مسلم رقم (١٨٨٥) ، والترمذي رقم (١٧١٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) رواه النسائي في السنن (٧/ ٣١٤ و٣١٥) من حديث محمد بن جحش رضي الله عنه وإسناده حسن.

الله! فقال: «هل على صاحبكم دَيْن؟» قالوا: نعم، قال: «هل ترك له وفاء!» قالوا: لا. قال: «صلُّوا على صاحبكم»[1].

وقال ﷺ: «نفسُ المؤمن معلقةٌ بدَيْنِه حتى يُقضى عنه»[2].

وما ذلك إلا لأنَّ الدَّيْن من حقوق العباد، ولا يدخل الجنَّةَ أحدٌ ولإحدٍ من الآدميين قَبلهُ حقٌّ يقضى. وليس في القيامة دينار ولا درهم، إنَّما يأخذ أصحاب الدَّيْن من المَدِينِ حسناته.

قال الربيع بن خيثم[3]: إنَّ أهلَّ الدين في الآخرة أشدُّ طلباً له منهم في الدُّنيا، يُحبس لهم، ويؤاخذون به، فيقول: ـ يعني المديون ـ: يا رب! ألا تراني حافياً عرياناً، قد ذهبتْ عني الدُّنيا، فيقول لهم: قصُّوه مِنْ حسناته، فإن لم يكن له حسنات؛ قال: اجعلوا على سيئاته مِنْ سيئاتهم».

وعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن!» فقال رجلٌ: يا رسول الله! أتعدلْ الكفرَ بالدَّين؟ قال: «نعم»[4]. رواه النِّسائيُّ.

وقال ﷺ: «من أخذ أموال الناس يريدُ أداءها؛ أدَّى الله عنه، ومَنْ أخذها يريدُ إتلافها؛ أتلفهُ الله»[5].

وقال ﷺ: «أيُّما رجلٍ أصدقَ امرأةً صداقاً والله يعلم أنَّهُ لا يريد أداءَه، فغرَّها بالله، واستحل فرجها بالباطل؛ لقي الله يوم يلقاه وهو زانٍ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٨٩ و٢٢٩٥) والنسائي رقم (٧/ ٦٥) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٠٧٨ و١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو كما قال.

(٣) الربيع بن خيثم هو الإمام القدوه العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه، توفي رحمه الله سنة خمس وستين هـ.

(٤) رواه النسائي (٨/ ٢٦٤ و٢٦٥) في الإستعاذه، من حديث دَّراج أبي السمح عن شيخه أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ودراح صدوق، ولكن في حديثه عن شيخه أبي الهيثم ضعيف، وهذا منها.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٣٧٨) في الاستقراض من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأيُّما رجلٍ إدَّان دَيْناً والله يعلم أنَّه لا يريد أداءَه إلى صاحبه ، فغرَّه بالله ، واستحل ماله بالباطل ؛ لقي الله يوم القيامة يوم يلقاه وهو سارق»[1] .

وقال: مَنْ أخذ أموال الناس يريد أداءها ؛ أدَّى الله عنه ، وَمَنْ أخذها يريد إتلافها ؛ أتلفه الله .

وإذا كان قادراً على الوفاء ؛ فليبادر على وفائه ، وليمش إلى صاحب الحقِّ بنفسه ، ويؤدي إليه دَيْنه ، ويشكر له إحسانه ،

فقد قال النبيُّ - ﷺ -: «خيركم أحسنكم قضاءً»[2] .

ومتى ماطل مع القدرة على الوفاء ؛ كان ظالماً ، كما قال ﷺ: «مَطل الغنيِّ ظلم» . مخرج من «الصحيحين»[3] .

وقال: «ليُّ الواجد ظلم ، يحلُّ عرضه وعقوبته»[4] . ومعناه مَطلُ الواجد ظلم يحلُ عرضه ؛ بأن يشكي ، ويقول: ظلمني ، ومنعني حقِّي ، ويحل عقوبته ؛ أي حَبْسه حتى يقضي الدَّين ، فمتى علم صاحبُ الحقِ: أنَّ الذي عليه الدَّيْنُ قادراً على الوفاء ؛ حلَّ له حبسه ، وشكواه . ومتَى علم إعساره ؛ لم يحلَّ له ذلك ، بل يستعمل معه الصَّبر والإحسان الذي أمر الله به ، وقد نبَّهْنَا على فضله ، والله الموفِّق ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٢) ورقم (١٨٩٣٢) وابن ماجه رقم (٢٤١٠) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، لإبهام الرجل الراوي عن صهيب ، ولجهالة الحسن بن محمد الأنصاري ، فقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٣٠٦) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣/ ٣٥) ولم يذكر في الرواة عنه غير عبد الحميد بن جعفر ، ولم يُؤثر توثيقُه عن غير ابن حبان .

(٢) رواه النسائي (٧/ ٢٩١ و٢٩٢) من حديث العرباض ين ساريه رضي الله عنه وإسناده حسن بلفظ «خيركم خيركم قضاءً» .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٤٠٠) ومسلم رقم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري تعليقاً رقم (٥/ ٤٦) وقال الحافظ في الفتح: وصله أحمد وإسحاق في مسنديهما ، ورواه أبو داود رقم (٣٦٢٨) وابن ماجه رقم (٢٤٢٧) وصححه الحاكم (٤/ ١٠٢) ووافقه الذهبي هو كما قالا .

فصل

ومِنَ الإحسان في باب المعاملة أن يبادر إلى إقالة من استقاله في بيع ، أو شراءٍ ، أو أخذٍ ، أو عطاءٍ ، فقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ أقال[1] نادماً؛ أقال الله عثرته يوم القيامة»[2].

فلا ينبغي للمسلم أن يفوِّت نفسه هذا الخير العظيم ولقد حكي عن بعض الصالحين ، وهو الليث بن سعد ـ رحمه الله ـ: أن قوماً اشتروا منه تمراً على نخيله ، فلما استغلَّوه؛ خاس معهم ، فجاؤوا إليه ، واستقالوه ، فأقالهم ، وأمر لهم بخمسين ديناراً من عنده زيادةً على مالهم ، فقيل له: يرحمك الله! ما هذه الزيادة ، وقد ردُّوه عليك؟ فقال: إنَّهم كانوا أمَّلوا فيه أملاً ، فخاب أملهم ، فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا ـ رضي الله عنه ـ.

* * *

---

(١) أقال نادماً الإقالة في البيع هي فسخه وإعادة البيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٠) ، وابن ماجه رقم (٢١٩٩) وصححه ابن حبان رقم (١١٠٣ و١١٠٤) والحاكم (٢/ ٤٥) ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

الكبيرة الثامنة

أكل مال اليتيم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤] وفي «الصحيحين»[1] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «اجتنبوا السَّبع الموبقات» فذكر: الشرك والسِّحر، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، والتولي يوم الزَّحف، وقذف المحصنة.

وعن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «أربعٌ حقٌّ على الله ألا يدخلهم الله الجنَّة، ولا يذيقهم نعيمها: مُدْمِنُ خمرٍ، وآكل الرِّبا، وآكل مال اليتيم بغير حقٍّ، والعاقُّ لوالديه»[2].

فكلُّ وليٍّ ليتيم إذا كان فقيراً، وهو يسعى في إصلاح ماله، فأكل بالمعروف؛ لا بأس عليه. لقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

ورُوي: أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: إني فقير، ليس لي شيء، ولي يتيم، فقال: «كل من مال يتيمك غير مسرفٍ، ولا مبذِّر، ولا متأثِّلٍ»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٦٧٤٧ و٧٠٢٢) وأبو داود رقم (٢٨٧٢) وابن ماجه رقم (٢٧١٨) وزاد الحافظ في الفتح (٨/ ٢٤١) نسبته إلى ابن خزيمة، وقال: وإسناده قوي ـ أقول: إسناده حسن، وله شاهد من حديث عائشة موقوفاً عليها رواه البخاري. ومسلم رقم (٣٠١٩).

ثم اختلفوا هل يلزمه الردُّ إذا أيسر! فذهب قومٌ إلى أنه يلزمه. قالوا: وهو المراد من قوله تعالى ﴿ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قالوا: والمعروف: القرض؛ أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه؛ فإذاأيسر؛ قضاه. وهو قول مجاهد[1]، وسعيد بن جبير[2].

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إنِّي أنزلت نفسي مِنْ مال الله بمنزلة الولي لمال اليتيم؛ إذا استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت[3].

وقال الشعبي[4]: لا يأكل الولي إلا أن يضطرَّ إليه، كما يضطر إلى الميتة.

وقال قومٌ: لا قضاء عليه.

ثم اختلفوا في كيفية هذا الأكل بالمعروف؟

فقال عطاء[5]، وعكرمة: يأكل بأطراف أصابعه، ولا يُسرف ولا يكتسي منه، ولا يلبس الكتَّان، ولكن ما سدَّ الجوعة، ووارى العورة.

وقال الحسن: يأكل مِنْ تمر نخيله، ولبن ماشيته بالمعروف، ولا قضاء عليه، وأما الذهب والفضة؛ فلا، فإن أخذ شيئاً منه؛ ردَّه عليه.

---

(١) مجاهد بن جبر هو الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي. روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، توفي رحمه الله سنة (١٠٢ هـ) وهو ساجد.

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد أبو محمد، ويُقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، كان من كبار العلماء، روى عن ابن عباس فأكثر وجوَّد وحدث عنه أبو صالح السمان، والزهري، وخلق كثير.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (١٢٩٦٠) والبيهقي في السنن (٦/ ٣٥٤) موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٤) الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، وذو كبار قَيْل من أقيال اليمن، الإمام علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، ولد في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، رأى علياً رضي الله عنه، وصلى خلفه ـ قال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، توفي رحمه الله سنة (١٠٥) هـ.

(٥) عطاء هو ابن أبي رباح مفتى الحرم. أبو محمد القرشي مولاهم المكي، نشأ بمكة، وولد في خلافة عثمان رضي الله عنه، حدث عن عائشة وأم سلمة كان عالماً كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة (١١٤) هـ.

وعن القاسم بن محمَّد[1] ـ رحمه الله ـ قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبَّاس ، فقال: إنَّ لي يتيماً ، وإنَّ له إبلاً ؛ أفأشرب مِنْ لَبَنِ إبله؟ فقال ابن عبَّاس: إن كنت تتبع ضالةَ إبله ، وتلوطَ حوضها ، وتسقيها يوم وِردها ؛ فاشرب غير مضرٍ بنسلٍ ، ولا ناهكٍ في الحلب.

وقال قوم: المعروف: أن يأخذ من جميع ماله بقدر قيامه على ماله ، وأجرة عمله ، ولا قضاء عليه ، وهو قول عائشة وجماعةٍ مِنْ أهل العلم. وبعد ذلك فالله يعلم المفسد من المصلح.

وإذ قد ذكرنا تحريم الإساءة إليه ؛ فلنذكر شيئاً في فضل الإحسان إليه ، وإلى الأرامل والمساكين.

فصل في فضل الإحسان إلى الأيتام ، والأرامل والمساكين ، والمنكسرين ، وسائر الضَّعفة وملاطفتهم والشفقة عليهم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». قال الراوي: وأحسَبه قال: «وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر». مخرَّج في «الصحيح»[2]. واليتيم مسكين في الجملة ، فيدخل المحسن إليه في فضل الحديث ، والسَّاعي عليهم: هو القائم بأمورهم فيما يحتاجون إليه ديناً ودنيا.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ـ وأشار بالسَّبابة

---

(١) القاسم بن محمد ، هو ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ، الإمام القدوة الحافظ الحجة ، عالم وقته بالمدينة ، ولد في خلافة علي رضي الله عنه من خيار التابعين توفي رحمه الله (١٠٧) هـ.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٠٠٦) ومسلم رقم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والوسطى ، وفرَّج بينهما ـ» رواه البخاريُّ[١] . وفي رواية : «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنَّة» وأشار الراوي بالسَّبابة والوسطى ، وفرَّج بينهما[٢] .

قوله : (له أو لغيره) : معناه : قريبة أو لأجنبيٍّ منه .

قال ﷺ : «مَنْ ضمَّ يتيماً من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يُغنيَه الله ؛ أوجب الله له الجنَّة البتَّةَ إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر»[٣] .

وروي : أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال لداود ـ عليه السَّلام ـ : كن لليتم كالأب الرَّحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشفيق .

وعن أبي عِمران الجونيِّ[٤] ، عن أبي خالد قال : قرأتُ في مسألة داود ـ عليه السلام ـ أنَّه قال : إلهي ! ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ فقال : جزاؤه أنْ أظلَّه في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي .

وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ : خير البيوت بيتٌ فيه يتيم يُحْسَن إليه ، وأحبُّ عباد الله إلى الله من اصطنع صنيعاً إلى يتيم وأرملة .

وذُكر أنَّ بعض العلويِّين كان نازلاً ببلخ[٥] ، وله امرأةٌ علويةٌ ، وله منها بنات قد

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٣٠٤) وأبو داود رقم (٥١٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ورواه مسلم رقم (٢٩٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٥) ورقم (٨٨٨١) والبخاري في الأدب المفرد (١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١١٥٤٣) وأبو يعلى رقم (٢٤٥٧) وفي إسناده حسن بن قيس ، الملقب بحنش متروك .

(٤) أبو عمران الجوني : هو الإمام الثقة عبد الملك بن حبيب البصري ، رأى عمران بن حصين ، روى عن جندب البجلي ، وأنس بن مالك توفي رحمه الله سنة (١٢٣) هـ .

(٥) بَلْخ مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجمل مدنها ، وأكثرها خيراً ، كانت تسمى الإسكندرية قديماً ، أفتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كُريز زمن عثمان رضي الله عنه ، من أعيانها الحسن بن شجاع بن رجاء أبو علي البلخي الحافظ ، روى عنه البخاري وأبو زرعة الرازي ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبي : يا أبت ما الحفاظ قال يا بني شباب كان عندنا من أهل خراسان وقد تفرقوا ، قلت ومن هم يا أبت؟ قال محمد بن إسماعيل البخاري ، وعبيد الله بن عبد الكريم ، والحسن بن شجاع ذاك البلخي ، ومات الحسن بن شجاع سنة (٢٤٤) هـ رحمه الله .

أصابهم الفقر ، فمات زوجها ، فخرجت المرأة ببناتها مِنْ بلدها خوفاً مِنْ شماتةِ الأعداء إلى سمرقند ، واتفق خروجها في شدَّة البرد ، فلمّا دخلوا البلد أدخلت بناتها إلى بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم في القوت ، فمَّرت بجمعين : جمع على رجلٍ مسلمٍ وهو شيخ البلد ، وجمع على رجلٍ مجوسيٍّ وهو ضامن البلد ، فبدأت بالمسلم ، فشرحت له حالها ، وقالت : أنا امراة علويةٌ أرملة ، ومعي بناتٌ أيتام ، وأريد الليلة قوتهم . فقال لها : أقيمي عندي البيِّنة أنَّك علويّة ، فقالت : أنا امرأة غريبة ، وما في البلد مَنْ يعرفُني . فأعرض عنها ، فمضت عنه منكسرة القلب ، فوقفت على الرجل المجوسيِّ ، فقال لها : ما حاجتك؟ فشرحت له حالها ، وما جرى لها مع المسلم ، فمضى بها المجوسيّ إلى داره ، وأرسل معها امرأةً من أهله ، فجاؤوا ببناتها إلى داره ، فألبسهم الحُلل الفاخرة ، وأطعمَهم أطايب الطعام ، وقال لهم : لا تبرحوا من هذه الدَّار ، ولكم جميع ما تحتاجون إليه من الطَّعام ، والشَّراب ، واللِّباس ، ففرحوا بذلك ، ودعوا له بخير .

فلما كان الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأنَّ القيامة قد قامت ، وقد عُقد اللواء على رأس محمَّدٍ ـ ﷺ ـ والنَّاس في كُرَبِ القيامة ، وإذا قصر من الزُّمرّد الأخضر ، فقال : يا رسول الله! لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحِّد ، فقال : أنا رجلٌ مسلمٌ موحِّد . قال : أقم عندي البينة : أنَّك مسلمٌ موحِّد ، فبقي الرَّجل متحيِّراً ، فقال له النبيُّ ـ ﷺ ـ : لمَّا قصدتك المرأة العلويّة ، وقلت لها : أقيمي عندي البينة أنك علويّة ، فكذلك أنت أقم عندي البيِّنة . قال : فانتبه الرَّجل يبكي ، ويلطم وجهه ، وخرج يطوف البلد على المراة وبناتها ، فدُلَّ على المجوسيِّ ، فجاء إليه ، فقال له : أين المرأة العلويّة؟ قال : عندي أريدها هنا منك . قال : مالي إلى هذا سبيل . قال : فخذ منِّي ألف دينار وسلِّمهم إليَّ . قال : ما أفعل ، قد استضافوني ، ولحقني من بركاتهم . فقال المسلم : لا بدَّ منهم! فقال المجوسيُّ : الذي تطلبه أنت أنا أحقُّ به ، والقصر الذي رأيته في منامك لي خُلق ، أتدلُّ عليَّ بإسلامك؟ فوالله! ما نمتُ أنا ولا أهل داري حتى أسلمنا كلّنا على يد العلويّة ، ورأيتُ مثل منامك الذي رأيت ، وقال لي رسول الله ـ ﷺ ـ : العلوية وبناتها عندك؟ قلت : نعم يا رسول الله! فقال : القصرُ لك ولأهلِ دارك ، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة ،

خلقك الله مؤمناً في الأزل. قال: فانصرف الرَّجل المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فنسأل الله ألا يردَّنا من بابه خائبين ، وأن يوفقنا لمرضاتـه أجمعيـن ، إنَّـه جوادٌ كريم.

* * *

الكبيرة التاسعة

الكذب على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وعلى رسوله محمد ـ ﷺ ـ

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ كذباً عليَّ ليس ككذب على غيري، من كذب عليَّ متعمداً؛ فليتبوَّأ مقعده في النار»[١].

وقال: «مَنْ روى عنِّي حديثاً وهو يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين»[٢].

وقال: «مَنْ يقل عنِّي ما لم أقله؛ فليتبوَّأ مقعده من النَّار»[٣].

وقد ذهب طائفةٌ من العلماء إلى أنَّ الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ كفرٌ، ينقلُ عن الملَّة، ولا ريب أنَّ تَعمُّدَ الكذب على الله ورسوله في تحليل حرامٍ، أو تحريم حلالٍ كفرٌ محض، وإنما الشَّأنُ في الكذب عليه فيما سوى ذلك، فنسأل الله العَفْوَ والعافية والمغفرة في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩١) ومسلم رقم (٤) من حديث المغيرة رضي الله عنه، وهو حديث متواتر عن عددٍ كثير من الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) رواه مسلم رقم (١ و٩) في المقدمة، والترمذي رقم (٢٦٦٤) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٦٦١) في العلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

الكبيرة العاشرة

إفطار يومٍ من شهر رمضان بلا عذر

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر، ولا رخصة؛ لم يقضِ عنه صيام الدَّهر ولو صامه»[١].

وقال ﷺ: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ كفّاراتٌ لما بينهنَّ ما اجتُنبت الكبائر»[٢].

وقال ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت». متفق عليه[٣].

وعن ابن عباسٍ قال: عرى الإسلام وقواعد الدِّين ثلاثةٌ: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، فمن ترك واحدةً منهنَّ؛ فهو كافر»[٤].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٧٢٣) وأبو داود رقم (٢٣٩٦) وهو حديث ضعيف، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمد (يعني البخاري) يقول: أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس، لا أعرف له غير هذا الحديث، وانظر فتح الباري (٤/ ١٣٩) في الصيام، وذكره البخاري (٤/ ١٢٩) في الصوم معلّقاً بصيغة التمريض. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣) والترمذي برقم (٢١٤) وابن ماجه رقم (١٠٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٨) ومسلم رقم (١٦) والترمذي رقم (٢٦٠٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو يعلى رقم (٢٣٤٩) وابن حجر في المطالب العالية رقم (٢٨٦٣) من حديث ابن عباس=

وعند المؤمنين مقررٌ: أنَّ مَنْ ترك صوم رمضان بلا مرض ولا غرض أنَّه شرٌّ من الزاني ، وشارب الخمر ، بل يُشَّك في إسلامه ، ويُنسَبُ إلى الزندقة .

وقال النبيُ ـ ﷺ ـ: «مَنْ لم يَدَعْ قوْلَ الزُّور والعمل به؛ فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابَه»[1] .

وقال ﷺ: «رغم أنف امرىءٍ أدرك رمضان ، فلم يُغْفَر له»[2]. نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العفو ، والمغفرة ، إنَّه جوادٌ كريم .

* * *

= رضي الله عنهما ، قال حماد بن زيد: ولا أعلَمُهُ إلا قد رفعه إلى النبي ﷺ ، وفي إسناده مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٧ و٤٨): رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن .

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٤) ، والترمذي رقم (٣٥٤٥) وابن حبان رقم (٩٠٨) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح .

الكبيرة الحادية عشرة

الفرار من الزَّحف

قال الله - عزّ وجلّ - ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «اجتنبوا السبع الموبقات...»(١) فذكر منها التولِّي يوم الزحف.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه ص (؟؟).

الكبيرة الثانية عشرة

الزنى

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ . . .﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه سئل: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قيل: ثمَّ أيْ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يَطعَم مَعَك» قال: ثم أيْ؟ قال: «أن تزاني حليلةَ جارك»[1]. يعني: زوجة جارك. فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٧٧)، ومسلم رقم (٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن». صحيح مخرَّج في «الصحيحين»[1].

وقال ﷺ: «إذا زنى العبد؛ خرج منه الإيمان ، فكان كالظلَّة على رأسه ، فإذا أقلعَ؛ رجع إليه الإيمان». مخرج في «الصحيح»[2].

وقال ﷺ: «مَنْ زنى وشرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[3]. إسناد جيد.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ ، وملك كذَّاب ، وعائل مُسْتكْبِر»[4]. رواه مسلم.

وعن أبي أُمامة الباهليِّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخرجاني ، فإذاأنا بقوم أشدُّ شيءٍ انتفاخاً ، وأنتنهم ريحاً ، كأن ريحهم المراحيض ، فقلت: مَنْ هؤلاّء؟ قال: هؤلاء الزانون والزناة»[5]. يعني الرِّجال ، والنِّساء.

وقال ﷺ: «حرُمة نساء المجاهدين على القاعدين ، كحرمةِ أمهاتِهم ، وما مِنْ رجلٍ يُخلِّف رجلاً من المجاهدين في أهله ، فيخونُه فيهم؛ إلا وقفَ له يومَ القيامة ، فيأخذ من عمله ما شاء حتى يرضى ، فما ظنُّكم؟». رواه مسلم[6].

وقال ﷺ: «أربعةٌ يبغضهم الله: البيَّاع الحلاَّف ، والفقيرُ المختال ، والشيخُ الزاني ، والإمام الجائر»[7].

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٧٥ و٥٥٧٨) ومسلم رقم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٦٩٠) ، والترمذي رقم (٢٦٢٧) والحاكم (١/ ٢٢) وصححه ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) وصححه ، ووافقه الذهبي ـ وقال في التلخيص: إسناده جيد ، انظر فتح الباري (١٢/ ٦١) والترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٢).

(٤) رواه مسلم رقم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ،صححه ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٦) رواه مسلم رقم (١٨٩٧) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٧) رواه النسائي (٥/ ٨٦) ، وابن حبان رقم (٥٥٥٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٢٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده صحيح.

وعن عطاء قال: لجهنم سبعة أبواب ، أشدُّهاغماً وكرباً وحرّاً ، وأنتنها ريحاً للزناة؛ الذين ركبوا بعد العلم» أي: بعد أن علموا أنه حرام.

وأعظم الزنى: الزنى بالأم ، والأخت ، وامرأة الأب ، وبالمحارم؛ يعني: الأقارب؛ الذين يحرم تزويجهنَّ.

وقد صحّح الحاكم حديثاً قال فيه: «مَنْ وقع على ذات محرم فاقتلوه»(١).

وروي عن البراء بن عازب عن خاله: أن النبي ﷺ أرسله(٢) إلى رجلٍ عرّس بامرأة أبيه أن يقتلهُ ويخمّس ماله(٣).

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «ما مِن ذنبٍ بعد الشِّرك أعظمُ عند الله ـ تعالى ـ مِنْ نطفةٍ وضعها رجلٌ في رحمٍ لا يحلُّ له»(٤).

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «إيَّاكم والزِّنى ، فإنَّ في الزنى ست خصال مذمومة؛ ثلاث في الدنيا ، وثلاث في الآخرة ، فأمَّا اللواتي في الدُّنيا: فذهاب نور الوجه ، وانقطاع الرزق ، وسرعة الفناء. وأمَّا اللواتي في الآخرة: فغضب الرَّبِّ ، وسوءُ الحساب ، والدُّخول في النَّار»(٥).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٧) وابن ماجه رقم (٢٥٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي إسنادهما إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ضعيف ، وداود بن الحصين ، وهو ثقة إلا عن عكرمة ، وحديثه هذا عن عكرمة ، وصححه الحاكم وقال الذهبي في التلخيص: .. لا يعني غير صحيح ـ أقول هو حسن بشواهده.

(٢) سقط من الأصل واستدركناه من سنن البيهقي.

(٣) رواه البيهقي في السنن (٨/ ٢٣٧) وفي إسناده أشعث بن سوار قال في التقريب: ضعيف ، وأبو خالد الأحمر ، عمرو بن خالد متروك ، والحديث ضعيف.
ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٧) عن يزيد بن البراء عن أبيه قال: لقيتُ عمي ومعه الراية فقلت له: أين تريد ، قال بعثني النبي ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله ، وصححه الحاكم وسكت عليه الذهبي ـ أقول: في إسناده زيد بن أُتيسة الرهاوي ـ وثقه ابن معين ، وقال: أحمد في حديثه بعض النكارة.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ ٣/ ٣٢٦ ، وقال رواه ابن أبي الدنيا ـ من حديث الهيثم بن مالك الطائي عن رسول الله ﷺ وهيثم بن مالك الطائي تابعي ، فالحديث مرسل ، وأبو بكر بن أبي مريم الغساني ، ضعيف كما قال الحافظ في التقريب.

(٥) ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال (١/ ١٥) في ترجمة أبان بن نهشل ، وقال: لا تجوز الرواية =

وفي الحديث الذي رواه البخاري: في المنام الذي رآه النبيُّ ـ ﷺ ـ وأنَّه قال: «فانطلقنا ـ يعني: هو والملَكين اللَّذين أخذاه ـ قال: فأتينا على مثل التنُّور، وإذا فيه رجالٌ ونساء، يوقد تحته نار، فإذا أتاهم لهب النَّار؛ ضَوْ ضَوْا ـ أي: صاحوا ـ وأنَّ الملكين قالا له: إنَّهم الزناة والزواني»[١].

وعن مكحولٍ[٢] ـ رحمه الله ـ قال: يروح أهل الجنَّة برائحةٍ، فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا الجنَّة أطيب من هذه! فيقول: هذه ريح أفواه الصوام. ويروح أهل النار برائحة فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا النار أنتن من هذه! فيقول «هذه ريح فروج الزناة».

وعن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: أعمال أمتي تعرض عليَّ في جمعةٍ، واشتدَّ غضب الله على الزناة»[٣]. وكره أبو الفرج بن الجوزي سنده.

وذكر أيضاً قال: حدَّثني ابن أبي الثناء البزَّار قال: رأيتُ رجلاً صديقاً لي في المنام بعد موته، وكان يتشيَّع، وكان يغسل بعض رجله في الوضوء، فقلت له: كيف أنت؟ قال: قوَّروا هذا المكان بسكِّين، وقالوا لي: كنت زاني ـ وأومأ إلى عانته وما حولها ـ ثمَّ قال: وقطعوا هذاالموضع ـ وأومأ إلى مفصل قدمه ـ وقالوا: لم توصل الماء في الغسل إليه. قال: فبينما هو يحدثني تضاءل حتى صار صغير الخلقة، فقلت له: مالك؟! قال: قد صاحوا بي، وما أدري ما يريدون منِّي.

وعنه ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وقاطعُ رحم، ومصدِّقٌ بالسِّحْرِ، ومن مات مدمناً للخمر سقاه الله من نهـرِ الغوطـة» قيل:

= عنه إلا على سبيل الاعتبار من حديث حذيفة رضي الله عنه، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١١٩) ورقم (٤٩٦٦) وقال: غريب من حديث الأعمش تفرد به مسلمة، وهو ضعيف الحديث ـ أقول: مسلمة بن علي مجمع على تركه، بل قال الحاكم: «روى عن الأوزاعي والزبيدي المناكير والموضوعات».

(١) رواه البخاري رقم (١٣٨٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) مكحول: هو عالم أهل الشام، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبو مسلم الدمشقي الفقيه أرسل عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه الزهري، وربيعة الرأي، وابن عون توفي رحمه الله سنة (١١٢) هـ.

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من المصادر.

يا رسول الله! وما نهرُ الغوطة؟ قال: «نهرٌ يجري من فروج المومسات، يؤذي ريحُه أهلَ النَّار»[1]. والمومسات: الزَّانيات.

ففي هذا الحديث تنبيه على أنَّ الزاني والزانية يخرج من فروجهم قيحٌ وصديد يجري في جهنم، يتأذى به أهل النَّار من نتن ريحه، ثم سقي منه من مات غير تائبٍ منْ شرب الخمر.

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، ثمَّ يؤمر به إلى النَّار، فإن واقعها، وفاكهها؛ حُبِسَ بكلِّ كلمةٍ كلَّمها في النَّار ألف عام، ومَنْ قاود بين رجلٍ وامرأةٍ؛ حرَّم الله عليه الجنَّة، ومأواه النَّار، واشتدَّ غضب الله على امرأةٍ ملأت عينها من غير زوجها ـ أو: من غير محرم لها ـ فإن وطئت فراش غيره؛ كان حقاً على الله أن يحرقها بالنَّار في قبرها إلا من تاب، وأناب إلى الله، وندم على ما سلف منه، وعزم على ألا يعود، فإنَّ الله يتوب عليه، ويغفر له ذنبه»[2].

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. فنسأل الله أن يتوب علينا، ويغفر لنا ما سلف من ذنوبنا، إنَّه جوادٌ كريم.

فصل

ويلتحق بحرمة الزنى اللِّواط قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

---

(١) رواه أحمد في المسند قم (١٩٥٦٩) وابن حبان رقم (٥٣٤٦) وأبو يعلى رقم (٧٢٤٨) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٦) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، أقول في إسناده أبو حَريز، وهو عبد الله بن الحسين الأزدي قال يحيى والنسائي ضعيف، وقال أحمد منكر الحديث، وقال أبو داود ليس حديثه بشيء وقال أبو حاتم حسن الحديث يُكتب حديثه وصحح له الترمذي، وللحديث شواهد يتقوى بها إن شاء الله.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٨٢) وإسناده ضعيف جداً.

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وكان عملهم مجامعة الغلمان، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بين الدُّيوك، ودخول الحمَّام من غير مئزر، ونقصان المكيال والميزان، واللعب بالنَّرد.

وعن جابرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي عمل قوم لوط»[١]. أخرجه الترمذي.

عن أبي أمامة قال: كان قوم لوط يعملون بعشرة أعمال: اللَّعب بالحَمَام، ورمي البُندق، والمكاء ـ وهو الصفير ـ والحذف في الأنداء ـ يعني يرمون بالحجارة مَنْ مرَّ بهم ـ وبسط الشعر، وفرقعة التعلك، وإسبال الإزار، وحلِ إزار القباء، والمنادمة على الشراب، وإتيان الرِّجال الرِّجال، وستزيد عليها هذه الأمة الخصلة الأخرى، وهي مساحقة النِّساء النِّساء. نعوذ بالله منها.

وعن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به». أخرجه أبو داود[٢].

وعنه: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا ينظر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلى رجلٍ أتى رجلاً، أو امرأة في دبرها»[٣].

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٤٥٧)، وابن ماجه رقم (٢٥٦٣)، وفي إسنادهما القاسم بن عبد الواحد المكي لم يوثقه غير ابن حبان. وعبد الله بن محمد بن عقيل صدوق في حديثه لين. تغير بأخرة كما قال الحافظ في التقريب، وللحديث شواهد يتقوى عليها.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٤٦٢ و٤٤٦٣) في الحدود، والترمذي رقم (١٤٥٦) وإسناده حسن، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه.
قال الترمذي: واختلف أهل العلم في حد اللوطي، فرأى بعضهم أن عليه الرجم، أحصن أو لم يحصن، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد وإسحاق، وقال بعض أهل العلم من التابعين منهم الحسن البصري، والنخعي، وعطاء قالوا: حد اللوطي، حد الزاني، وهو قول الثوري، وأهل الكوفة.

(٣) رواه الترمذي رقم (١١٧٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

وقال ﷺ: «ملعون مَنْ أتى امرأةً في دبرها». أخرجه أبو داود[1].

وروي عنه: أنَّه قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال في آخر خطبته: «مَنْ نكح امرأةً في دبرها أو صبياً؛ حشره الله يوم القيامة وهو أنتن من الجيفة، يتأذى به الناس، حتى يدخل نار جهنم، وأحبط الله عمله، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً، ويجعل في تابوت مِنْ نار، ويسمر التابوت عليه بمسامير من نار، وهو أشدُّ أهل النار عذاباً، فلو وضع ألم عرقٍ من عروقه على أربعين أمَّة؛ لماتوا جميعاً.

ومَنْ زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمةٍ حرَّةٍ أو أمة؛ فتح الله عليه من النَّار إلى قبره ثلاثمائة ألف باب، يدخل عليه منها الحيَّات، والعقاربُ، والشُّهب من النار، ويعذب في قبره بأنواع العذاب، مع ما يلقى مِنْ تلك الحيَّات والعقارب، ويبعث يوم القيامة مِنْ قبره، ويتأذى من نتن ريحه مَنْ مرَّ به، ويعرف به حتى يدخل النار، ويتأذى به أهل النار، مع ما هم فيه من العذاب؛ لأن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حرَّم المحارم، وليس أحدٌ أغير من الله، ومن غيرته: ذمَّ الفواحش، وحدَّ الحدود»[2].

وعن ابن عباس قال: يخرج اللوطيُّ مِنْ قبره على هيئته وعمله الذي يكون عليه يوم يموت، حتى إن اللوطي يخرج مِنْ قبره وإنَّ فرجه متعلقٌ بدبر صاحبه، فيشهر به على رؤوس الخلائق، والسَّكران يخرج من قبره سكراناً، فيعرفه أهل الجمع بذلك، وكذلك كل المعاصي إذا مات عليها صاحبها من غير توبةٍ. وهذه الأحاديث منقولة مِنْ كتاب «الهداية والإرشاد في تعليم العباد».

وروي عن النبي ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «أربعة يُصبحون في سخطِ الله، ويُمسُون في غضبه، أو يمسون في سخطه، ويصبحون في غضبه: المتشبِّهون من الرِّجال بالنِّساء، والمتشبِّهات من النساء بالرِّجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرَّجل»[3].

وعن ابن عباس: أنَّه سئل: ما حدُّ اللوطيِّ؟ قال: يُنظر أعلى بناءٍ في القرية،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده الحارث بن مخلَّد، وهو مجهول الحال، وللحديث شواهد يتقوى بها إن شاء الله.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٨١) وإسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٣٨٥) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٨) في ترجمة محمد بن سلام الخزَاعي، وقال ابن عدي: إن أنكر شيء لمحمد بن سلام هذا الحديث.

فَيُلقى منه ، ثم يُتبع بالحجارة ، كما فُعل بقوم لوط[1] .

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «سبعةٌ يلعنهم الله ، ولا يَنظر إليهم يوم القيامة ، ويقول: ادخلوا النَّار مع الدَّاخلين: الفاعل والمفعول به ـ يعني: مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوط ـ وناكح البهيمة ، وناكح الأم وبنتها ، والزَّاني بامرأة جاره ، وناكح المرأة في دُبُرِها ، وناكح يده ، إلاَّ أن يتوبوا ، ومن تاب؛ تاب الله عليه»[2] .

وروي: أنَّ الذكر إذا ركب الذَّكر؛ اهتز العرش ، وتكاد السَّموات أن تقع على الأرض ، فتمسك الملائكة أطرافها ، وتقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يسكن غضب الجبار تعالى. ويقال: إذا رأى الشيطان الذكر على الذَّكر؛ هرب خشية معالجة العذاب .

وعن مجاهد ، عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنَّ اللوطيَّ يمسخ في قبره خنزيراً .

وروي: أنَّ عيسى ـ عليه السَّلام ـ مرَّ على نارٍ في البرِّية ، توقد على رجلٍ ، فأخذ عيسى ـ عليه السلام ـ ماءً ليطفئها عنه ، فانقلبت النَّار غلاماً ، وانقلب الرَّجل ناراً ، فبكى عيسى ـ عليه السَّلام ـ وقال: يا ربِّ ردَّهما إلى حالهما ، حتى أدري ما ذنبهما؟ فانكشفت النَّار عنهما؛ فإذا هما رجلٌ وصبيٌّ ، فقال الرَّجل: يا عيسى! إني كنت في الدُّنيا مولعاً بحب هذا الغلام ، فحملتني الشَّهوة حتى أنْ فعلت به ليلة الجمعة ، فعبر علينا رجلٌ ، فقال: ويلكم ، اتقوا الله! فلمَّا مت أنا ومات الغلام الذي فعلت به صيَّره الله ناراً يحرقني مرَّةً ، ومرَّةً أصير ناراً أحرقه ، فهذا عذابنا في الدنيا إلى يوم القيامة .

فهذا نوع من عذاب المفسدين في البرزخ بين الدنيا والآخرة ، وقد عذَّب الله قوم لوط في الدُّنيا قبل الآخرة؛ الذين هم أول من فعل هذه الفاحشة أنْ قلب مدائنهم عليهم ، وأرسل عليهم حجارةً من السَّماء ، وخسف بهم ، وأهلكهم أجمعين ،

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٣٨٨) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه وإسناده صحيح .

(٢) ذكره المتقي في كنز العمال جـ/ ١٦/ ورقم (٤٤٣٦٣) وقال رواه ابن جرير ، وقال: لا يُعرف عن رسول الله إلا من رواية علي رضي الله عنه ، ولا يُعرف له مَخرجٌ عن علي إلا من هذا الوجه ، أقول: في إسناده الحارث ، وهو الأعور ، ضعيف رُمي بالتشيع .

وجعلهم ومدائنهم عبرة لمن مرَّ بهم ، ولمن يخاف عذاب الله أن ينزل به مثل ما نزل بهم من العذاب .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] أي : مِنْ ظالمي هذه الأمة الذين يفعلون مثل فعلهم ، فنسأل الله العَفْوَ والمغفرةَ ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، وخطايانا ، إنَّه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

فصل في فضل مَنْ تَرَكَ الزِّنى والمعصية مِنْ خشية الله ومخافته

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] .

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «سبعةٌ يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه . . . » منهم : «رجلٌ دعته امراة ذات منصب وجمال ، فقال : إنِّي أخاف الله »(١) .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يحدِّث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرَّةً أو مرَّتين ـ حتى عدَّ سبع مرات ـ ولكني سمعته أكثر من ذلك ، سمعته يقول : كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يتورَّع من ذنبٍ عمِلَه ، فأتته امرأةٌ ، فأعطاها ستين ديناراً على أن يَطأها ، فلمَّا قعد منها مقعد الرَّجل من امرأته ؛ أرعدت المرأة ، وبكت ، فقال لها : ما يُبكيك؟! أأكرهتُك؟ قالت : لا ، ولكنَّه عملٌ ما عملتُه قطُّ ، وما حملتني عليه إلا الحاجة . فقال : تفعلين هذا وما فعلتيه ، اذهبي ، فالدنانير لكِ ، ثم قال : والله لا أعصي الله بعدها أبداً! فمات من ليلته ، فأصبح مكتوباً على بابه : إنَّ الله قد غفر لِلكفل» . رواه الترمذيُّ(٢) .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٩٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي إسناده ضعف انظر ضعيف الجامع رقم (٤١٥٤) .

وتقدَّم قوله ـ ﷺ ـ: «سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» منهم: «رجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله».

وأيُّ كرامةٍ أجلُّ من هذه الكرامة؛ الناس كلُّهم في كرب يوم القيامة وغمِّها، وهذا في ظل عرش الرحمن، ثم يُكرم بدخول الجنان، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في القرآن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]. فنسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته؛ إنَّه جوادٌ كريم.

فصل في الترغيب في النكاح الحلال

ثمَّ إنَّ الله ـ سبحانه ـ جعل في الحلال مغنًى عن الحرام لِمَنْ خاف الله، وقَنع به، فأمر بالزَّواج، وندب إليه، وحرّض العباد عليه، فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ «يا معشر الشباب! مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وجاء». رواه مسلم في «صحيحه»[1]. والوجاء: بمعنى الخصاء؛ يعني: أن الصَّوم يضعف شهوة الجماع. والباءة بالمدِّ؛ أي النكاح. وعند بعض العلماء: أنَّ التزوُّج أفضل من التخلي لنوافل العبادات لهذا الحديث.

ولقوله ـ ﷺ ـ: «النِّكاح سُنَّتي؛ فمن لم يعمل بسنَّتي؛ فليس منِّي، وتزوَّجوا فإني مكاثرٌ بكم الأمم، ومَنْ كان ذا طَوْلٍ فَلْيَنكح، ومَن لم يجد، فعليه بالصيام، فإنَّ الصَّوم له وجاء». أخرجه مسلم[2].

وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «إذا تزوَّج أحدُكم عجَّ شيطانه، ويقول: يا ويله! عَصَمَ مِنِّي ابنُ آدم ثُلثي دينه»[3].

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٦٥) ومسلم رقم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٨٦٤) وابن عساكر (٣/ ٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي إسناده عيسى بن ميمون المديني، ضعيف، لكن له شاهد صحيح وهو حديث مسلم رقم (١٤٠٠) ولجميع فِقْراته شواهد.

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٤٤٤٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

وروي: أنَّه قال: «شراركم عزَّابكم»[1]. وهذا في الأغلب أن الزِّنى والفساد يكون في العزَّاب أكثر من المزوَّجين.

فقد قال ـ ﷺ ـ: «مَنْ تزوَّج؛ فقد أحرز شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني»[2].

وهذا إشارة إلى أنَّ فضيلة النكاح لأجل بقاء النَّسْل، وغضِّ البصر، والتحرُّز من الفساد؛ إذ كان المفسد لدين ابن آدم في الأغلب فرجه، وبطنه، وقد كُفي بالتزويج أحدهما.

وروى عطيَّة ابن بُسر المازنيُّ قال: أتى عكاف بُنُ وَدَاعةَ الهلاليُّ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا عكاف! ألك زوجة؟» قال: لا يا رسول الله! قال: «ولا جارية؟» قال: لا. قال: «وأنت صحيح موسر؟» قال: نعم والحمد لله! قال: «فإنَّك إذاً مِنْ إخوان الشياطين، إمَّا أن تكون من رُهبان النصارى، وإما أن تكون منا، فاصنع كما نصنع، فإنّ من سنتنا النكاح، وشرارُكم عزَّابُكم، وأراذل موتاكم عزابكم. وما للشيطان في نفسه سلاح أبلغ من النساء، إلا أنَّ المتزوجين هم المطهَّرون، المبرؤون من الخنا، ويحك يا عكاف! إنَّهُنَّ صواحبُ داود، وصواحبُ أيوب، وصواحبُ يوسف، وصواحب كُرسُف» قال: يا رسول الله! وَمَنْ كُرسُف؟ قال: «رجلٌ عَبَدَ الله على ساحل البحر ثلاثين عاماً، يصوم النهار، ويقومُ اللَّيل، لا يفتر من صيام وقيام، كفر بالله العظيم بسبب امرأة عَشِقَها، وترك ما كان عليه من العبادة، فتداركه الله بما سبق منه ـ يعني: وتاب عليه ـ»[3]. فالنساء أعظم مصايد الشيطان، وأكبر فتنة.

---

(١) رواه أبو يعلى رقم (٢٠٤٢) والطبراني في الأوسط رقم (٤٤٧٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥١) وقال: رواه الطبراني، وأبو يعلى وفيه خالد بن إسماعيل المخزومي متروك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن الجوزي في العَلَل رقم (٢/ ١٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظه، وقال: لا يصح، ورُوي بلفظ: «إذا تزوج العبد، فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله فيما بقي» رواه البيهقي من حديث أنس رقم (٥٤٨٦) وبلفظ «من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه الله على شطرا دينه، فليتق الله في الشطر الآخر» رواه الحاكم (٢/ ١٦١) والطبراني في الأوسط رقم (٩٧٦) فالحديث بمجموع الطرق حسن.

(٣) رواه أبو يعلى رقم (٦٨٥٦) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٥٦) وابن حجر في المطالب العالية

وقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النِّساء»[1] فلأجل ذلك رغَّب الشارع في الزواج؛ ليقع الاكتفاء بالحلال عن الحرام.

وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول: لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام؛ لأحببت أن أتزوَّج، ولا ألقى الله عَزباً.

وماتت لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ امرأتان في يومٍ واحدٍ في الطَّاعون، فقال: زوجوني؛ فإني أكره أن ألقى الله عزباً.

ورؤي بِشر الحافي في النَّوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ترفعت منازلي في الجنَّة، وأشرفتِ على مقامات الأنبياء، ولم أبلغ منازل المتأهلين. وفي رواية: قال لي: ـ يعني الرب تعالى ـ: ما كنت أحبُّ أن تلقاني عزباً. فقيل له: ما فعل أبو نصر التمَّار[2]؟ فقال: رُفِعَ فوقي سبعين درجة. فقيل: بماذا؟ قال: بصبره على بنيَّاته والعيال.

وقيل: ركعةٌ مِنْ متأهِّلٍ أفضلُ مِنْ سبعين ركعةً من عزب، وفضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد.

فصل في ذكر أمورٍ في النكاح

يرغب فيه المؤمن بسببها: **الأول**: متابعة سنن محمدٍ ـ ﷺ ـ لما تقدم من قوله ـ ﷺ ـ: «النكاح من سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].

الثاني: أن يُرزقَ ولداً يدعو له، وهو المقصود من النكاح، كما قال

= رقم (١٥٨٩) من حديث عطية بن بُسر رضي الله عنه، وفي إسناده معاوية بن يحيى الصدفي ضعيف، ويقيه بن الوليد مدلس وقد عنعن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٠ و٢٥١) وقال: رواه أبو يعلى وفيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف، وانظر الكامل لابن عدي (٥/ ٢٠٠٧).

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٩٦) ومسلم رقم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أبو النصر التمار، هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الملك بن ذكوان بن يزيد يقال: إن جدَّه هو الحارث والد بشر الحافي الإمام الثقة الزاهد القدوة القشيري ولد سنة (١٣٧) هـ وتوفي ببغداد سنة (٢٢٨) هـ وكان بصره قد ذهب.

(٣) تقدم تخريجه.

النبيُّ - ﷺ -: «تزوجوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم، حتَّى بالسَّقط»[1].

وقال النبيِّ - ﷺ -: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له». رواه مسلم في «صحيحه»[2].

ولهذا نهى الشَّارع - ﷺ - عن تَزوُّج المرأة التي لا تلد، وأمر بنكاحِ الولودِ، فقال: «تزوَّجوا الودودَ الولودَ، فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة»[3].

الثالث: أن يموت الولد قبله فيحجبه عن النار، ويدخله الجنَّة، كما قال - ﷺ -: «ما مِنْ مسلمٍ يُتَوَفَّى له ثلاثةٌ من الولدِ، لم يبلغوا الحنثَ؛ إلا أدخله الله الجنة، بفضل رحمته إيَّاهم». مخرّج في «الصحيح»[4].

وفي «الصحيحين»[5] أيضاً: أن النبيَّ - ﷺ - قال للنِّساء: «ما منكنَّ امرأةٌ تقدِّم ثلاثةً من ولدها إلا كانوا لها حجاباً من النَّار» فقالت له امرأةٌ: واثنتين يا رسول الله؟! قال: «واثنتين».

روي: أن بعض الصالحين كان يُعرَض عليه التزويج، فيأباه برهةً من الدَّهر، فانتبهَ ذاتَ يومٍ من نومه، وقال: زوِّجوني، فزوَّجوه، فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: لعلَّ اللهَ أن يَرزقَني ولداً، فيقبضه قبلي، فيكونَ ذخراً لي عند الله. ثم قال: رأيتُ في المنام كأنَّ القيامة قد قامت وأنا في جملة الخلائق، واليوم يومٌ حار، وبي من العطش ما لا يعلمه إلا الله. وكذلك الخلائق في شدَّة العطش والكرب، ونحن كذلك وإذا ولدان يتخلَّلون الجمع بأيديهم أباريق مِنْ فضَّة، وأكواب من ذهب، وهم يسقون

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٠٥٠) وابن حبان رقم (٤٠٥٧) والنسائي (٦/ ٦٥ و٦٦) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه بلفظ: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٨) ومسلم رقم (١٦٣١)، وأبو داود رقم (٣٨٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٦٥ و٦٦) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٥٠) والنسائي (٤/ ٢٤) وابن حبان رقم (٢٩٤٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٥) رواه البخاري رقم (١٠٢) في العلم، ومسلم رقم (٢٦٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الواحد بعد الواحد ، ويتجاوزون أكثر النَّاس ، فمددتُ يدي إلى أحدهم ، وقلت : اسقني ، فقد أجهدني العطش! فقال : ليس فينا ولدٌ لك ، إنما نسقي آباءنا . فقلت : من أنتم؟ فقالوا : نحن الذين متنا في الدنيا من أطفال المسلمين .

الرَّابع : التحَصُّن من الشَّيطان بكسر الشَّهوة ، وغضِّ البصر ، وحفظ الفرج من الزنى ؛ الذي حرَّم الله ورسوله ، وهو المراد بقوله ـ ﷺ ـ : «يا معشر الشباب! مَنِ استطاع منكم الباءة ، فليتزوَّج ؛ فإنَّه أغض للبصر ، وأحصن لِلْفَرْج»[1] .

وقد قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] أي : لا يصبر عن النساء .

وعنْ قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال : هو الغلمة ؛ أي : هيجان الشهوة للجماع .

ولأجل هذا قال لنا النبيُّ ـ ﷺ ـ : «من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومَنْ لم يستطع ؛ فعليه بالصوم ؛ فإنَّه له وجاء» أي الصوم يضعف شهوةَ مَنْ لا يستطيع التزويج .

وقال ﷺ : «المرأة تُقبِل في صورة شيطان وتُدبِر في صورة شيطان ، فإذا أبصر أحدُكم امرأة ـ وفي رواية : فإذا أحدكم أعجبته المرأة ـ فوقعت في قلبه ؛ فليعمد إلى امرأته ، فليواقعها ؛ فإنَّ ذلك يردُّ ما في نفسه» . أخرجه مسلم في «صحيحه»[2] .

الخامسة : إكثار الصَّدقة والبرِّ والثواب بكثرة الإنفاق على الزَّوجة والعيال ، كما في صحيح البخاريِّ ومسلم عن النبي ـ ﷺ ـ :

أنه قال : «إنَّ الرَّجل إذا أنفق على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً»[3] .

وقال لسعد بن أبي وقاص : «إنك لن تنفقَ نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ عليها ، حتى ما تجعلُ في في امرأتك»[4] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٥) في الإيمان و(٤٠٠٦) في المغازي ، ومسلم رقم (١٠٠٢) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٧٣٣) ، ومسلم رقم (١٦٢٨) .... =

وقال ﷺ: دينارٌ أنفقته في رقبة ، ودينار تصدَّقت به على مسكين ، ودينار أنفقـت علـى أهلـك ، أعظمهـا أجـراً الـذي أنفقتـه علـى أهلـك». مخـرج فـي «الصحيح»[(١)] .

وروي عنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال : «مَنْ طلب الدنيا حلالاً تعفُّفاً عن المسألة ، وسعياً على عياله ، وتُعطُّفاً على جاره ؛ لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»[(٢)] .

وقد روي ؛ أنَّ من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا همُّ العيال»[(٣)] .

وفي «الصحيح»[(٤)] : أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ كان له ثلاث بنات ، فصبر عليهنَّ ، وأطعمهنَّ ، وسقاهنَّ ، وكساهنَّ من جِدِته كن له حجاباً من النار» .

وقال : «مَنْ عال جاريتين حتى يبلغا ؛ جاء يوم القيامة أنا وهو ـ وضم أصابعه ـ»[(٥)] .

وقال ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيءٍ ، كنَّ له ستراً من النار»[(٦)] .

= من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(١) رواه مسلم رقم (٩٩٥) في الزكاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (١٠٣٧٥) وأبو نعيم : في الحلية رقم (١١٩٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال أبو نعيم غريب من حديث مكحول لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج بن فُراخِصه ، أقول الحجاج بن فُراخِصَه ، قال أبو زرعة لبس بالقوي ، وقال أبو حاتم شيخ صالح متعبد .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٢) ، وأبو نعيم في الحلية رقم (٦٢٣٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦٣) وقال رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه محمد بن سلاَّم المصري . قال الذهبي : حدث عنه يحيى بن بكير . يخبر موضوع ، وقال وهذا فيما رواه عنه يحيى بن بكير ، والحديث ضعيف جداً .

(٤) رواه ابن ماجه برقم (٣٦٦٩) والترمذي رقم (١٩١٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٨٩٤) والحاكم (٤/ ١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٦) رواه أحمد في المسند (٢٤٠٥٥) والترمذي رقم (١٩١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده صحيح .

فائدة: معونة الله الناكح يريد العفاف

روى الترمذي عن النبي ـ ﷺ ـ: أنه قال: «ثلاثة حقٌ على الله عونهم: المكاتَبُ الذي يريد الأداء، والناكحُ الذي يريد العفاف، والمجاهدُ في سبيل الله»[1].

فصل في الشفاعة في النكاح

روى ابن ماجه عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مِن أفضلِ الشفاعة أن يُشَفَّعَ بين الاثنين في النكاح»[2].

وقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. والله المستعان. فنسأل الله أن يعيننا على طاعته، وأن يجنبنا معصيته، وأن يغنيننا بالحلال عن الحرام، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير.

* * *

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٦٥٥) والنسائي رقم (٦/ ٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو كما قال.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٩٧٥) من حديث أبي رُهْم. وأبو رُهْم: اسمه أحزاب بن أُسيد. قال البخاري: تابعي. وقال أبو حاتم: ليست له صحبة. والحديث مرسل ضعيف.

الكبيرة الثالثة عشرة

في الظلم والغش

ومن الظلم: ظلم الرعية والتجبُّر عليهم. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنِ استرعاه الله رعيَّةً، ثم لم يُحطها بنصح؛ إلا حرَّم الله عليه الجنَّة»[(١)]. وفي لفظ: «يمت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته؛ إلاّ حرَّم الله عليه الجنَّة». رواه البخاريُّ[(٢)].

وقال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[(٣)].

وقال: «مَنْ غشَّنا فليس منّـا»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٠٣١٥) بلفظ: «من استُرعِيَ رعية. فلم يحطهم بنصيحة، لم يجد ريح الجنة، وريحها يوجد من مسسيرة مئة عام» من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وإسناده صحيح، ورواه البخاري رقم (٧١٥٠) بلفظ «ما من عبد يسترعيه الله الرعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة».

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٢) ص (١٤٦٠) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظ: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً: يموتُ يوْمَ يموتَ وهو غاشٌ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة».

(٣) رواه البخاري رقم (٥١٨٨). ومسلم رقم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم رقم (١٠١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه ابن حبان رقم(٥٦٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار» وهو حديث حسن.

وقال ﷺ: «ما مِنْ أمير عَشَرَةٍ إلاَّ يؤتى به يوم القيامة مغلولةٌ يداه إلى عنقه ، أطلقهُ عَدْلُه ، أو أوبقه جوره»[1] .

وقال: «اللهمَّ مَنْ وَليَ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم؛ فارفُق به ، وَمَنْ شق عليهم؛ فاشقق عليه». رواه مسلم[2] .

وقال ﷺ: «الظُّلمُ ظلماتٌ يوم القيامة»[3] .

وقال ﷺ: «سيكون أمراء فسقةٌ جورةٌ ، فَمنْ صدَّقهم بكذبهم ، أو أعانهم على ظُلمهم؛ فليسَ منِّي ، ولست منه ، ولن يردَ عليَّ الحوضَ»[4] .

وقال: «صِنفان من أمَّتي لا تنالها شفاعتي: سلطانٌ ظلومٌ غشومٌ ، وغالٍ في الدِّين ، يشهدُ عليهم ويتبرأ منهم»[5] .

وقال ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»[6] .

وقال ﷺ: «إنَّ الله ليُملي للظَّالم حتى إذا أخذَهُ لم يفلتْه» ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : ١٠٢][7] .

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٧٥٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وهو حديث حسن بشواهده .
ورواه أحمد في المسند رقم (٢/ ٤٣١). وأبو يعلى رقم (٦٥٧٠). والبزار رقم (١٦٤٠).
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد/ ٥/ ٥٠٢ وقال: رواه الطبراني في الأوسط. والبزار. ورجال الأول في البزار رجال الصحيح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال المنذري في الترغيب / ٣/ ١٧٤/ : رواه أحمد بإسناد جيد.

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٢٨). والبغوى رقم (٢٤٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري رقم (٢٤٤٧). ومسلم رقم (٢٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه بنحوه البيهقي في السنن (٨/ ١٦٥). والطبراني في الكبير (١٩/ ١٣٤و١٣٥) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه . وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٦) وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما منيع قال ابن عدي: له أفراد. وأرجو أنه لا بأس به ، وبقية رجال الأول ثقات. من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه ويشهد له ما رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٤٤). والكبير رقم (٨٠٧٩) من حديث أبي امامة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٥): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات.

(٦) رواه البخاري رقم (٥٩٩٧) ومسلم رقم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٧) رواه البخاري رقم (٤٦٨٦). ومسلم رقم (٢٥٨٣). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وقال ﷺ: «إنّكم تحرصونَ على الإمارةِ، وستكونُ ندامةً وحسرةً يومَ القيامةِ». رواه البخاريُّ[1].

وقال: «ما مِنْ أمير يلي أمورَ المسلمين، ثم لا يجهدُ لهم، وينصحُ لهم؛ إلاَّ لم يدخل معهم الجنة»[2].

وقال: «من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين، فاحتجبَ دون حاجتهم، وخُلَّتهم، وفقرهم؛ احتجب الله عنه دون حاجته، وخلته، وفقره يوم القيامة»[3].

رواه أبو داود، والترمذيُّ.

وقال: «شرارُ أئمتكم الذين تُبغِضونهم، ويُبْغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» قالوا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم[4]؟ قال: «لا ما أقاموا الصلاة فيكم». رواه مسلم[5].

فصل في الوالي العادل

قال الله تعالى ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ المقسطين[6] عند الله على منابرَ من نور؛ عن يمين الرحمن. وكلتا يديه يمين. الذين يعدلون في حُكمهم، وأهليهم، وما ولوا». رواه مسلم[7].

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، ومنهم: «إمام عادل».

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١٤٨) والنسائي (٧/ ١٦٢) في السنن. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٢) في الإمارة. والبهيقي في السنن (٩/ ٤١). وأبو عوانة (١/ ٣٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٤٨). والبيهقي في السنن(١٠/ ١٠١) من حديث معاوية رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٤) نُنابذهم: المنابذة المدافعة والمخاصمة والمقاتلة.

(٥) رواه مسلم رقم(١٨٥٥) في الإمارة. من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٦) المقسط: العادل.

(٧) رواه مسلم رقم (١٨٢٧). والنسائي (٨/ ٢٢١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «أهلُ الجنَّـة ثلاثـةٌ: ذو سلطان مقسط موفَّق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكلِّ ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعفِّف ذو عيالٍ»[1]. رواه مسلم.

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل طاعته، ولا يجعلنا من العاصين والظالمين. إنَّه جوادٌ كريم.

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

الكبيرة الرابعة عشرة

شرب الخمر ، أو أي شيءٍ يُسْكَرُ منه

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ[1] وَٱلْأَزْلَٰمُ[2] رِجْسٌ﴾ أي: خبث ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: من تزيينه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ـ٩١].

والميسر: هو القمار، وهو حرام أيضاً كالخمر.

وثبتت حرمة الخمر بقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾. وبقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٢] أي: وحرَّم الإثم، والإثم: هو الخمر. قاله الحسن، واستدل بقول الشاعر

شَرِبْتُ الإثْمَ حتّى ضَلَّ عَقْلي ... كذاكَ الإثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ

وثبتَ عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: أنّه قال: لما نزل تحريمُ الخمر؛ مشى الصحابةُ بعضُهم إلى بعضٍ، وقالوا: حُرِّمَتْ الخمرُ، وَجُعِلت عِدْلاً لِلشِّرْكِ[3].

وصحَّ عن النبيِّ ـ ﷺ: أنَّه قال: «إنَّ على الله عهداً لِمَنْ يَشربُ المُسكر: أن

---

(١) الأنصاب: الأحجار كانوا ينصبونها. ويذبحون عليها لأصنامهم.

(٢) الأزلام: هي القِداح التي كان أهل الجاهلية يكتبون عليها أفعَل أو لا تفعَل. فإذا أراد سفراً أو زواجاً ألقى بها.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٣٩٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

يَسقيهُ من طينة الخَبَال». قيل: يا رسول الله! وما طينة الخَبَال؟ قال: «عَرَقُ أهلِ النَّار ـ أو عصارة أهل النَّار ـ». رواه مسلم في «صحيحه»[1].

وقد روينا عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لُعنتِ الخمرةُ على عشرة أوجه: لُعِنَتِ الخمرةُ بعينها، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها». رواه أبو داود[2].

وقال ﷺ: «أتاني جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا محمَّد! إنَّ الله ـ جلَّ ذكره ـ لعن الخمرة، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وشاربها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، ومسقيها»[3]. رواه الإمام أحمد، وأبو حاتم بن حبَّان في كتاب «الأنواع والتقاسيم».

وقد لعن كلَّ مَنْ ساعد فيها، وكذا من دلَّ عليها، وكذا بائع العنب ممَّن يعصره خمراً،

كما روي عن النبي ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ حَبَسَ العنب أيَّام قطافه حتى يبيعه من يهوديٍّ، أو نصرانيٍّ، أو مِمَّن يتَّخذه خمراً؛ فقد تقحَّم النَّار على بصيرة»[4]. وكذا حامله لمن يعصره خمراً.

ذكر أنَّ مُدْمِنَ الخمر كعابد وثن:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مُدْمِنُ الخمر كعابد وثن». رواه ابن ماجه في سننه»[5].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه. وانظر جامع الأصول (٥/ ١٠٠).

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٦٧٤). وابن ماجه رقم (٣٣٨٠). واللفظ لابن ماجه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢٨٩٧). وابن حبان رقم (٥٣٥٦). والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤٥) وصححه ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

(٤) رواه الطبراني رقم (٥٣٥٦). والهيثمي في مجمع البحرين رقم (١٩٨٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد. (٤/ ٩٠) وقال رواه الطبراني في الأوسط: وفيه عبد الكريم بن عبد الكريم. قال أبو حاتم: حديثه يدل على الكذب والحديث إسناده ضعيف.

(٥) رواه ابن ماجه رقم (٣٣٧٥). وابن أبي شيبه (٤١٢٢). وفي إسناده محمد بن سليمان ضعَّفه =

وروى هذا الحديث جماعةٌ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ منهم: عبد الله بن عباسٍ[1]، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهما.

ذكر أنَّ مُدْمِنَ الخمر لا يدخل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنَّة عاقٌّ والديه، ولا منَّان، ولا مُدْمِنُ خمر». رواه الإمام أحمد، والنسائيّ[2].

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنَّة مُدْمِنُ خمرٍ، ولا عاقُ والديه، ولا مكذِّبٌ بقدر». رواه ابن ماجه[3].

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنة منَّان، ولا مُدْمِنْ خمرٍ». رواه الإمام أحمد[4].

وعنه: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثةٌ قد حرَّم الله عليهم الجنَّةَ: مُدْمِنُ خمر، والعاق، والدَّيُّوثُ؛ الذي يقرُّ في أهله الخُبثَ»[5] يعني: يستحسن على

= النسائي. وابن عدي. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وباقي رجال الإسناد ثقات. وانظر فيض القدير (٤/ ١٥٣).

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٤٥٣). وعبد الرزاق في المصف رقم (١٧٠٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن». وإسناده منقطع لجهالة الواسطة بين محمدين المنكدر وابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) روه أحمد في المسند رقم (١١٢٢٢). والبغوي في شرح السنة رقم (٣٤٢٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف ـ لضعف يزيد بن أبي زياد القرشي ومجاهد بن جبر لم يسمع من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ذكر ذلك العلائي في «جامع التحصيل» ص (٣٣٧).

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٣٣٧٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر». وفي إسناده سليمان بن عتبة الدمشقي. وَهَّاه ابن معين، وقال صالح جزرة: روى مناكير. ووثقه دحيم. ويشهد له ما بعده.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٥٣٧٢) ورقم (٦١٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإسناده حسن.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (٥٣٧٢) ورقم (٦١٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإسناده حسن.

أهله ويراهم على المعصية والفساد ، فلا ينهاهم ، ولا ينكر عليهم. نعوذ بالله من ذلك.

ذكر أن شارب الخمر إذا لم يتب منها يُسقى من طينة الخبال :

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رجلاً قدم من جيشان من اليمن ، فسأل النبيَّ ـ ﷺ ـ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذُّرة ، يقال له : المزر ، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ «أو مسكرٍ هو؟» قال : نعم! قال : «إنَّ على الله عهد لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال» قالوا : يا رسول الله! ما طينة الخبال؟ قال : «عرق أهل النَّار ـ أو عصارة أهل النَّار ـ» . رواه مسلم في صحيحه[1] .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ ترك الصلاةَ سُكْراً مرَّةً واحدةً فكأنما كانت له الدنيا وما فيها وما عليها فسُلبها . ومن ترك الصلاة سُكْراً أربع مرَّات كان حقاً على الله أن يُسقِيه من طِينة الخبال» . قيل : يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال : «عُصارَة أهل جهنم» . رواه الإمام أحمد[2] .

ذكر أنَّ من مات وهو يشرب الخمر لا يدخل الجنَّة :

عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّةَ مُدْمِنُ خمرٍ ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ ، ولا قاطعُ رحم . وَمَنْ مات وهو يشربُ الخمر؛ سقاه الله من نهر الغوطة ، وهو ماء يسيل من فروج المومسات ، يؤذي ريحُه أهل النار» . رواه الإمام أحمد في «مسنده»[3] ، وأبو حاتم في كتابه .

والمومسات : البغايا .

وعن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا يدخل الجنَّةَ منَّانٌ ، ولا عاقٌّ ، ولا مُدْمِنْ خمر» . رواه النِّسائيُّ[4] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٦٦٥٩) . والحاكم (٤/ ١٤٦) وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٩ و٧٠) : رواه أحمد ورجاله ثقات أقول : وإسناده حسن .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٥٦٩) . وابن حبان رقم (٥٣٤٦) وفي إسناده عبد الله بن الحسين الأزدي ضعيف . ورواه الحاكم (٤/ ١٤٦) وصححه ووافقه الذهبي أقول : وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٤) تقدم تخريجه .

ذكر أنَّ شارب الخمر لا تقبل له صلاة ما دام في جسده شيءٌ منها :

عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا يقبلُ الله لشارب خمرٍ صلاة ما دامٍ في جسده شيءٌ منها»(١) .

ذكر أنَّ السَّكران لا يقبل الله له حسنة حتى يصحو :

روى جابر أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «ثلاثةٌ لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السَّماء حسنة : العبد الآبق ، والمرأة السَّاخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسَّكران حتى يصحو»(٢) .

ذكر أن شارب الخمر لا تقبل له صلاة أربعين صباحاً :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من شرب الخمر ؛ لم يتقبَّل الله منه صلاة سبعاً ، وَمَنْ سكر منها ؛ لم يتقبل الله صلاة أربعين صباحاً ، فإن تاب ، ثم عاد ؛ كان حقاً على الله أن يسقيه من مُهل جهنم»(٣) .

ذكر أنَّ مَنْ شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها :

في «الصحيحين» : أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال : «لا يسرقُ السَّارقُ حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بَعْدُ»(٤) .

وتقدَّم قوله ـ ﷺ ـ : «مَنْ زنى أو شربَ الخمر نَزَعَ اللهُ منه الإيمانُ ، كما يخلع الإنسان القميص مِنْ رأسه»(٥) . نعوذ بالله من ذلك .

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب رقم (٩٨٣) . والحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» رقم (١٧٧٩) . من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وفي إسنادهما إسماعيل بن رافع ليس بثقة ولا حجة . وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ترجمه (٥٤٧) .

(٢) رواه ابن خزيمة رقم (٩٤٠) . وابن حبان رقم (٥٣٥٥) . والبيهقي في السنن (١/ ٣٨٩) من حديث جابر رضي الله عنه . وفي إسناده هشام بن عمار تغير بأخرة . وزهير بن محمد وهو التميمي الخراساني رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة . وهذا منها .

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٣٤٩٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧١) وقال : رواه الطبراني وفيه يزيد بن أبي زياد ضعيف من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٥٧٨) . ومسلم رقم (٥٧) . وابن حبان رقم (٤٤١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) وصححه . وقال في التلخيص : احتج مسلم بعبد الرحمن=

ذكر أنَّ الخمر أمُّ الخبائث :

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «اجتنبوا الخمر أم الخبائث»[١] .

ذكر أنَّ الخمر لا يحل التداوي بها :

عن أم سلمة قالت : اشتكت ابنةٌ لي ، فنبذتُ لها في كوز ، فدخل النبي ـ ﷺ ـ وهو يغلي ، فقال : «ما هذا؟» فقلت له إن ابنتي اشتكت فنبذنا لها هذا ، فقال ﷺ : «إنَّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»[٢] .

ذكر ما رُوِيَ عن قتل شارب الخمر :

عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «مَنْ شرب الخمر فاجلدوه ، فإن شربها الرَّابعة ؛ فاقتلوه» . أخرجه أبو داود الترمذيُّ[٣] .

ذكر الإشراك لمن شرب الخمر :

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : قال : «من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ، ومَنْ شربها مصبحاً أمسى مشركاً»[٤] .

= ابن حجيرة وبعبد الله بن الوليد . وقال الذهبي في الكبائر : إسناده جيد ، وانظر فتح الباري (١٢/ ٦١) . والترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٢) .

(١) رواه الدارقطني في السنن (٤/ ٢٤٧) . والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) رواه ابن حيان رقم (١٣٩١) ، وأبو يعلى رقم (٦٩٦٦) . وابن حجر في «المطالب العالية» رقم (٢٤٦٢) من حديث أم سلمة ، وإسناده حسن .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (١٣٥٥٠) من حديث معاوية رضي الله عنه ، وفي سنده عاصم بن أبي النجود . قال النسائي : ليس بحافظ . وقال ابن خراش : في حديثه نكرة وقال أبو حاتم : ليس محله أن يقال ثقة . وانظر باقي ترجمته في ميزان الإعتدال (٢/ ٣٥٨) .
ورواه الترمذي رقم (١٤٤٤) . وفي سنده عاصم بن أبي النجود . وقال الترمذي : في الباب عن أبي هريرة . والشريد . وشرحبيل بن أوس . وعبدالله بن عمرو . وانظر ما قاله أبو عيسى الترمذي رحمه الله . في شرحه وتعليقه على هذا الحديث فإنه في غاية الأهمية .

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٧٠٧١) من حديث ابن المنكدر قال قال رسول الله ﷺ ، وهو حديث مرسل وضعيف .

ذكر ما يخشى من سوء الخاتمة لمن يشرب الخمر :

عن عبد العزيز بن أبي رواد[1] ـ رحمه الله ـ وكان من كبار الصالحين ـ قال : حضرتُ رجلاً من جيراني عند النزع ، وهو قد أمسك لسانه عن الشهادة ، فجعلتُ أقول له : قل : لا إله إلا الله ، وهو ساكت ، فلما أكثرتُ عليه ؛ أعرض عنِّي بوجهه ، وقال : إلى كم تقول هذا؟ أنا كافر بما تقول ، فخرجت من عنده ، ولم أحضر جنازته ، ثم إني أتيت امرأته ، وسألتها عن حاله ، وما كان يعمل؟ فقالت : إنَّه كان يشرب الخمر سرّاً .

وذكر الغزالي في كتاب «منهاج العابدين» : أن تلميذاً للفضيل بن عياض حضره الموت ، فأتاه الفُضيل ، وجلس عنده يقرأ شيئاً من القرآن ، فقال : يا أستاذ! لا تقرأ ، فأخذ يلقِّنه الشهادة ، فقال : يا أستاذ! لا أقولها ، وأنا منها بريء ، ثمَّ مات .

فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ، فلما كان بعد أيام ؛ رآه الفضيل في المنام وهو يُسحب إلى النَّار ، فقال له الفضيل : يا هذا! بماذا نزِعتْ منك المعرفة ، فقد كنتَ أَعْلَم تلاميذي؟!

فقال : يا أستاذ! بثلاثة أشياء : بالحسد ، والنَّميمة ، وكان بي علة ـ يعني : مرض ـ فأتيتُ الطبيب ، وذكرت له علَّتي ، فقال : تشرب في كلِّ سنةٍ قدحاً من خمر ، فإن لم تفعل : تبقى بك علَّتك ، فكنت أشربه في كلِّ سنةٍ لأجل التداوي ، فنزع الله منِّي المعرفة ، فلا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم .

هذه عقوبة من شرب الخمر منه قدحاً في كلّ سنة لأجل التداوي، فماذا يكون حال من يَشربُه في كلِّ وقت؟!

فإنا لله ، وإنَّا إليه راجعون! ما أعظم مصيبة شارب الخمر إنْ لم يَتب إلى الله عاجلاً ، ويندم على ما سلف منه ، ويسأل الله العفو والمغفرة قبل أن يفجأه الموت وهو على ضلالة ، فيدخل النَّار مع الداخلين .

---

(١) عبد العزيز بن أبي رواد . هو شيخ الحرم . واسم أبيه ميمون الأزدي المكي ، أحد الأئمة العباد . حدث عن سالم بن عبد الله . والضحاك بن مزاحم ، قال ابن المبارك : كان من أعبد الناس توفى رحمه الله سنة (١٥٩) هـ .

وقد روي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا تجالسوا شربةَ الخمر، ولا تعودوا مَرْضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، فإنَّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودّاً وجهه، مُدْلِعاً لسانه على صدره، يسيل لُعابه على صدره، يُقذِّره كلُّ من رآه»(١).

وعنه ـ ﷺ ـ قال: «ما من قوم اجتمعوا على مسكرٍ في دار الدنيا إلا جمعهم الله يوم القيامة في نار جهنم، فيُقبل بعضهم على بعضٍ يتلاومون، فيقول أحدهم للآخر: يا فلان! لا جزاك الله عنِّي خيراً، فأنت الذي أوردتني هذه الموارد. ويقول الآخر مثل ذلك(٢).

وروي: أنَّ شربة الخمر إذا أتوا على الصراط، فتخطفهم الزبانية، فيهوى بهم إلى نهر الخبالُ، وهو صديدُ أهلِ النار، فيُسقون بكلِّ كأسٍ شربوا في الدنيا من الخمر شربةً من نهر الخبال، فلو أنَّ تلك الشربة تصبُّ من السماء السَّابعة لأحرقت السَّماوات والأرضين بمن فيهنَّ.

ذكر شارب الخمر يخطف عن الصِّراط:

لأنَّه ليس في وجهه نورٌ؛ لأنَّ النُّور يكون من الأعمال الصالحة، وشارب الخمر ليس له عملٌ صالح، والأصل في ذلك: أنَّ الطاعات كلَّها لا تقبل إلا ممَّن يُصلِّي، لأنَّ الصلاة هي رأس الأعمال الصالحة، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصرّاً على شربها، وفي جسده شيءٌ منها، كما تقدَّم في الحديث، وإذا لم تقبل صلاته، لم يقبل منه سائر عمله.

واعلموا رحمكم الله! أنَّ أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب الخمر،

---

(١) ذكره ابن عدي في الكامل (٢/ ٢١٤). وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٤٢) وفي تنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي إسناده الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي مولى قريش. قال البخاري: ضعيف. وقال النِّسائي: ضعيف. وانظر ميزان الإعتدال (١/ ٥٧٤).

(٢) رواه بنحوه البيهقي في الشعب رقم (٥٥٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. ورواه الطبراني في الكبير رقم (١١٤٦٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه: يحيى بن أبي سليمان المدني ضعفه البخاري. وأبو حاتم. ووثقه ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها خمر».

فإذا تمكن الشيطان منه أمره بالكفر ، وصدَّه عن الإيمان ، وفتح عليه جميعَ أبواب العصيان .

كما ذُكر أنَّ رجلاً صالحاً خرج في حاجة له ، فعرضت له امرأة في الطَّريق ، فعلقت به ، فاحتالت عليه ، فأدخلته إلى دارٍ ، وغلَّقت عليه الأبواب ، وطلبت منه أن يقع عليها فقال : لا أفعل ! فقالت : إن لم تفعل ، وإلا صحت على الجيران وفضحتُك بنفسي ، فاختر لنفسك : إمّا أن تقتل هذا الصَّبي ـ وكان عندها صبيٌّ لها ـ أو تسجدَ لهذا الصليب ، أو تقع عليَّ ، أو تشرب الخمر ، فلا أخليك إلا بواحدة من هذه الأربع . فنظر فلم يرَ شيئاً أهون من شرب الخمر ، فشرب منها ، فسكر ، فوقع عليها ، وسجد للصليب ، وقتل الصبيَّ ؛ فلهذا سماها النبي ـ ﷺ ـ «أمَّ الخبائث»[1] .

وروي أنَّ رجلاً جاء إلى الشيخ عبد القادر ـ رحمه الله ـ وقال : يا سيِّدي ! خذ عليَّ شرائط التوبة ، فإنِّي مبتلًى بشرب الخمر .

فقال الشيخ : قد روي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «الخمر أمُّ الخبائث»[2] .

وفي الآثار : جمع الشرُّ كلُّه في بيتٍ ، وجعل مفتاحه شرب الخمر . فأول شرِّها المخالفة لله ولرسوله ، فإذا وقعت المخالفة ، وشربتها ، فسكرت منها ؛ كفرت بالله العظيم ، وأنت لا تشعر ، وتركت الصلوات المفروضات وأنت لا تدري ، وزنيت وأنت غير عالم بما تأتي ، وآذيت المسلمين ، وأتلفت مالك ، وعققت والديك ، وطلَّقت زوجتك وأنت لا تعلم بما يجري على لسانك ، وأفسدت عقلك الذي وهبه الله لك ، وأغضبت الله عليك ، فيا مغرور ! مغبون في الدنيا والآخرة . هل فكرت فيما أحبطت من عملك ، وما كفرت بخالقك ، وما تركت من فرائضه عليك ؟ فكم ممَّن سكر ، فمات في سُكره ، فلقي الله على تلك الحالة ، فلم يفق إلا في جهنَّم خاسراً بين الخاسرين ، وهالكاً بين الهالكين «يبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه»[3] . هكذا جاء في الحديث عن النبيِّ ـ ﷺ ـ .

---

(١) رواه ابن حبان بنحوه رقم (٥٣٤٨) . وابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (١١٢٢) من حديث عثمان رضي الله عنه . وإسناده ضعيف . والصواب وقفه كما قال الدارقطني رحمه الله .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٤٥٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه . وإسناده صحيح .

وروي عنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ مات سكراناً عاين ملك الموت وهو سكران، وذُهب به إلى قبره وهو سكران، وعاين منكر ونكير وهو سكران، ووقف بين يدي الله وهو سكران»[١].

وقد سمعت قول نبيك ـ ﷺ ـ يقول: «مدمن خمر كعابد وثن»[٢]. حديث جيد، رواه أحمد بن حنبل.

قال ابن المبارك[٣]: المدمن عليها هو المصرُّ على شربها؛ الذي من رأيه ـ أي: في عزمه ـ أن يَشربها إذا وجدها، ولو لم يشربها ثلاثين سنة وفي عزمه أن يشربها إذا وجدها كان مدمن خمر. فكم من تارك لها عند فقدها، ولم ينته إذا وجدها شربها، فلقي الله مدمن خمرٍ بهذه النيَّة،

كما صحَّ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «الأعمال بالنيات، ولكلِّ امرىءٍ ما نوى»[٤].

فاحلل ـ رحمك الله! ـ عقدة الإصرار على شربها، وتُب إلى الله توبةً صادقة بعزم صادقٍ مع الله أن لا تعود إليها أبداً، ولو أُوتيت ملء الأرض ذهباً، وفكَّ نفسكَ من قيد الشَّيطان، وتجنَّب صداقته.

فقد روي عن موسى ـ عليه السلام ـ: أنَّه قال لإبليس: مَنْ أصدقاؤك؟ قال: شُرَّاب الخمر، إن قلتُ لواحدٍ منهم: اقتل؛ قتل. وإن قلت له: ازن بأمِّك؛ زنى بها، فهم معي مثل الشمع يتبعوني كيف أمرتهم.

وقال الشَّيخ الإمام أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ: بلغني: أنَّ الخمرة مُرَّة الطَّعْمِ، وأنَّ ريحها كريهٌ، وإنما يحمل شرَّابها على تحمُّل كراهتها ما يرجون من

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٦٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وصدَّره يروى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وهي إشارة إلى ضعفه وقال: وفيه نكارة.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢٤٥٣) بلفظ «مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن». وفي إسناده ضعف لجهالة الواسطة بين محمد بن المنكدر وابن عباس، وله شواهد.

(٣) ابن المبارك. هو عبد الله بن المبارك بن واضح. الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه. وأمير الأتقياء في وقته. الحافظ الغازي أحد الأعلام توفي رحمه الله في شهر رمضان سنة (١٨١) هـ.

(٤) رواه البخاري رقم (١ و٥٤) ومسلم رقم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

لذَّة ينالوها ، فتأملت لذَّتها ، وما تجني عليهم ، فإذا تلك اللَّذَّةُ لا تقاوِم عشر معشار جناياتها ، وأقبح جناياتها : أنها توجب فراق العقل ؛ الذي هو أشرف ما وهبه الله لابن آدم ، وأشرف الموجودات ، فيُعدم بعدمه معرفة الخالق ، وتوجب أقوالاً رديَّةً ، وأفعالاً قبيحةً ، منها : الضرب ، والقتل ، والزنى ، ولو زنى بأمِّه ، فأحبلها ؛ لم يعرفها .

وقد روينا : أنَّ سكراناً رمى أمَّه في النَّار فاحترقت ، فلما أفاق ؛ قطع يد نفسه .

وأنشدوا في الخمر :

زعـمَ المـدامَـةَ شـاربـوهـا أنَّهـا ... تَنْفــي الهُمُــوْمَ وتكْشِــفُ الغَمَّــاءَ
صَـدَقُـوا نفـت عقَـوْلَهِـمْ وَدِينِهِـمْ ... أَرَأَيْــتَ عَــادِمَ ديــنٍ مغتمــاء

روي عن العوَّام بن حوشب[1] قال : نزلت مرَّةً حياً من أحياء العرب ، وإلى جانب ذلك الحي مقبرة ، فلمَّا كان بعد العصر انشقَّ منها قبرٌ ، فخرج منه إنسانٌ رأسه رأس حمارٍ ، وجسده جسد إنسان ، فنهق ثلاث نهقات ، ثم انطبق عليه القبر ، وإذا عجوزٌ تغزل شعراً وصوفاً ، فقالت لي امرأةٌ من الحي : ترى تلك العجوز؟

قلت : مالها؟

قالت : هي أمُّ هذا الذي نهق من القبر .

قلت : وما كان من أمره وقصته؟

قالت : كان يشرب الخمر ، فإذا راح إليها تقول له : يا بني! اتَّقِ الله! إلى متى تشرب هذا الخمر؟!

فيقول لها : انهقي نهيق الحمار - أو : إنما أنتِ تنهقين كما ينهق الحمار - .

ثمَّ إنَّه مات يوماً بعد العصر ، فهو ينشقُّ عنه القبر كلَّ يوم بعدالعصر ، فينهق ثلاث نهقاتٍ ، ثم ينطبق عليه القبر عبرةً لمن يعتبر ، وموعظةً لمن يذكر .

وعن سنيد بن معمرٍ قال : حدَّثني عبد الله بن عبد الله قال : شهدتُ رجلاً من ثقيف

---

(١) العوام بن حوشب ابن يزيد . الإمام المحدث . أبو عيسى الربعي الواسطي حدث عن مجاهد بن جير . وعمرو بن مرة ذكره أحمد فقال : ثقة ثقة توفي رحمه الله سنة (١٤٨) هـ .

عند الموت ، وكان إذا قيل له : قل : لا إله إلاَّ الله ؛ قال : هو كافر ، فما زالت تلك حاله حتى مات ، فسألتهم عنه ، فقالوا : كان يُصبح مخموراً ، ويُمسي سكراناً ، فهذا تصديق قول النبيِّ ـ ﷺ ـ : «مُدْمِنُ الخمر كعابد وثن» .

وعن عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ : أنَّه قال : اجتنبوا الخمر ؛ فإنها أم الخبائث ، وإنَّه لا يجتمع الخمر والإيمان في قلب رجلٍ إلا يوشك أحدهماأن يذهب بالآخر»[1] . يعني : أن شارب الخمر إذا سكر ؛ تجري على لسانه كلمة الكفر ، كما جرى لمن سبق ذكره . وبعضهم امتنع من النطق بها ، وماتوا على ذلك ، فبقوا في النَّار أبداً ؛ لأن أكثر ما ينزع الإيمان من العبد إنما ينزع عند موته ، وذلك بسبب ذنوبه التي فعلها ، فيبقى في حسرةٍ ، وندامةٍ أبداً .

وقد رُوي في بعض الأخبار : أنَّ شارب الخمر يخرج مِنْ قبره يوم القيامة أنتن من الجيفة ، والكوزُ معلَّقٌ في رقبته ، والقدحُ بيده ، تملأ مابين جلده ولحمه حيَّات وعقارب ، ويلبس نعلان من نار تغلي منهما دماغه ، ويجد قبره حفرة من حفر النَّار .

روي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «من أطعم شارب الخمر لقمةً ؛ سلَّط الله على جسده حيَّةً وعقرباً ، ومَنْ قضى حاجته فقد أعان على هدم الإسلام ، وَمَنْ جالسه ؛ حشره الله يوم القيامة أعمى لا حجَّة له ، وَمَنْ أقرضه ؛ فقد أعان على قتل مؤمنٍ ، ومَنْ شرب الخمر ؛ فلا تزوِّجوه ، وإن مرض ؛ فلا تعودوه ، فوالذي نفسي بيده! ما يشرب الخمر إلا ملعونٌ في التوراة ، والإنجيل ، والزَّبور ، والفرقان ، ولا يستحلُّ الخمرَ إلا كافر ، وَمَنْ يستحلُّ الخمر ؛ فأنا منه بريء في الدنيا والآخرة» .

وأنشدوا في الخمر :

الخمرُ داعيةٌ إلى العصيانِ	والخمرُ قائدةٌ إلى النِّيرانِ
والخمرُ شارِبُها يُصدُّ عن الهُدَى	فيبدِّلُ الطَّاعاتِ بالعصيانِ
شربُ المُدامِ للإلهِ عَدَاوَةٌ	ومحبَّةٌ للمارِدِ الشَّيطانِ

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٥٣٤٨) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً . وإسناده ضعيف . وأخرجه عبد الرزاق رقم (١٧٠٦٠) والنسائي (٨/ ٣١٥و٣١٦) . والبيهقي في السنن (٨/ ٢٨٧و٢٨٨) عن عثمان رضي الله عنه موقوفاً . وقال الدارقطني . وهو الصواب .

فتبادروا بالتوب يا أهلَ الرَّدَى | وتقرَّبوا لِلْواحِدِ الرّحمنِ
وتباعدوا عن شُربِ مفتاح الرَّدى | ومغالقِ الخيراتِ في الإيمانِ
فهي المحرَّمةُ التي تَحْرِيْمُهَا | في محكمِ الآياتِ والقرآنِ

* * *

لا يشربُ الخمرَ إلا فاجرٌ بَطِرٌ | قد خالفَ اللهَ والقرآنَ والرُّسُلا
بئسَ الشرابُ وبِئْسَ الشاربونَ لها | لا يسلكونَ إلى دُنياهمُ سُبُلا
هي الدَّليلُ إلى دارِ الجحيمِ غَدًا | بئسَ القرارُ ولا يُرجَىٰ لهم حِوَلا

وذكر: أنَّ شارب الخمر يجيء يوم القيامة فيقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للزَّبانية: خذوه، فيبتدره سبعون ألف ملك، يسحبونه على وجهه إلى نار جهنم.

وذكر في بعض الأخبار: أنَّه ما مِنْ عبدٍ أنفقَ درهماً في الخمر إلا محق الله ـ تبارك وتعالى ـ مِنْ رزقه سبعين درهماً، وجعل الله كلَّ درهمٍ ينفقه في الخمر سلسلة في عنقه منْ نار جهنم، وجعله ثعباناً يأكله في قبره، فإذا خرجَ مِنْ قبره؛ خرجَ معه الثعبان، فلا يفارقه حتى يلقيه في دار الهوان.

وأنشدوا في الخمر:

لا تشربِ الخمرَ يا مغرورُ إنَّ لها | وزراً عظيماً لدى الرحمن في الحَشْرِ
الخمرُ تبعِدُ عَنْ حقِّ الإلهِ وعَنْ | شَرْعِ الرَّسولِ الذي في مُحْكَمِ الذِّكْرِ
إنَّ الذي قطعَ الأيَّامَ يَشْرَبُهَا | له عذابٌ شديدٌ كاشفُ السِّتْرِ

روي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «والذي بعثني بالحق نبيّاً! مَنْ كان في قلبه آيةٌ من كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وصب عليها الخمر؛ يجيء كلُّ حرفٍ مِن تلك الآية، فيأخذ بناصيته، حتى يوقفه بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيخاصمه، وَمَنْ خاصمه القرآن خصم»(١).

وروي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: إذا مات شاربُ الخمر؛ فادفنوه، ثم اصلبوني على خشبةٍ، ثمَّ انبشوا عنه قبره. فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن قبلة المسلمين، وإلا فاتركوني مصلوباً.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال: حديث موضوع على رسول الله ﷺ.

وقال بعض الصالحين: رأيتُ شاباً يطوف بالبيت، ويتضرَّع تضرُّعاً رقَّ له قلبي، فأتيته وسألته عن حاله؟ فقال: كنتُ أنبش القبور، فنبشت مِئَةَ قبرٍ، فوجدتهم على غير القبلة الإسلاميَّة، فسألت عنهم؟ فقالوا: كانوا يشربون الخمور في الدنيا، وماتوا ولم يتوبوا.

وذكر أخر قال: رأيت رجلاً صالحاً كنت أعرفه في المنام بعد موته، فقلت له: ما حالك؟

قال: في شدَّةٍ شديدةٍ ممَّن حولي من الأموات؛ لأنهم شربوا الخمر في الدنيا، ولم يتوبوا، فنزع الله عنهم الإيمان عند نزوع الأرواح، وعذَّبهم عذاب الكفَّار، وسيحشرهم حشر الكفَّار.

وقد روي عن النبي ﷺ: أنَّه قال: «تبيت طائفةٌ مِنْ أمَّتي على أكلٍ وشربٍ، ولهوٍ ولعبٍ، ويصبحون قد مسخوا قردة وخنازير، ثم يبعث الله على أحيائهم ريحاً، فتسفيهم كما سفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمور، وضربهم الدفوف، واتحاذهم القينات»[1].

وقد قال بعضهم في ذلك شعراً.

تعصي الإلهَ وتأتي الخمرَ تشربُها	وترتجي مِنْ إلهِ العرشِ غُفرانا
وأنتَ تحوي فِعالَ الشَّرِّ أجمعَها	وقد جمعتَ من العصيانِ ألوانا
فَتُبْ ولا تتمادى في الضَّلالِ عسى	تلقى إلهاً كريمَ العَفْوِ رحمانا

وقد روينا عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ قبل وفاته، فقال في خطبته: «مَنْ شرب في الدُّنيا خمراً؛ سقاه الله من سم الأساود ـ يعني: الحيَّات والعقارب ـ شربةً يتساقط لحمُ وجهِه في الإناء قبل أن يَشرَبها، فإذا شربها؛ تناثر لحمه وجلدُه.

ألا وإن شاربها وعاصرها، ومعتصرها، وحاملَها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها شركاء في إثمها، لا يقبل الله منهم صلاةً، ولا صوماً، ولا حجاً، ولا عمرةً حتى يتوبوا، فإن ماتوا قبل أن يتوبوا كان حقّاً على الله أن يسقيَهم بكل

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٢٣١). والطيالسي رقم (١١٣٧) والحاكم (٤/ ٥١٥). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. أقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده. =

جرعةٍ شربها في الدنيا من صديد جهنم ، ألا وكلُّ مسكرٍ خمرٌ ، وكلُّ خمرٍ حرام»[1] . **فيدخل في ذلك الحشيشة وكلُّ ما أسكر .**

ذكر عن بعض الصالحين : أنَّه توفي له ولدٌ صغيرٌ ، فرآه بعد مدَّةٍ في منامه ، وقد شاب رأسه ، فقال : يا بني دفنتك صغيراً ، فما الذي شيبك؟

فقال : يا أبت! دُفن في جواري رجلٌ كان يشرب الخمر في الدنيا ، فلمّا دُفن؛ زفرت النَّار لقدومه زفرةً لم يبق منَّا طفل إلا شاب رأسه مِنْ شدَّة زفرة النَّار . أجارنا الله ، فإنا لله ، وإنا إليه راجعون ، والويل كلَّ الويل لمن شرب الخمور ، وهتك الستور ، وبذل مهجته لعذاب السَّعير ، وغرّه بالله الغرور .

ويقال : إذا تناول العبد كأساً من الخمر؛ ناداه الإيمان : أنشدتُكَ الله لا تدخلها عليَّ ، فإنِّي لا أستقرُّ وهذا في موضعٍ واحدٍ! فإن شربه؛ نفَر الإيمان منه نفرةً لم يعد أربعين صباحاً ، وسلبه اللهُ مِنْ عقله شيئاً لا يرد إلى يوم القيامة . وقد مدح الخمر بشعره بعض الضلال المغرمين بشربها ، فأجابه بعض العلماء ، وذكر : أنَّ مدحَها من شعار النصارى ، فقال فيها شعراً ، وذكر بعض آفاتها :

لا تنـافِـقْ فتمـدح الخَنْـدَرِيّـا ... إنَّمـا يمْـدحُ الخمـرَ عُبّـادُ عيسـى
إنَّمـا يمـدحُ المُـدَامَ النَّصـارى ... وبهـا يُغـوي الـرَّجيـمُ المَجُـوْسَـا
فجـزى الله شـاعِـراً جعـلَ المَـدْحَ ... لهـا فـي الأنـامِ وقفـاً خبيثـا
فتـنَ النَّـاسَ حيـن رغَّـبَ فيهـا ... بـأقـاويـلَ صيَّـروهـا دُرُوْسَـا
أغضـبَ اللهَ والـذي ختـمَ الـرُّسْـلَ ... وأرضـى الشمَّـاس والقسّيسـا
قـال فيهـا بعـضُ الأطبـاءِ قـولاً ... لبَّسـوه علـى الـوَرَىٰ تلبيسـا
إنَّهـا تنفـعُ السَّقيـمَ وهـذا ... خبـرٌ أثـوابُـه معكـوسـا
قـال فيهـا الـرسـولُ قـولاً شـريفـاً ... فتـدبَّـر كـلامَـه المحَـرْوُسـا
ليـس فيهـا لأُمَّتـي شفـاءٌ ... بعـد ذا القـولِ كيـفَ تشفـي ميسـا
وهـي مفتـاحُ كـلِّ فعـلٍ قبيـحٍ ... قـد حـوى بيتَـه الأذى والنُّحـوسـا
يشـربُ الشـاربـونَ منهـا ... بقعرِ النَّار من طينةِ الخَبَالِ كؤوسا
شـاربُ الخَمْـرِ مثـلُ عـابـدِ ... وثـنِ الـذي صـارَ رسمُهـا مطمـوسـا
وكـلُّ هـذا معنـى كـلام رسـولِ اللهِ ... فـاستمعْـه وعظِّـمْ النـامـوسـا

---

(١) ذكره السيوطي في الآلىء المصنوعة (٢/ ٣٦٥) وإسناده ضعيف وللكثير من فقراته شواهد .

تفسدُ الدِّينَ لا محالةَ والعقلَ ... وتهدي الجسمَ داءً دَسِيْسَا

قال في ذَمِّهَا ابنُ جزلةَ قولاً ... مُسْنَداً عن مقالِ جالينوسا

عَدَّ آفاتِهَا وكان حكيماً ... حاذقاً صادقاً إماماً رئيسا

إنّها تورثُ البلادةَ حتّى ... تجعلُ الأذكياءَ منهم تيوسا

طالما أحدثتْ خُناقاً وحُمَّى ... وسباتاً يعطِّل المحسوسا

ثمَّ صرعاً وسكتةً وارتعاشاً ... ثمَّ مَوْتَ فجأةٍ متعوسا

ثمَّ ضعفُ العينين مع شَتْرَةِ الجَفْنِ ... فيغدوا مُلْقِياً مَنْكُوْسا

ثُمَّ عظِّمِ الطَّحالَ مع بَخَرِ الفَمِ ... ثمَّ ضَعْفُ الأعصابِ والتهويسا

ثمَّ الأكباد تقطَّعت فرمتها ... في مَرَاحِيْضِها دماً ممروسا

كم قتيلٍ في حانِهَا وجريحٍ ... مُثْخَنٍ في أهلِهِ ليس يؤوسا

تُذهِبُ المالَ والعدالةَ والدِّينَ ... وعَقْلاً يهدي وعَرْضاً نفيسا

أيُّ وصفٍ فقد الإنسانُ ... أضحى بين الأنام خسيسا

لو تباعُ بالنفوسِ كان من الواجب ... بذلُ الأنامِ فيها النفوسا

رُبَّ متراخي غِنًى قائمَ الجاهِ ... يشربُ العُقّار أفرغَ كيسا

بعد كيسٍ صارَ عبداً فقيراً ... مستذَّلاً بدَيْنِه محبوسا

زعموا أنَّ شُرْبها يُذْهِبُ الهمَّ ... فضلّوا واستعملوا التدليسا

كم همومٍ إلى الورى جلبتها ... نكّستْ منهم للحياء رؤوسا

فاستُخسّوا ومنهم نفرَ الناسُ ... فلا يرتضون منهم جليسا

تورثُ البغضَ والعداوةَ في الأهلِ ... وتؤذي الجارَ القريبَ الأنيسا

فهي تُبدي بشاشةً لك في الكأس ... وتُبدي في الشُرْبِ وجهاً عبوساً

حين تغدو ثيابُك البيضُ طهراً ... فتعد ثمَّ نَجَّسَتْ تنجيسا

ثمَّ البغيُّ أصلَحُ حالاً ... من نديمٍ منها تَحسَّى كؤوسا

أشبهتْهُ في رِقَّةِ الدِّيْن لكنْ ... خلصتْ منه فضةً وفلوسا

أكل لحم الخنزير خيرٌ من الخمر ... لمن كان لِلْعلوم مقيسا

حيث لا حدَّ فيه وإن كان ... حراماً فينا وفي قوم موسى

ثمَّ إنَّ الفقيهَ لو خشي الموتَ ... من الجوع لا يُرى منه بوسا

بخلاف العُقارِ لو ماتَ منه شخصٌ ... ظمأً لا يُرى بها تنفيسا

وبها الحدُّ كلّما ذاقها المرءُ ... أربعاء وجمعةً وخميساً

إن تكن تورثُ النَّدامَىٰ سروراً فهي تُؤذي المهيمنَ القدُّوساً
تُبْعِدُ العبدَ من إلهِ السَّموات وتُدْنِي من شيخِهَا إبليسا
لو عددنا لِمَا حوتْ من صفاتٍ مخزياتٍ لأعوزتنا طُرُوسا
وإذا ماتَ مَنْ أصرَّ عليها كانَ مِنْ جنَّة النعيمِ يَؤُوسا
فتنصَّلْ مِنْ شُرْبِهَا فهي رِجْسٌ وَتجنَّا تليق مع جرجيسا
فهنيئاً لعاقلٍ لم يُدنِّس صفا عِرْضِهِ بها تَدْنِيْسَا

وقال بعض العلماء: في شرب الخمر اثنتا عشرة خصلة مذمومةٍ، يأنفُ منها من عنده أدنى عقلٍ، ودينٍ، ومروءةٍ ونحوه على نفسه:

الأولى: أنه إذا شربها يصير بمنزلة المجنون، ويصير ضُحْكةً للصبيان، خسيساً عند العقلاء.

كما ذُكر عن ابن أبي الدنيا قال: رأيتُ سكراناً في بعض السِّكك ببغداد يبول، وهو يتمسَّح ببوله، ويقول: اللَّهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

وذكر: أنَّ سكراناً تقيَّأ في بعض الطُّرق، فجاء كلب يلحس فمه، وهو يقول للكلب: يا سيدي! يا سيدي!.

الثانية: أنَّها تذهب المال، كما قال عمر بن الخطَّاب: اللَّهم أرنا رأيك في الخمر، فإنَّها متلفة للمال، مذهبةٌ للعقل.

الثالثة: إنَّ شربها يسبب العداوة بين الإخوان والأصدقاء والنَّاس، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١] والميسر هو القمار.

الرابعة: إنَّ شربها يمنعه عن ذكر الله، وعن الصلاة، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١] وقد تقدَّم فيما سبق: «أنَّ من ترك الصلاة سُكراً مرَّةً واحدةً فكأنما كانت له الدنيا وما عليها، فسُلِبها، ومن ترك الصلاة سكراً أربع مرَّاتٍ كان حقّاً على الله أن يسقيه من نهر الغوطة».

قيل: يا رسول الله! وما نهر الغوطة؟ قال: «نهرٌ يجري من فروج المومسات،

يؤذي ريحه أهل النار»[1] ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ يقول: انتهوا عنها، فلما نزلت هذه الآية؛ قال عمر: انتهينا يا رب! قد انتهينا يا رب.

الخامسة: إنَّ شربها يحمله على الزنى، لأنَّه يطلق امرأته وهو لا يشعر.

السادسة: أنها مفتاح لكلِّ شرٍّ؛ لأنه إذا شرب الخمر نسل عليه جميعَ المعاصي كما قدَّمنا من ذكر الرَّجل الذي علقت به امرأة.

السابعة: أنَّه يؤذي حفظته الكرام الكاتبين بإدخالهم في مجالس الفسق، ويوجدهم رائحةً منتنة، فيؤذي مَنْ لا يؤذيه.

وقد روي عن وهيب بن الورد[2] ـ رحمة الله عليه ـ قال: بلغنا: أنَّه ما من ميتٍ يموت حتَّى يتزايا له مَلَكاه اللَّذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا، فإن كان صحبهما بطاعة الله؛ قالا له: جزاك الله مِنْ جليس خيراً، فربَّ مجلس صدقٍ قد أجلستناه، وعمل صالحٍ قد أحضرتناه، وكلام حسنٍ قد أسمعتناه، فجزاك الله عنَّا من جليس خيرٍ.

وإن كان صحبهما بغير ذلك ممَّا ليس لله فيه رضا، قالا له: جزاك الله عنَّا من جليس سوءاً، فربَّ مجلس سوء قد أجلستنا ـ وفي رواية: وربَّ عمل سوءٍ قد استعملتنا ـ وكلام قبيح قد أسمعتنا، فنحن لك اليوم على ما تكره. قال: فذلك شخوص الميت إليهما، ولا يرجع إلى الدُّنيا أبداً.

الثامنة: أنَّه أوجب الحدَّ على نفسه ثمانين جلدةً، فإن لم يُجلد في الدنيا؛ فإنَّه يجلد في الآخرة بسياطٍ من نارٍ على رؤوس الأشهاد، ينظر إليه الآباء والأصدقاء، وأيُّ خزيٍ أعظمُ من هذا، ثم يُمضى به إلى النار.

التاسعة: أنَّه أغْلَقَ بابَ السَّماء على نفسه؛ لأنَّه لا تُرْفعُ له إلى السَّماء حسنة، ولا دعاءٌ، ولا صلاةٌ أربعين صباحاً.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٦٦٥٩). والحاكم (٤/ ١٤٦) وصححه ووافقه الذهبي. أقول وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) وُهيب بن الورد بن أبي الورد العابد الرباني أبو أمية مولى بني مخزوم من أهل مكة. ووفاته بها. كان من أقران إبراهيم بن أدهم توفي رحمه الله سنة (١٥٣)هـ.

العاشرة: أنَّه يخاطر بنفسه؛ لأنه يُخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند الموت بسبب الخمر ، كما جرى لمن تقدَّم ذكره عند موتهم ، وفي قبورهم من نزع الإيمان منهم ، ومن تحويل وجوههم عن القبلة ، وعذابهم في قبورهم .

الحادي عشرة: تعريضه نفسه لعذاب الله نار جهنم يوم القيامة ، وشربه من الخبال ، والصَّديد ، والحميم في جهنَّم عوض ما شرب في الدنيا من الخمر ؛ لما تقدَّم من الأحاديث ، منها الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه» : أن النبيَّ ـ ﷺ ـ قال : «إنَّ حقّاً على الله لِمَنْ يشربَ المُسكر أن يسقيه من طينة الخبال» .

قيل : يا رسول الله! وما طينةُ الخبال؟ قال : «عرقُ أهل النار ، أو عصارة أهل النَّار»[1] .

ويكفي في الوعيد هذا الحديثُ الصحيحُ مع لعنة الله له كما تقدَّم من قول النبيِّ ـ ﷺ ـ : «إنَّ الله لعن في الخمرة عشرة : لعن الخمرة بعينها ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها»[2] . فقد لعن الله كلَّ من نُسب إليها بسبب من الأسباب ، حتى بائع العنب ممَّن يتخذه خمراً ، وحامل العنب إلى من يعصره خمراً ، واللعنة من الله هي البعد والطَّرْدُ ، وإذا أبعد الله العَبْدَ ، وطرده من جواره؛ فقد عذَّبه بحرِّ ناره . نعوذ بالله من طرده وإبعاده .

وروي عن رسول الله ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بعثني رحمةً وهدًى للعالمين ، وأقسم ربي ـ تعالى ـ بعزَّته : لا يشرب عبدٌ من عبيدي جُرعةً من خمر متعمداً إلا سقيتُه مثلها من حميم جهنم مغفوراً له بعدُ أو معذباً ، ولا يدعها عبدٌ من مخافتي إلا سقيتُه إيَّاها في حضار القدس مع خير النُّدماء»[3] .

الثانية عشرة: أنَّه حرم نفسه دخول الجنَّة وشَرَابها؛ لما تقدَّم مِنْ قوله ـ ﷺ ـ :

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٢١٨) . والطيالسي رقم (١١٣٤) والطبراني رقم (٧٨٠٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه . وإسناده ضعيف . فرج بن فضالة ضعيف . وعلي بن يزيد الألهاني ضعيف بمرة .

«ثلاثةٌ قد حرَّم الله عليهم الجنَّة : مُدْمِنُ خمرٍ ، والعاقُّ ، والدَّيُّوثُ ؛ الذي يقرُّ في أهله الخبث»[1] . وإذا حُرِمَ الجنَّة ؛ فقد حرم شرابها .

ولقوله ـ ﷺ ـ : «مَنْ شرب الخمر في الدُّنيا حُرِمَها في الآخرة» . مخرَّج في «الصحيحين»[2] .

قال بعض العلماء : هذا من الكنايات ، يعني : أنَّه يُحرم الجنَّة بالأصالة ؛ إذ شراب الجنة لا يحرمه مَنْ دَخلها .

وأكثر العلماء على أنَّ شارب الخمر إذا تاب إلى الله توبةً صادقةً ، وندم على ما سلف منه ، وعزم على ألاَّ يعود إليها ، واستمرَّ على طاعة الله ، والعمل الصالح ، وتجنب إخوانه الفاسقين ، وعلم الله صدقه في توبته ، وتجنبه لمعصيته ، فإنَّه تعالى يُكرمه ، ويغفر له برحمته ، ويدخله الجنَّة ، ويسقيه من شرابها ، وينجِّيه من النَّار ، ويجيره من عذابها ، فإنه تعالى قد وعد بذلك في كتابه العزيز . فقال : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ : «الله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم براحلته إذا أضلها بأرض فلاةٍ»[3] .

وقال ﷺ : «كلُّ بني آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين التوابون»[4] .

فصل [في حكم الحشيشة]

قال العلماء : والحشيشة المصنوعة للسُّكْرِ حرامٌ كالخمر ، يُحَدُّ آكلها كما يُحَدُّ شاربها ، وهي أخبثُ من الخمر من جهة أنَّها تفسد العقل والمزاج ، حتى يصيرَ في

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٥٣٧٢) ورقم (٦١٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإسناده حسن .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٥٧٥) . ومسلم رقم (٢٠٠٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري رقم (٦٣٠٨) . ومسلم رقم (٢٧٤٤) . من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٥٠١) . وابن ماجه رقم (٤٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه ، وإسناده حسن .

الرَّجل تَخَنُّثٌ ، ودياثةٌ ، وغير ذلك من الفساد ، والخمر أخبث من جهة : أنها تفضي إلى المخاصمة ، والمقاتلة ، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقَّف بعض الفقهاء المتأخرين في حدِّها ، ورأى أنَّ آكلها يعزَّرُ بما دون الحدِّ بحيث ظنَّها تغير العقل من غير طربٍ بمنزلة البنج ، ولم يجد العلماء المتقدمين فيها كلاماً ، وليس كذلك ، بل أَكَلَتُها ينتشون بها ، ويشتهونها كشرَّاب الخمر وأكثر ، وتصدُّهم عن ذكر الله وعن الصَّلاة مع ما فيها من المفاسد الكثيرة من الدِّياثة ، والخناث ، والفساد في المزاج والعقل ، وغير ذلك .

لكن لمّا كانت جامداً، وليست شراباً؛ تنازع الفقهاء في نجاستها في ثلاثة أقوال :

فقيل : هي نجسةٌ كالخمر ، وهذا هو الأصحُّ .

وقيل : لا ؛ لجمودها .

وقيل : يفرَّق بين جامدها ومائعها . وعلى كلِّ حالٍ فهي داخلةٌ فيما حرَّم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنًى .

قال أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ : قلت : يا رسول الله ! أفتنا في شرابين كنَّا نصنعهما باليمن : البِتْع ، وهو من العسل يُنبذ حتَّى يشتدَّ ، والمِزْرِ ، وهو من الذُّرة والشعير ينبذُ حتى يشتَدَّ ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «كلُّ مسكرٍ حرامٌ» وفي رواية : «كل مسكرٍ خمرٌ ، وكل خمرٍ حرامٌ» . أخرجها مسلم[1] .

وقال ﷺ : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» . مخرَّج في «السُّنن»[2] ، وصححه الحفاظ .

ولم يفرِّق ﷺ بين نوعٍ ونوعٍ لكونه مأكولاً أو مشروباً ، على أن المخمر قد يضطبع بها ـ يعني : تؤكل بالخبز ـ وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب ، فالخمر تؤكل وتشرب ، والحشيشة تؤكل وتشرب .

وإذا لم يذكرها العلماء في الكتب، لأنها لم تكن على عهد السَّلف الماضيين ، وإنَّما أحدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٤٣و٤٣٤٤) . ومسلم رقم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) رواه النسائي (٨/ ٣٠٠) في تفسير البتع والمِزر (٨/ ٣٢٤) في الأشربة . وإسناده صحيح .

فالعجب ممَّن ادَّعى أنَّه عرف ، وعن الحقيقة انحرف ، وهو على مزابل الشهوات قد عكف ، فيستجلى الشاهد ، ويستحلُّ الحشيش في المشاهد ، ثم يزعم بشقوته : أنها بيت قربته ، وجمع حضرته ، ومجلس أنسه ، وحضرة قدسه ، فإن جادله فيها مجادل؛ يقول : ليس فيها نصٌّ صريحٌ ، ولا حديث صحيح . فيا مستحسن القبيح ! أيُّ صريحٍ أصرح من قول محمَّدٍ ـ ﷺ ـ : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»؟ ومن قوله ـ ﷺ ـ : «حرمت الخمرة بعينها ، والمسكر من كل شراب»؟[1] . ومن قوله ـ ﷺ ـ : «كل مسكر حرام» . مخرَّجٌ في «الصَّحيحين»[2] .

وقد بينا فيما مضى على أنَّ شُرْبَ الماء بنيَّة السُّكْر حرامٌ قليله وكثيره . وأجمع المسلمون على أنَّ مَنْ شرب الخمر معتقداً حِلَّه فهو كافر؛ لأنَّ من أحلَّ ما حرَّم الله فهو كافر ، فشاربُ الخمر غير المستحلِّ لها يسمَّى : فاسقاً ، وآكل الحشيشة يسمَّى : كافراً؛ لأنهُ يعتقد حِلَّها . وعلى هذا فآكلها وزاعمها حلالاً فتلك على الشقيِّ مصيبتان .

فوالله! ما فرح إبليسُ بشيءٍ مثل فرحته بالحشيشة؛ لأنَّه زيَّنها للأنفس الخسيسة ، فاستحلُّوها ، واسترخصوها ، واتخذوها قُربة .

ثم من المصيبة الكبرى والدَّاهية العظمى أنهم ينسبونها إلى الفقراء ، ويعزونها إلى الصلحاء؛ فوالله ! لقد برىء الفقراء منها ، وتنزَّه الصلحاء عنها ، وقد برىء الله ممَّن استباحها .

ثمَّ إنَّ مِنْ أوصافها المذمومة تُكسب آكلها الكسل ، وتورثه الفشل ، ويصيرُ العزيز ذليلاً ، والصحيح عليلاً ، والفصيح أبكماً ، والعارفُ الخبير أبلماً ، تفسد الفكرة ، وتبلِّد الفطرة ، وتولِّد البطنة ، وتجدِّد المحنة ، وتجلبُ الفتنة ، وتغيِّر السحنة ، إنْ أكلَ لا يشبع ، وإن أُعطي لا يقنع ، وإن دُعي لا يسمع .

---

(١) رواه العقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٤) والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٣٠٦). من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً وفي إسناده محمد بن الفرات . قال ابن معين : ليس بشيء . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال العقيلي : لا يُتابع عليه . وأخرجه الدار قطني (٤/ ٢٥٦). من حديث ابن عباس موقوفاً عليه وهو الأصح .

(٢) تقدم تخريجه .

كما حكي عن بعض من يعانيها: أنَّه أكلها ، ثمَّ اشترى طعاماً يأكله ، فجلس يأكل ، فغلبه سكرُها عن بقيَّة طعامه ، فجاء كلبٌ ، فأكله ولم يشعر به .

وعن آخر: أنَّه تناول قطعة لحم في فمه ، فغلبه السُّكْرُ ، وبقيت اللحمة في فمه ، فجاء كلبٌ ، فأخرجها من فمه فأكلها . فهل بعد هذه المصيبة شيء أعظم منها في ذهاب العقل؟!

وأنشدوا فيها :

قُلْ لِمَنْ يَأْكُلُ الحَشِيْشَةَ جَهْلاً : عِشْتَ فِي أَكْلِهَا بِأَقْبَحِ عِيْشَهْ
قِيْمَةُ الْعَقْلِ جَوْهَرٌ فَلِمَاذَا يَا أَخَا الْجَهْلِ بِعْتَهُ بِحَشِيْشَهْ

قد جعل صاحبها الأكل فنَّه ، والنوم له فطنَّه ، فهو بعيدٌ عن السنَّه ، طريد عن الجنَّه ، موعود من الله باللَّعنه ، إلا أن يقرع من النَّدم سِنَّه ، ويحسن بالتوبة إلى الله ظنَّه . وأنشدوا فيها :

يَا مَنْ تَشَبَّهَ بِالبَهِيْمِ وَقَدْ غَدَا كَالثَّوْرِ يَرْعَى فِي حَشِيشِ القُنْبُسِ
فَلأَنْتَ أَشْبَهُ بِالْبَهِيْمَةِ إِنَّمَا خَالَفْتَهَا فَلَبِسْتَ مَا لَم تَلْبَسِ
أَرَضِيْتَ وَيْحَكَ أَنْ تُرَى بَيْنَ الوَرَى أَعْمَى أَصَمَّ تُشِيْرُ مِثْلَ الأخْرَسِ؟
ولَطَالَمَا أكَلْتَ بِبَيْتِ سِقَايَةٍ خَوْف الرَّقِيْبِ وَخَشْيةَ المُتَحَسِّسِ

فنسأل الله العافية ، والعصمة ، والتوفيق لما يُحبُّ ، ويرضى . إنه جوادٌ كريم .

* * *

الكبيرة الخامسة عشرة

الكِبْر، والفَخْرُ، والخيلاء، والعُجْبُ، والتيِّه

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إخباراً عن نفسه ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّةَ مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كِبْرٍ».

فقال رجلٌ: يا رسول الله! إنَّ الرَّجل يُحبُّ أن يكون ثوبهُ حسناً، ونعلُه حسناً!

فقال ﷺ: «إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاس». أخرجه مسلم[1].

قوله: «بَطَرُ الحقِّ» البَطَر: التكبُّر؛ أي: يطغى، ويتكبَّر عند سماع الحقِّ، فلا يقبله. وقوله: «وغَمْطُ الناس» أي: احتقارهم، وازدراؤهم.

وقال ﷺ: «يحشر الجبَّارون والمتكبِّرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ، يطؤهم الناس»[2].

وفي رواية: «يُحشر المتكبِّرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ في صُوَر الرِّجال، يغشاهم الذلُّ من كلِّ مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم يقال له: بُولَس، تعلوهم

---

(١) رواه مسلم رقم (٩١). وأبو داود رقم (٤٠٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه (٣/ ٣٢٩) والزبيدي في إتحاف السادة (٨/ ٣٤٣) وإسناده حسن.

نار الأنيار[1] ، يُسقون من عُصارة أهل النار طينة الخبال». أخرجه الترمذيُّ ، وقال: حديثٌ حسن[2].

قوله: «طينة الخبال» جاء في حديث آخر: قيل: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: «صديدُ أهل النار ، أو عصارة أهل النار»[3].

وفي «الصحيحين»[4] عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّه قال: «تحاجَّت الجنَّة والنَّار إلى ربِّها:

فقالت النَّار: أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين.

وقالت الجنَّة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء النَّاس ومساكينهم؟!

فقال الله - تعالى - للجنَّة: أنتِ رحمتي ، أرحمُ بك مَنْ أشاء. وقال للنَّار: أنت عذابي ، أُعَذِّبُ بك من أشاء».

وعن سلمة بن الأكوع قال: أكل رجلٌ عند النبي - ﷺ - بشماله ، فقال له النبيُّ - ﷺ -: «كل بيمينك!»

قال: لا أستطيع!

قال: «لا استطعتَ! ما منعه إلا الكِبْرُ»[5] فما رفعها إلى فيه.

وقال بعض السَّلف: أول ذنبٍ عُصي الله به الكِبْرُ. قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] فمن استكبر على الحق كما فعل إبليس لم ينفعه إيمانه. وأمَّا الفخر ، والخيلاء والعجب ، والتيه ، فقد قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان: ١٨] قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تميله ، وتعرض عن

---

(١) نار الأنيار: أنيار: جمع واحده نير ، وهو الخشبة المعترضة فوق عنقي الثورين.
(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٩). والترمذي رقم (٢٤٩٤). والحُميدي رقم (٦٠٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وإسناده حسن.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) رواه البخاري رقم (٧٤٤٩). ومسلم رقم(٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) رواه مسلم رقم (٢٠٢١) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

النَّـاس تكبُّـراً وفخراً. والمرح: التبختر. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾. [لقمان: ١٨].

وقال ﷺ: «بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تعجبُهُ نفسهُ، مُرَجَّلٌ رأسُه، يختال في مشيته؛ إذ خسفَ الله به الأرضَ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة». مخرَّجٌ في «الصحيحين»[(١)].

قوله: «مُرَجَّلٌ رأسه» أي: قد سرَّح شعره وأرسله. قوله «يتجلجل فيها» أي: يغوص فيها. وقيل: يتردَّدُ في تخوم الأرض.

وعن رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «ما من رجلٍ يختال في مشيته، ويتعاظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان». صحيح على شرط مسلم[(٢)].

وقال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَنْ جَرَّ ثوبه خيلاء». مُخرَّج في «الصحيحين»[(٣)].

ويدخل في هذا من يرخى لباسه حتى يَمَسَّ الأرض فخراً، وخيلاءً، وعجباً.

ولقد دخل شاب على عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ وإزارُه يَمسُّ الأرض، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: ارفع إزاركَ فهو أنقى لثوبك، وأتقى لِرَبِّك[(٤)].

وقال النبي ـ ﷺ ـ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النَّار»[(٥)]. هذا واقع غالب الجاهلين من الأعراب والفلاَّحين وغيرهم، يرخون ثيابهم إلى تحت كعابهم، فمن خاف من عذاب ربِّه؛ فليحذر من ذلك، ولا حول، ولا قوَّة إلا بالله. فنسأل الله العفو، والعافية، إنَّه جوادٌ كريم.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم(٥٧٨٩). ومسلم رقم. (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ١١٨). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٤٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٠) وصححه ووافقه الذهبي. وقال هو على شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٧٨٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه عبد بن حميد في المنتخب رقم (٩٦). وابن حجر في «المطالب العالية» رقم (١٢٧٠و١٣٦٢). وإسناده ضعيف. من كلام علي رضي الله عنه موقوفاً، وليس من كلام عمر كما أشار المؤلف.

(٥) رواه البخاري رقم (٥٧٨٧). والنسائي (٨/ ٢٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة السادسة عشرة

شهادة الزُّور

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال بعض السَّلَف: عَدلتْ شهادَةُ الزور الإشراك بالله، ثمَّ قرأ هذه الآية ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1] [الحج: ٣٠].

وفي حديثٍ: «لا تزولُ قدما شاهدِ الزُّور يوم القيامة حتى تجبَ له النَّار»[2]. فلا حول، ولا قوَّة إلاَّ بالله، وما ذاك إلا لأنَّ شاهد الزُّور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب، والافتراء، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]. وفي الحديث: «يُطبعُ المؤمن على كلِّ شيء، ليس الخيانة، والكذب»[3].

وثانيها: أنَّه ظلم الذي شهد عليه، حتى أخذ بشهادته مالَه، وعِرضَه، وروحه.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٨٨٩٨). وأبو داود رقم (٣٥٩٩). وابن ماجه رقم (٢٣٧٢) من حديث خُريم بن فاتك الأسدي. وإسناده ضعيف لجهالة والد سفيان العصفري. واسمه زياد.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٣٧٣). والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨) والبيهقي (١٠/ ١٢٢). من حديث ابن عمر، وفي إسناده محمد بن الفرات الكوفي ضعيف. وكذبه الإمام أحمد. وانظر تهذيب التهذيب في ترجمة محمد بن الفرات.

(٣) رواه أبو يعلى رقم (٧١١). والبزار رقم (١٠٢). والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٧) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٥٨٩). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨٠) رواه البزار وأبو يعلى. ورجاله رجال الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

وثالثها: أنَّه ظلم الذي شهد له؛ بأن ساق إليه مال الحرام ، فأخذه بشهادته ، ووجبت له النَّار .

فشاهد الزُّور ظَلَمَ الذي شهد عليه ، والذي شهد له؛ بأن أطعمه المال الحرام بشهادته ، فهو ملعونٌ بلعنة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «من قضيتُ له من مال أخيه بغير حقٍّ؛ فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النَّار»[١] .

ورابعها: أنَّه أباح ما حرَّمه الله وعصمه من المال ، والدَّم ، والعرض: وقد قال النبي ـ ﷺ ـ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمُه ، ومالهُ ، وعرضُه»[٢] .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين، وقول الزُّور، وشهادة الزور» فما زال يكررها؛ حتى قلنا: ليته سكت. رواه البخاريُّ[٣] .

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٨٠). ومسلم رقم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٦٥٤). ومسلم رقم (٨٧) من حديث أبي بكرةَ رضي الله عنه.

الكبيرة السابعة عشرة

قذف المحصنات

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور: ٤-٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «اجتنبوا السبع الموبقات...» فذكر منها: «قذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(١).

وقال العلماء - رحمهم الله -: قذف المحصنة: أن يقول **لامرأة عفيفةٍ حرَّة محصنةٍ**: يا زانية! أو: يا بغية! أو: يا قحبة! ، أو يقول لولدها: يا ولد الزنى! أو: يا بن الباغية! أو: يا بن القحبة؛ فمتى قال ذلك، وقامت عليه البينة؛ جُلدَ ثمانين جلدةً، فإن لم يُجلد في الدنيا؛ جُلدها في الآخرة بسياطٍ [من نار على رؤوس الأشهاد]، إلا أن يتوب إلى الله - عزَّ وجلَّ - ويقرَّ على نفسه بأنَّه كذب عليها، وافترى بقوله، ويسألها أن تحالله. وهذا القذف معصية كبيرة من معاصي اللِّسان.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولهذا قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «هل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم»[1].

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2].

وقال ﷺ: «من قذف مملوكَه بالزِّنا؛ أقيم عليه الحدُّ يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال». رواه البخاريُّ[3].

وهذا يؤيد ما قلنا: إنَّ من قذف شخصاً بزنى وهو بريءٌ منه، ولم يعاقب في الدنيا؛ أقيم عليه الحدُّ يوم القيامة إلا أن يتوب إلى الله ـ تعالى ـ ويستحلَّ من الذي قذفه رجلاً كان أو امرأةً، حرّاً أو عبداً.

وأنَّ من قذف أمَّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعد نزول براءتها من السَّماء؛ فهو كافرٌ، مكذِّبٌ للقرآن، فيقتل كما سيأتي بيان ذلك واضحاً في آخر الكتاب في ذمِّ مَنْ تعرَّض لأصحاب النبيِّ ـ ﷺ ـ ولأزواجه بأذى ـ إن شاء الله تعالى ـ والله المستعان.

* * *

---

(١) رواه أحمد في المسند في حديث طويل رقم (٢٢٠١٦). والترمذي رقم (٢٦١٦) وابن ماجه رقم (٣٩٧٣) من حديث معاذ رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري رقم (١٠). ومسلم رقم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٨٥٨). ومسلم رقم (١٦٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة الثامنة عشرة

الغلول من الغنيمة ومن بيت المال ومن الزكاة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم، فذكر الغُلول، فعظَّمه، وعظَّم أمره، ثم قال:

«لا أُلْفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رُغاءٌ، يقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً.

لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فَرَسٌ له حَمْحَمَةٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغتك.

لا أُلفِيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاةٌ لها ثُغاء، يقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلَّغتك.

لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته نَفْسٌ لها صياحٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغتك.

لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته رِقاعٌ تَخْفِقُ، فيقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلَّغتك.

لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته صَامِتٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك».

أخرج هذا الحديث مسلمٌ ، والبخاريُّ بنحوه[1] .

الغلول : هو الخيانة التي يخفيها أحدُ الغُزاة من الغنيمة ، ولم يُحضُره إلى الأمير ؛ ليدخله في القسمة .

والرُّغاء : صوتُ ذوات الخفِّ . **والثُغاء** : صوت الشَّاة . **والرِّقاع** : الثياب . **والصامت** : الذَّهب ، والفضة ، وغيرهما من الجامدات .

وعن أبي حُميد السَّاعديِّ قال : استعمل النبيُّ ـ ﷺ ـ رجلاً من الأزد يقال له : ابن اللُّتْبِيَّة على الصدقة ، فلمَّا قدِم قال : هذا لكم ، وهذا أهديَ إليَّ ، فقام النبيُّ ـ ﷺ ـ على المنبر ، فحمد الله ، ثمَّ أثنى عليه ، ثم قال :

«أما بعدُ ، فإنِّي استعملُ الرجلَ منكم فيقول : هذا لكم ، وهذا أُهديَ إليَّ ، أفلا جَلَسَ في بيت أبيه وأمِّه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟! والله! لا يأخُذُ أحدٌ منكم شيئاً بغير حقٍّ إلاَّ لقيَ الله يحمله يوم القيامة ، فَلأَعْرِفَنَّ رجلاً منكم لقيَ الله يحملُ بعيراً له رُغاء ، أو بقرةً لها خوار[2] ، أو شاةً تَيْعر[3] ، ثم رفع يديه إلى السَّماء فقال : اللَّهم هل بلغت؟!»[4] .

وقال أبو هريرة : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضةً ، غنمنا المتاع ، والطَّعام ، والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ، ومع رسول الله ـ ﷺ ـ عبدٌ له ، وهبه له رجلٌ من جُذام ، فلما نزلنا ؛ قام عبدُ رسول الله ـ ﷺ ـ يَحلُّ رَحْلَه ، فرُمي بسهمٍ كان فيه حَتْفُه[5] ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله! قال : «كلا والذي نفسُ محمَّد بيده! إن الشَّملةَ لتلتهبُ عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر ، ولم تصبها المقاسمُ» .

---

(١) رواه البخاري رقم(٣٠٧٣) . ومسلم رقم . (١٨٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الخوار : صوت البقر .

(٣) تيعَر : أي تصيح . واليعار صوتُ الشاة .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٥٩٧) . ومسلم رقم (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه .

(٥) حتفه : أي هلاكه وموته .

قال: ففزع النَّاس، فجاء رجلٌ بشراكٍ أو شراكين، فقال: «شراك أو شراكان من نارٍ». متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال: كان على ثَقَل النبيِّ - ﷺ - رجلٌ يقال له: كِركرَة، فمات، فقال النبيُّ - ﷺ -: «هو في النَّار»، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءةً قد غلَّها»[2].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ رسول الله - ﷺ - وأبا بكر، وعمر حرّقوا متاع الغالِّ، وضربوه[3].

وعن زيد بن خالد الجهني: إن رجلاً غلَّ في غزوة خيبر، فامتنعَ النبيُّ - ﷺ - من الصلاة عليه، وقال: «إنَّ صاحبكم غلَّ في سبيل الله» ففتشنا متاعه، فوجدنا خرزاً ما يساوي درهمين. أخرجه أبو داود، والنِّسائي[4].

---

(١) رواه البخاري رقم(٦٧٠٧). ومسلم رقم. (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٠٧٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٧١٥). والحاكم (٢/ ١٣٠و١٣١). والبيهقي (٩/ ١٠٢) وقال الحاكم: حديث غريب صحيح ولم يخرجاه. وأقره الذهبي في التلخيص. وضعفه البيهقي في السنن (٩/ ١٠٢) قال: ويقال إن زهيراً وهو ابن محمد هذا مجهول وليس بالمكي: وتعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي على هامش البيهقي: يقول: وقال الحافظ المزي في أطرافه: زهير بن محمد التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو. وقال: ابن أبي حاتم في كتابه: زهير بن محمد التميمي. كان يكون في المدينة ومكة. انتهى كلامه. وظهر بهذا أن زهيراً المذكور في هذا الحديث هو المكي وليس بالمجهول. وانظر فتح الباري (٦/ ١٨٧). وقال الخطَّابي فيما نقله ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٧٢٣): لا أعلم خلافاً بين العلماء في تأديب الغال في بدنه بما يراه الإمام. وأما إحراق متاعه فقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال به. ومنهم من لم يقل به. وإليه ذهب الأكثرون.

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧١٠). وابن ماجه رقم (٢٨٤٨). والنسائي (٤/ ٦٤). والبيهقي في السنن (٩/ ١٠١) من حديث خالد بن زيد الجهني رضي الله عنه. وفي إسناده أبو عمرة مولى زيد بن خالد الجهني مجهول الحال. لم يرو عنه غير محمد بن يحيى بن حبَّان الأنصاري ولم يُعرف توثيقه عن غير ابن حبان. وقال الحاكم رجل معروف بالصدق وأقره الذهبي. وقال الحافظ في التقريب: مقبول وعليه فالحديث حسن بطرقه وشواهده.

وقال ﷺ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاه منكم على عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مخيطاً[1] فما فوقه كان غُلُوْلاً يأتي به يوم القِيامة». أخرجه مسلم في صحيحه»[2].

* * *

(1) مخيطاً: هو الإبرة.

(2) رواه مسلم رقم (١٨٣٣). وأبو داود رقم (٣٥٨١) من حديث عدي بن عميرة الكندي رضي الله عنه.

الكبيرة التاسعة عشرة

الظلم واللَّعن

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١١]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [ابراهيم: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال ﷺ: «إنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١) [هود: ١٠٢].

وقال ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»(٢).

الظلم ثلاثة أقسام:

أحدها: أكل أموال الناس بالباطل:

وهو من الكبائر. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٨٦). ومسلم رقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٤٤٧). ومسلم رقم (٢٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ رجالاً يتخوّضون[1] في مال الله بغير حقٍّ ، فلهم النَّار يوم القيامة». أخرجه البخاريُّ[2] .

وقال ﷺ: «إنَّ دماءكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هـذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت؟». مخرَّج في «الصحيحين»[3] .

وقال ﷺ: «من ظَلم شِبراً من الأرض طُوِّقَهُ إلى سبع أرضين يوم القيامة»[4] . ومعناه: أن يأخذ من أرض جاره شيئاً تعدِّياً وظلماً .

ومعناه في حديث آخر: «ملعون من غيَّر تخوم الأرض»[5] ؛ يعني الحدَّ الذي بينه وبين أرض غيره .

وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠] .

وفي حديث: وديوان لا يترك الله منه شيئاً ، وهو ظلم العباد[6] .

وقال ﷺ: «مَطْلُ الغنيِّ ظلم»[7] . ومعناه: أن يكون قادراً على وفاء دَيْنه ، فيُماطل به ، فيكون ظلماً .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة ، فينادى بـه على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابـن فلانٍ ، من كان له عليه حقٌّ فليأت إلى حقِّه . قال: فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على ابنها ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. فيغفر من حقِّه ما يشاء ، ولا يغفر من حقوق العباد شيئاً ، فيقضي ما عليه من حقوق العباد من حسناته ، فإن

---

(١) يتخوّضون: أي يتصرفون في مال المسلمين بغير حق .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٧) في العلم . ومسلم رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٥٢) . ومسلم رقم (١٦١١) . من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه .
(٥) رواه أحمد في المسند رقم (١٨٧٥ و٢٩١٦) والحاكم (٤/ ٣٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . وإسناده حسن .
(٦) رواه أحمد في المسند رقم (٢٦٠٣١) . والحاكم (٤/ ٥٧٥) . من حديث عائشة رضي الله عنها . وفي إسناده صدقة بن موسى ضعيف . وقد انفرد به . وقال الحاكم: صحيح فتعتبه الذهبي بقوله صدقة ضعفوه .
(٧) رواه البخاري رقم (٢٢٨٧) . ومسلم رقم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فنيت حسناته وبقي طالبون قال: خذوا من سيئاتهم ، فأضيفوا إلى سيئاته ، ثمَّ صكوا به صكاً إلى النَّار.

وقال ﷺ: «مَنْ ظلم مُعاهِداً أو انتقصه ، أو كلَّفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه ؛ فأنا حجيجُه يوم القيامة». أخرجه أبو داود[1].

والمعاهد: الذي له عهد المسلمين ، وأمانتهم ، كاليهوديِّ والنَّصرانيِّ في دار الإسلام. ومن أكبر الظلم اليمين الفاجرة على حقٍّ عليه.

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه ؛ فقد أوجبَ الله له النَّار ، وحرَّم عليه الجنَّة».

قيل: يا رسول الله! وإن كان شيئاً يسيراً؟

قال: «وإن كان قضيباً من أراك». رواه مسلم[2].

ومن ذلك: **أخذ الرشوة في الحكم**:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وعن أبي هريرة وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ لعن الرَّاشي والمرتشي في الحكم. أخرجه الترمذيُّ[3] ، وقال: حديث حسنٌ.

فالراشي: الذي يعطي الرشوة ، والمرتشي: الذي يأخذها ، وهي تُسمَّى: البرطيل على الحكم من أحد الخصمين.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٥٢) وإسناد صحيح.

(٢) رواه مسلم رقم(١٣٧). والنسائي (٨/ ٢٤٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي رقم (١٣٣٦) والحاكم (٤/ ١٠٣). وابن حبان رقم (٥٠٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
ورواه الترمذي رقم (١٣٣٧). وابن ماجه رقم (٢٣١٣): وأبو داود رقم (٣٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال الترمذي: حديث صحيح. وصححه الحاكم (٤/ ١٠٢) ووافقه الذهبي، وهو حديث صحيح.

القسم الثاني من الظلم: ضرب الناس، وتعذيبهم ظلماً:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وعن هشام بن حكيم بن حِزام قال: مررتُ بالشام على أُناسٍ من الأنباط قد أُقيموا في الشمس، وصُبَّ على رؤوسهم الزَّيت، فقلت: ما هذا؟ فقيل: يُعذَّبون في الخراج، فقلت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنَّ الله يُعذِّبُ الذين يعذِّبون النَّاس في الدنيا»(١). أخرجه مسلم.

قوله: الأنباط: هم كالفلاحين المعدِّين لعمارة الأرض.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «يوشك إن طالت بك مدةٌ أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يَغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله»(٢).

وفي رواية قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «صِنفانِ من أهلِ النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلات مميلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمئة عام». أخرجه مسلم في «صحيحه»(٣).

كاسيات عاريات: هو أن تلبس المرأة ثياباً رقاقاً، تصف ما تحتها من بدنها، فهنَّ كاسياتٌ في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة. مائلات: أي: زائغات عن طاعة الله وما يلزمهنَّ من حفظ الفرج. ومميلات: اي: يعلِّمن غيرهنَّ الدُّخول في مثل فعلهنَّ. قوله: رؤوسهنَّ كأسنمة البخت: أي يكبرن عصائبهنَّ، أو بصلة الشعور، أو غير ذلك والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦١٣). وأبو داود رقم (٣٠٤٥) من حديث هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن ذلك: ضرب المملوكين، وتعذيبهم:

قال ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ سيءُ الملكة»(1).

وقال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ ضَربَ غُلاماً له حدّاً لم يأته، أو لطمه، فإنَّ كفارته أن يعتقه». أخرجه مسلم(2).

وعن أبي مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: كنت أضربُ غلاماً لي بالسوط؛ إذ سمعت صوتاً من ورائي يقول: «اعلم أبا مسعود! اعلم أبا مسعود!» فلم أفهم الصوت من الغضب، فالتفتُّ؛ فإذا هو رسول الله - ﷺ - «اعلم أبا مسعودٍ: أنَّ الله أقدرُ منك على هذا الغلام!» فقلت: يا رسول الله! هو حرٌّ لله! قال: «لو لم تفعل لَلَفَحتْكَ النَّارُ - أو: لمسَّتك النار - يوم القيامة». أخرجه مسلم في «صحيحه»(3).

وقال ﷺ: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتُصَّ منه يوم القيامة»(4).

وكان من آخر ما أوصى به النبيُّ - ﷺ - أن قال: «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم(5)، أطعموهم ممَّا تأكلون، واكسوهم ممَّا تلبسون، ولا تكلِّفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم؛ فأمسكوا، وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله، فإنَّ الله ملَّككم إياهم، ولو شاء لملَّكهم إيَّاكم»(6).

ومن ذلك إجاعة الحيوان وتعذيبه:

قال النبيُّ - ﷺ -: «لا يدخل الجنة سيىء الملكة»(7).

---

(1) رواه الترمذي رقم (١٩٤٧). وفي سنده فرقد بن يعقوب السبخي، لين الحديث وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وقد تكلم أيوب السختياني وغير واحد في فرقد السبخي من قبل حفظه.

(2) رواه مسلم رقم (١٦٥٧) في الإيمان. وأبو داود رقم (٥١٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(3) رواه مسلم رقم (١٦٥٩). وأبو داود رقم (٥١٥٩) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(4) رواه البزار رقم (٣٤٥٤ و٣٤٥٥). والطبراني في الأوسط رقم (١٤٦٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٣) وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط. وإسنادهما حسن.

(5) رواه أحمد في المسند رقم (٥٨٥). وأبو داود رقم (٥١٥٦). وابن ماجه رقم (٢٦٩٨) من حديث علي رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(6) رواه بنحوه الطبراني (١٩/ ٤١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٣٧) وقال: رواه الطبراني وفيه عبيد الله بن زحر. وعلي بن يزيد وهما ضعيفان أقول: على بن يزيد منكر الحديث متروك. وابن زحر منكر الحديث يروى الموضوعات عن الأثبات فإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات.

(7) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «كفى بالمرءِ إثماً أن يَحبسَ عمَّن يملك قوتهُ»[1].

وقال ﷺ: «عُذِّبت امرأةٌ في هرَّةٍ حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». مخرَّج في «الصحيحين»[2].

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قتل عُصفوراً عبثاً؛ عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب! إنَّ فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعته». أخرجه النِّسائيُّ[3]. والعجُّ: رفع الصوت.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا مع رسول الله ـ ﷺ ـ في سفرٍ فانطلق رسول الله ـ ﷺ ـ لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً معها فرخان، فأخذناهما، فجاءت الحُمَّرَةَ، فجعلت تُعَرِّشُ[4]، فجاء النبيُّ ـ ﷺ ـ فقال: «من فجع هذه بولدها؟! ردُّوا عليها ولدها»[5].

ورأى قرية نملٍ قد حرقناها فقال: «من حرق هذه» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يُعذِّب بالنَّار إلا ربُّنا». أخرجه أبو داود[6]. والقرية: يعني: مكاناً فيه نمل.

ويدخل في ذلك كراهة إحراق الحيوان كلِّه حيّاً بالنَّار، حتى القملة، والبرغوث. وعن ابن عمر: أنَّه مرَّ بفتيان من قُريش، قد نَصبُوا طيراً أو دجاجةً يترامونها، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله مَنْ فعل هذا، إنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ لعن من اتخذ شيئاً فيه الرُّوح غرضا. مخرَّج في «الصحيحين»[7].

---

(١) رواه مسلم رقم(٩٩٦) وأبو داود رقم (١٦٩٢) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه النسائي (٧/ ٢٣٩) من حديث الشُريد رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٤) يُعَرِّش: عرش الطائر إذا رفرف. وذلك أن يُرخي جناحيه ويدنو من الأرض ليسقط، ولا يسقط.

(٥) رواه أبو داود رقم (٢٦٧٥ و٥٢٦٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٣٩) وأبو داود رقم (٢٦٧٥). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

(٧) رواه البخاري رقم (٥٥١٤ و٥٥١٥). ومسلم رقم (١٩٥٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن القاسم ابن أبي برزة في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. قال: فيؤتى بهم والنَّاس وقوفٌ، فَيقضي بينهم، حتَّى إنَّه ليؤخذ للجمَّاء من القرناء، وحتى يقاد للذرَّة من الذَّرة، ثم يقال لهم: كونوا تراباً. قال: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

وهذا من الدَّليل على القضاء بين البهائم، وبينهما وبين بني آدم، حتى إن الإنسان لو ضرب بهيمةً، أو عذَّبها بغير حقٍّ، أو جوَّعها، أو عطَّشها، فإنها تقتصُّ منه يوم القيامة بقدر ضربه وتعذيبه لها جزاءً.

ويؤيد ذلك حديث المرأة التي حبست الهرَّة حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النَّار. وهو في «الصحيحين»[1].

وفي «الصحيحين»[2] أيضاً: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «بينما رجلٌ يسوق بقرةً؛ إذ ركبها، فضربها، فقالت: إنَّا لم نخلق لهذا! إنما خلقنا للحرث». وفي رواية: «بينما رجلٌ يسوق بقرة له، فدخل عليها، التفتت إليه البقرة، وكلمته، فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا، ولكنِّي إنما خلقت للحرث»[3]. فهذه بقرة أنطقها الله ـ تعالى ـ في الدنيا تدافع عن نفسها بأن لا تؤذى، ولا تستعمل في غير ما خلقت له، فمن كلَّفها غير وسعها، وحمَّلها فوقَ طاقَتها، وضربها بغير حقٍّ، فيومَ القيامة يقضى بينه وبينها، وتقتصَّ منه بقدر ظلمه.

قال أبو سليمان الدَّارانيُّ[4] ـ رحمة الله عليه ـ: ركبت مرَّة حماراً، فضربته من غير حاجة مرتين أو ثلاثاً، فرفع الحمار رأسه إليَّ، وقال: هو القصاص يا أبا سليمان! إن شئت أقلل، وإن شئت استكثر.

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٦٧).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٤٧١) ومسلم رقم (٢٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٣٢٤) ومسلم رقم (٢٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أبو سليمان الداراني. هو الإمام الكبير. زاهد العصر، عبد الرحمن بن أحمد وُلد في حدود الأربعين ومئة. من كلامه (من اشتغل بنفسه شُغل عن الناس. ومن اشتغل بربّه شُغل عن نفسه وعن الناس) توفي سنة (٢١٥) هـ.

القسم الثالث : لعنُ المسلمين ، وشتمهم :

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وقال ﷺ : «لَعنُ المؤمنِ كقتله»[١] .

وقال : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٢] .

وقال ﷺ : «ليس المسلم بطعانٍ ، ولا لعانٍ ، ولا فاحشٍ ، ولا بذيء» . رواه الترمذي[٣] .

قوله : طعان : هو الذي يطعن في أعراض الناس ، ويقع فيهم ، ومنه الطعن في النَّسب ، وهو القدح فيه . والبذيء : هو الفاحش في قوله .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إذا لعنَ العبدُ شيئاً صعِدتِ اللَّعنةُ إلى السَّماء ، فتُغلقُ أبوابُ السَّماء دونها ، ثمَّ تأخذُ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تجد مساغاً ؛ رجعت إلى الذي لُعِنَ ، فإذا كان لذلك أهلاً ؛ وإلا رجعت إلى قائلها» . أخرجه أبو داود[٤] .

وقال ﷺ : «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسقِ أو بالكفر إلا ارتدَّت عليه ؛ إن لم يكن صاحبه كذلك» . أخرجه البخاريُّ[٥] .

وقال ﷺ : «من رمى مسلماً بشيءٍ يريد شينه به ، حُبِسَ يوم القيامة على جسرٍ من جسور جهنم ، حتَّى يخرج ممَّا قال» . أخرجه أبو داود[٦] .

قوله : شَينهُ : يعني : عيبه .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٤٧) . ومسلم رقم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٠٤٤) . ومسلم (٦٤و١١٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢٨٣٩) . والترمذي رقم (١٩٧٨) . والحاكم (١/ ١٢) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٩٠٥) . وأحمد في المسند رقم (٣٨٧٦) . وهو حديث حسن .

(٥) رواه البخاري رقم (٦٠٤٥) . من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٦) رواه أبو داود رقم (٤٨٨٣) من حديث معاذ بن أسد الجهني رضي الله عنه وهو حديث حسن .

وقال ﷺ: «المتسابان ما قالا؛ فعلى الأول». وفي رواية: «فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم». أخرجه مسلم[1].

وقال ﷺ: «لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا». أخرجه البخاريُّ[2].

وفي «صحيح مسلم»[3] عن النبي ﷺ: أنَّه قال: «أَتدرونَ من المفلس» قالوا: المفلس فينا مَنْ لا دِرهم له ولا متاع. فقال: «إنَّ المفلس مِنْ أمتي مَنْ يأتي بصلاةٍ، وزكاةٍ، وصيامٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه؛ أُخذ من خطاياهم، فطرح عليه، ثمَّ طرح في النَّار».

ومن الظلم أن يستعمل إنساناً في عملٍ، ولا يعطيه أجرته:

روى البخاريُّ في «صحيحه»[4] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «قال الله عزَّ وجلَّ: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجلٌ باع حرّاً، فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى، ولم يعطه أجره».

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨٧). وأبو داود رقم (٤٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري رقم (١٣٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) رواه مسلم رقم (٢٥٨١). والترمذي رقم (٢٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري رقم (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة العشرون

نقصُ الكيل والوزن والذّرع

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١ـ٣]. المعنى إذا اكتالوا لأنفسهم؛ يستوفون، وإذا كالوا للنّاس أو وزنوا لهم؛ يُخسرون، معناه: يُنقصون. ثم قال تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ معناه: ألا يستيقن ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ أي: يُخرجون من قبورهم، ويجمعون ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ثمَّ فسَّره، فقال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

قال نافع: كان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يمرُّ بالبائع، فيقول: اتَّق الله، وأوف بالكيل، وبالوزن، فإنَّ المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق يلجمهم في أنصاف آذانهم.

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يقوم النَّاس لربِّ العالمين، حتَّى يغيبَ أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[(١)].

وقال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، ادنيت الشمس من العباد، حتى تكون قِيْدَ ميْلٍ أو اثنين». قال سُلَيْمُ الأزديُّ: لا أدري أيَّ الميلين عَنى: مسافة الأرض، أو الميل؛ الذي تُكحلُ به العين. قال: «فتَصْهَرُهمُ الشَّمْسُ، فيكونون في العرق على قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى عقبه، ومنهم من يأخذه العرق إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً». قال الرَّاوي: فرأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يشير بيده إلى فيه، يقول «ألجمه إلجاماً»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٣١). ومسلم رقم (٢٨٦٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٦٤). والترمذي رقم(٢٤٣٢) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «يعرق النَّاس يوم القيامة، حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم». مُخَرَّج في «الصحيحين»[1].

فاستشعر لنفسك أيها الظالمُ لنفسه بمعصية الله، ولعباد الله بأخذ أموالهم بالخيانة والسَّرقة؛ ماذا يكون حالك اليوم، وأنت واقفٌ في هذا العرق الذي قد ألجمك مع شدَّة حرِّه مِنْ دنوِّ الشمس إليه، ومن شدة نتنه من ازدحام الخلائق، في يوم كان مقداره ألف سنةٍ، يوم يتعلَّق المظوم بالظالم، ويقتصُّ منه، ويأخذ من حسناته بقدر ما أخذ منه وما ظلمه، فإن لم يكن للظالم حسناتٌ؛ أُخذ من سيِّئات المظلوم، وحمل على الظالم. فكلُّ من أعطى ناقصاً في كيله، أو وزنه، أو ذرعه، كان ظالماً، سارقاً وخائباً مستحقٌ لعذاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلا أن يتوب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وروي عن مالك بن دينار[2] ـ رحمة الله عليه ـ: أنَّه دخل على جارٍ له قد حضره الموت، فقال الرَّجل: يا مالك! جَبَلان من النَّار بين يديَّ أُكلَّف الصعود عليهما. فسألت عنه أهله: ما كان يعمل؟ قالوا: كان له مكيالان، يكيل بأحدهما للناس ناقصاً، ويكتال بالآخر لنفسه زائداً. فقلت: ايتوني بهما. فأتوا بهما، فكسرتهما، ثم سألته عن حاله؛ فقال: ما يزداد الأمرُ عليَّ إلا شدَّةً، ثم مات. هذه عقوبة الخائنين.

وقد روي عن بعضهم: أنَّه صلى على مُخنَّث، فقيل له: إنَّه كان فاسقاً. فسكت. وأُعيد عليه، فقال: كأنَّك قلت لي: كان صاحب ميزانين يعطي بأحدهما، ويأخذ بالآخر. أشار بذلك إلى أن فسق المخنث بينه وبين الله، وصاحب الميزان أو الكيل إذا نقص فيه؛ كان مِنْ مظالم العباد، وظلم العباد أعظم، والعفو فيه أبعد، والتشديد في الميزان أعظم.

وفي قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٣٢). ومسلم رقم (٢٨٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مالك بن دينار. عَلَم العلماء الأبرار. معدود في ثقات التابعين. ومن أعيان كتبة المصاحف. ولد في أيام ابن عباس. وسمع من أنس بن مالك توفي رحمه الله سنة (١٢٧) هـ).

﴿تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨ ـ ٩]. أقيموا لسان الميزان بالقسط؛ أي: بالعدل؛ فإنَّ الرجحان والنقصان يظهر بميله.

فقد روي عن بعض السَّلف أنَّه كان يقول: ليس الذَّاكر لله مَنْ قال: سبحان الله فحسب، إنَّما الذَّاكر لله؛ الذي يجلسُ في السوق، فإذا أخذ بذؤابة الميزان علم أنَّ له ربّاً مطلعٌ عليه، يحاسبه على القليل والكثير، والفتيل والنَّقير، فخافه، ولم يأخذ إلا حقاً، ولم يعط إلا حقّاً.

فهذا الذي يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٩ـ٤٠].

قال الزَّجَّاج[١]: إنما سُمِّيَ الذي ينقص الكيل أو الوزن أو الذرع مطفف؛ لأنَّه لا يكاد يسرق إلا الشيءَ الطفيف اليسير. والويل الذي وعده الله هو شدَّة العذاب.

وقيل: وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من حرِّه. كان بعض الصالحين يقول: لا أشتر الويل من الله بحبَّةٍ، فكان إذا أخذ لنفسه، يأخذ نقص حبةٍ، وإذا أعطى غيره زاد حبَّةً، وكان يقول: ويلٌ لمن يبيع بحبَّة جنَّةً عرضها السَّموات والأرض! وما أخسر من باع طوبى بويل!.

وقد اشترى رسول الله ـ ﷺ ـ من رجلٍ شيئاً، فلمَّا أعطاه الثَّمن؛ قال للوازن: «زن وأَرْجحْ»[٢].

ونظر الفضيل بن عياض يوماً إلى ابنه وهو يغسل ديناراً يُريد أن يبيعه، ويزيل عنه الوسخ؛ لئلاَّ يزيد وزنه بسبب الوسخ، فقال له: يا بني! فعلك هذا أفضل من عشرين حجَّةً.

فينبغي للخائف من عذاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يأخذ حذره من الشيطان أن يزيِّن له المعصية، ويأمره أن يكيل ناقصاً، أو يزن ناقصاً، أو يذرع ناقصاً، فيستحقَّ الويل من الله، نعوذ بالله منه، وهو شدَّة العذاب. فماأخسر من باع حظَّهُ من الله بحبةٍ،

---

(١) الزجاج الإمام، نحوي زمانه. أبو إسحاق. إبراهيم بن محمد بن السَّري الزجاج البغدادي. مصنف كتاب (معاني القرآن) توفي رحمه الله (٣١١) هـ.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٠٩٨). والطيالسي رقم (١١٩٢). وابن ماجه رقم (٢٢٢٠) وأبو داود رقم (٣٣٣٦). من حديث سويد بن قيس. وإسناده حسن.

واشترى الويل بحبَّةٍ. وينبغي له أيضاً أن يعتبر صحة ميزانه وسنجه بَعْدَ كلِّ مدَّةٍ؛ لئلا يكون حدث فيه عيبٌ وهو لا يشعر، فيدخل عليه الحرام وهو لا يشعر.

وقد ذُكر عن بعضهم أنَّه قال: حضرت صاحباً لي وهو في حالة النَّزع، فجعلت أُلقنه الشهادة، وهو لا ينطق بها، ثمَّ أفاق، فقلت له: مالي أُذكِّرك بالشهادة، ولا تنطق بها؟ فقال: لسان الميزان على لساني، يمنعني من النطق بها. فقلت له: أكنت تزن ناقصاً؟ قال: لا والله! ولكني كنت أقف مدةً لا أعتبر صحة الميزان. فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، أُمسكَ لسانه عن الشهادة، فكيف حال من يزن ناقصاً؟! فلا حول ولا قوّة إلاَّ بالله، ونسأل الله العفو والعافية إنَّه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيم.

* * *

الكبيرة الحادية والعشرون

السَّرقة

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لعن الله السَّارق يسرق الحبل فتقطع يده»[١].

وقال ﷺ: «لا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن»[٢].

وقال ﷺ: «إنَّما هنَّ أربع: ألاَّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النَّفس التي حرَّم الله إلا بالحقِّ، ولا تزنوا، ولا تسرقوا»[٣].

قال العلماء: ولا ينفع السَّارق التوبة إلاَّ بأن يردَّ ما سرقه لأصحابه، فإن كان قد أفلس؛ تحلَّل من صاحب المال، ويسأله العفو عنه.

اللهم اعف عنَّا يا كريم.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٧٨٣). ومسلم رقم (١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٥٧٨). ومسلم رقم (٥٧/ ١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٨٩٨٩). والحاكم (٤/ ٣٥١). والطبراني في الكبير رقم (٦٣١٢). من حديث سلمة بن قيس رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

الكبيرة الثانية والعشرون

قطع الطَّريق

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٣].

فبمجرد إخافة السبيل هو مرتكب الكبيرة ، فكيف إذا أخذ المال؟! فكيف إذا جرح ، أو قتل ، أو أخذ المال مع ما هم عليه من ترك الصَّلاة ، وإنفاق ما يأخذونه في الخمر ، والزنى؟!

فنعوذ بالله من شرور الفسَّاق ، ومن سيئات أعمالنا ، إنَّه جوادٌ كريم.

* * *

الكبيرة الثالثة والعشرون

اليمين الغموس

قال الله ـ عزّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النَّفس، واليمين الغموس». أخرجه البخاريُّ[١].

واليمين الغموس: هي التي يَتعمَّد فيها الكذب؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم. وقيل: تغمسه في النَّار.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: المسبِّل إزاره، والمنَّان، والمنفق سلعته بالْحَلِفِ الكاذب». أخرجه مسلم في «الصحيح»[٢].

قوله: «المسبِّل» هو الذي يُسَبِّل إزاره إذا مشى تكبُّراً وفخراً. وفي معناه الذي يسبل سراويله إلى تحت كعبيه عجباًوفخراً.

والمنَّان: الذي يمنُّ بعطيته، وصنيعه، وصدقته.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة،

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٦٧٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٢١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ولا ينظرُ إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذابٌ أليم : رجلٌ على فضل ماءٍ بطريقٍ يمنعه ابن السبيل - يعني : يمنعه عن عابر الطريق من مسافرٍ وغيره ممَّن هو يحتاج إليه - ورجلٌ بايع رجلاً بسلعته ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا ، فصدَّقه وأخذها وهو على غير ذلك . ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلاَّ لدنيا ، فإن أعطاه منها ما يريد وفَّى له ، وإن لم يعطه لم يَفِ» . مخرَّج في «الصحيحين»(١) .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «مَنْ حلف على مال امْرئٍ مسلمٍ بغير حقِّه ؛ لقي الله وهو عليه غضبان» قال عبد الله : ثمَّ قرأ علينا رسول الله - ﷺ - مصداقه من كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا . . . ﴾ [آل عمران : ٧٧] إلى آخر الآية . مخرَّج في «الصَّحيحَين»(٢) .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - : أنَّ رسول الله - ﷺ - قال : «مَنِ اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه ؛ حرَّم الله عليه الجنَّة ، وأوجب له النَّار» قالوا : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ! قال : «وإن كان قضيباً من أراك» . أخرجه مسلم(٣) .

قال ﷺ : «مَنْ حلف على يمينٍ مصبورة كاذباً فليتبوَّأ مقعده من النار» . أخرجه أبو داود(٤) .

قوله : «مصبورة» : يعني : لازمةٌ لصاحبها مِنْ جهة الحكم . وقيل : اليمين المصبورة وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور ؛ لأنه إنَّما صبر من أجلها ، فأضيف الصبر إليها مجازاً واتِّساعاً .

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٥٨) ورقم (٢٦٧٢) . ومسلم رقم (١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٥٦ و٢٥١٥) . وأبو داود رقم (٣٢٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم رقم (١٣٧ و٢١٨) . والبغوي في شرح السنة رقم (٢٥٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود رقم (٣٢٤٢) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه . إسناده صحيح .

الكبيرة الرابعة والعشرون

الحلف بغير الله

عن نافع: أنَّ ابن عمر سمع رجلاً يقول: لا والكعبة! فقال له: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «مَنْ حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك». أخرجه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ[1].

وقال بعض الحفاظ: إسناده صحيحٌ على شرط مسلم.

وقال ﷺ: «مَنْ حلف بالأمانةِ، فليس منَّا». أخرجه أبو داود[2].

وقال ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ إلا وأنتم صادقون». أخرجه أبو داود، والنسائيُّ[3].

وقال ﷺ: «مَنْ حلف بملَّةٍ غير الإسلام كاذباً، فهو كما قال». أخرجه أبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ[4].

وقال ﷺ: «مَنْ حلف، فقال: إنِّي بريءٌ من الإسلام، فإن كان كاذباً؛ فهو كما

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٢٥١). والترمذي رقم (١٥٣٥). الحاكم (١/١٨) وصححه ووافقه الذهبي وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٢٥٣) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٢٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أبو داود رقم (٣٢٥٧). وابن ماجه رقم (٢٠٩٨). من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

قال ، وإن كان صادقاً؛ فلن يرجع إلى الإسلام سالماً». أخرجه أبو داود والنِّسائيُّ[1].

قوله: «فهو كما قال» معناه: أن يقول الإنسان في حلفه: إن كان كذا وكذا فهو كافر ، أو يهوديٌّ ، أو نصرانيٌّ ، أو هو بريءٌ من الإسلام؛ فإن كان كاذباً؛ فهو كما قال ، وإن كان صادقاً؛ فلن يرجع إلى الإسلام سالماً. وهذه يمين الجهَّال. وكذلك مَنْ حلفَ ، فيقول: وحقِّ الدِّين المقسوم ، أو: وحقِّ مُقسِّم الأديان؛ فهذه اليمين بدعةٌ وجهلٌ؛ فإنَّ ما لله دينٌ سوى دين الإسلام.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]. فمنْ قال: والدِّين المقسوم؛ فقد أقسم بدين الكفر ، وهذا من أعظم الجهل والضلال ، ولولا جهل قائله؛ لكان إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان.

وأقبح مِنْ هذا مَنْ يدعو من جهلة المسلمين لمن يحتاج إليه من أهل الذمة فيقول: الله يُميتك على دينك ، واللهُ يُنجيك في دينك ، ونحو هذا. وأقبح من هذا أن يدعو على من يُعاديه من المسلمين أن يُسْلَبَ الإسلام ، أو أن يموتَ على غير الإسلام. فهذا أعظم الإثم والعدوان ، وهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان ، فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) رواه أبو داود رقم (٣٢٥٨). وابن ماجه رقم (٢١٠٠) من حديث بريدة رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

الكبيرة الخامسة والعشرون

الكذب في غالب أقواله

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [المؤمن: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]. أي: لُعِنَ الكذابون.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار، ولا يزالُ الرَّجل يكذب، ويتحرَّى الكذب حتَّى يُكتَبَ عند الله كذَّاباً». رواه البخاريُّ، ومسلمٌ[1].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[2].

وقال: «أربعٌ مَنْ كنَّ فيه كان منافقاً، ومن كان فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كان فيه خَصْلَةٌ من النِّفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». رواه البخاريُّ، ومسلم[3].

وقال ﷺ: «من تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لم يَرَهُ كُلِّف أن يعقدَ بين شعرتين يوم القيامة، ولن يفعل»[4].

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٩٤). ومسلم رقم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٣). ومسلم رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٣٤). ومسلم رقم (٥٨) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري رقم (٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال: «إنَّ أفْرى الفِرى أن يُرِيَ الرَّجُلُ عينيه ما لم تريا». رواه البخاري[1]. ومعناه: أن يقول: رأيتُ في النَّوْم كذا وكذا، ولم يكنْ رأى شيئاً.

وقال ﷺ: «إذا كذب العَبْدُ؛ تباعد عنه الملَكُ ميلاً من نتن ما جاء به». أخرجه الترمذيُّ[2].

وعن صفوان بن سليم قال: قيل: يا رسول الله! أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم» قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم» قيل: أيكون المؤمن كذَّاباً؟ قال: «لا» أخرجه مالك في الموطَّأ[3].

وقال ﷺ: «يُطبع المؤمن على كل شيء، ليس الخيانة والكذب»[4].

وفي حديث منام النبيِّ - ﷺ - الذي أخرجه البخاريُّ[5]، وفيه: «وأمَّا الرَّجل الذي يُشرشر شِدقَه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه؛ فإنَّه الرَّجل يغدو من بيته، يكذب الكذبة تبلغُ الآفاق».

وقال ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكلِّ ما سمع»[6].

وقال ﷺ: «ويلٌ للذي يُحدِّث بالحديث ليضحك به القوم، فيكذب! ويل له! ويل له!» أخرجه أبو داود، والترمذيُّ، وقال: حديث حسن[7].

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٠٤٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٧٩) وفي حلية الأولياء (٨/ ١٩٧). وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٢١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وفي سنده عبد الرحيم بن هارون الغساني ضعيف.

(٣) رواه مالك في الموطأ(٢/ ٩٩٠) مرسلاً. وقال أبو عمر بن عبد البر لا أحفظه مسنداً من وجه ثابت. هو حديث مرسل حسن أقول: وقد روى بمعناه مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أشبه، وانظر الترغيب والترهيب (٤/ ٣٨).

(٤) رواه البزار (١٠٢). وأبو يعلى رقم (٧١١). والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٥٨٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨٠) وقال: رواه البزار وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٥) رواه البخاري رقم (٧٠٤٧). والبغوي رقم (٢٠٥٣) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم رقم (٥) في المقدمة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) رواه أبو داود رقم (٤٩٩٠). والترمذي رقم (٢٣١٦) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وهو حديث حسن.

وقال ﷺ: «كَبُرت خيانةً أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت له به كاذب». أخرجه أبو داود[1].

وعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله - ﷺ - في بيتنا؛ قالت: ها تعال أُعطيكَ! فقال لها رسول الله - ﷺ -: «ما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله - ﷺ -: «أما إنَّك لو لم تعطيه شيئاً؛ كُتبت عليك كذبةٌ». أخرجه أبو داود[2].

وقال ﷺ: «إياكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث». رواه البخاريُّ، ومسلمٌ[3].

* * *

---

(1) رواه أبو داود رقم (٤٩٧١) من حديث سُفيان بن أَسِيد الحضرمي رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف.

(2) رواه أبو داود رقم (٤٩٩١). وأحمد في المسند رقم (٣/ ٤٤٧) من حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه ، وإسناده حسن.

(3) رواه البخاري رقم (٥١٤٣). ومسلم رقم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة السادسة والعشرون

في القاضي السوء

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

روى مسلم في «صحيحه»[١] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا يقبل الله صلاةَ حاكم حكم بغير ما أنزل الله».

وصحَّ أيضاً من حديث بريدة عن النبي ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «قاضٍ في الجنَّة وقاضيان في النَّار؛ قاضٍ عَرَفَ الحقَّ، فقضى به؛ فهو في الجنَّة، وقاضٍ عَرَفَ الحقَّ فجارَ مُتعمِّداً؛ فهو في النار، وقاضٍ قضى بغير علمٍ، فهو في النار»[٢].

وروى شريك عن الأعمش، عن سعيد بن عبيدة، عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: قاضيان في النَّار، وقاضٍ في الجنة...» وذكر الحديث. قالوا: فما ذنب الذي جهل؟ قال: «ذنبه ألا يكون قاضياً حتى يعلم»[٣].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٨٩) وصححه. وقال الذهبي في التلخيص: إسناده مظلم. وفيه عبد الله بن محمد العدوي متهم. ولم يروه مسلم كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٥٧٣). وابن ماجه رقم (٢٣١٥) وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الترمذي رقم (١٣٢٢). والحاكم (٤/ ٩٠). واللفظ له وصححه الحاكم. وقال في التلخيص: صحيح من حديث بريدة رضي الله عنه. =

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: إسناده قويٌ.

وأقوى منه حديث معقل بن سنان عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من أحد يكون على شيءٍ من أمور هذه الأمة ، قلَّت أو كثرت ولا يعدل إلا كبَّهُ الله في النَّار»[1].

قال: وفي حديث إسناد جيد: أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «مَنء جُعِلَ قاضياً؛ فقد ذُبح بغير سكين»[2].

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: وإذا اجتمع في القاضي قلَّةَ علم ، وسوء قصد ، وأخلاق زعرة ، وقلة ورع؛ فقد تمَّت خسارته ، ووجب عليه أن يَعزلَ نفسه ، ويُبادر بالخلاص من النَّار.

وقد تقدَّم ما رواه الترمذيُّ في «جامعه»[3] وصحيحه: أن النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم.

* * *

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٠) بلفظ «ما من أحدٍ يكون على شيءٍ من أمور هذه الأمة. قلَّت أو كثرت فلا يعدل فيهم إلا كبَّه الله في النار» وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٥٧١ و٣٥٧٢). والترمذي رقم (١٣٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.
(ذُبح بغير سكين) معنى هذا الكلام. التحرز من طلب القضاء. والحرص عليه ، يقول: من تصدى للقضاء. فقد تعرض للذبح فليحذره. جامع الأصول (١٠/ ١٦٦). والبحث طويل وهام فراجعه.

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٥٨٠). والترمذي رقم (١٣٣٧). وابن ماجه رقم (٢٣١٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح ، وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
الراشي الذي يُعطى الرشوة. والمرتشي الذي يأخذها. وقال الإمام البغوي: الرشوة: ما يُعطى لإبطال حق. أو لإحقاق باطل. فيعطى الراشي لينال باطلاً.

الكبيرة السابعة والعشرون

القوّاد والمستحسن على الأهل والزَّوجة

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

ذهب بعض العلماء إلى أنَّ حكم هذه الآية ثابت، وأن الزانية يحرم تزويجها؛ لئلا تحمله محبتها على الصبر عليها مع زناها، فيقع في المعصية.

ويدخل في قول النبي ـ ﷺ ـ: «ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوثُ، ورَجُلَةُ النِّساء». إسناده صحيح[1].

وعن عبد الله بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «خلقَ الله تبارك وتعالى ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثمَّ قال: وعزَّتي! لا يدخلها مدمن خمرٍ، ولا الدَّيوث».

قالوا: يا رسول الله! قد عرفنا مدمن الخمر؛ فما الدَّيوث؟

قال: الذي يقرُّ السُّوء في أهله». أخرجه الحافظ الضِّياء في صفة الجنة[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٤). والنسائي (٥/ ٨٠). والبزار رقم (١٨٧٥) وصححه الحاكم (١/ ٧٢) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤٨) رواه البزار بإسنادين ورجالهما ثقات. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٤٠٣). وقال البيهقي: هذا مرسل، وكأنه مال إلى تضعيفه بقوله (إن ثبت). وفي صفة الجنة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني رقم (٢٣) مختصراً. أقول. وهو حديث مرسل لأن عبد الله بن الحارث بن نوفل رجَّح العلائي عدم صحبته وعدم رؤيته. وقال حديثه مرسل قطعاً. (جامع التحصيل) (٣٤٤). =

وهذا وعيدٌ شديدٌ بحرمان الجنة كما ترى لِمَنْ يتحقَّق الفاحشة في أهله، ويتغافل على ذلك، فإن كان قد جمع الدِّيَاثَةَ، وشرب الخمر، وأكل الحرام؛ الذي قال فيه النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة جسدٌ غذي بحرام»[1]. فهذا لا ريب في هلاكه إلاَّ أن يتوب إلى الله. فنسأل الله العفو، والعافية، والتوبة.

وقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله». حديث صحيح[2].

فقد أخبر النبيُّ ـ ﷺ ـ: أن المؤمن يغار، فمن لا يغار؛ لا يكون مؤمناً، ولا خير فيه، ولا ينتفع بصلاته، ولا بصيامه، ما دام مصراً على ذلك، إلاَّ أن يتوب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وروي عن وهب بن منبِّه[3] ـ رحمه الله ـ: أنَّه قال: مكتوبٌ في التوراة: أنَّ الزاني لا يموت حتى يفتقر، وأنَّ القوَّاد لا يموت حتى يعمى. فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، إنَّه جوادٌ كريم.

فصل

ويَقرُبُ من ذلك مَنْ يُمَكِّنُ زوجته أو ابنته أو أخته من التبهرج والخروج في الأسواق والفرج بزيِّ التبهرج ولبس الحُلِيِّ والحُلَلِ حتى تبقى فتنةً لمن رآها لو مرَّت عليه، فيبورُ الرَّجل بإثمه وإثمها. كما تقدَّم من قول النبيِّ ـ ﷺ ـ: «ألا هلك الرِّجال حين أطاعوا النِّساء»[4].

= وفي إسناده أيضاً أبو معشر. واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف كما في التقريب.

(١) رواه أبو يعلى رقم (٨٣). والبزار رقم (٣٥٦٠) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وفي إسنادهما عبد الواحد بن زيد البصري. ضعيف وشيخه فرقد السبخي لين الحديث.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٢٣). ومسلم رقم (٢٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن كبار. الإمام العلامة الأخباري القصصي: أبو عبد الله (الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني مولده في زمن عثمان رضي الله عنه سنه أربع وثلاثين ورحل وحج. وأخذ عن ابن عباس والنعمان بن بشير، كان على قضاء صنعاء. وقد امتحن، وحُبس وضُرب. توفي رحمه الله سنة (١١٠) هـ وقيل غير ذلك.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٢٠٤٥٥). والحاكم (٤/ ٢٩١). والبزار رقم (٣٦٩٢). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. أقول: في اسنادهما بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة الثقفي قال ابن =

وقال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ: أما يَغار أحدُكم يدعُ امرأته تخرج إلى السُّوق تزاحم العلوج؟! أما تغارون؟ إنَّه لا خير فيمن لا يغار.

وروي: أنَّ امرأة إبراهيم النَّخعيِّ[1] استأذنته في زيارة قوم، فأذن لها، فلبست ثيابها، وتهيَّأت، فوجد منها ريحاً طيِّبة، ولبساً حسناً، فقال: ما أنتِ بخارجةٍ، أو ببارحةٍ!

فقالت: سبحان الله! أذنتَ لي حتى تهيَّأتُ، ولبستُ، ثمَّ تنهاني!

فقال: إنَّك عمدتِ إلى نفسك فصيرتيها شرارة لتفتني الناس، ما أنت ببارحة، ومنعها، فلم تخرج.

وقال الحسن البصريُّ ـ رحمه الله ـ: ما أصبح رجلٌ يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبَّه الله في النَّار.

فمن الأفعال الَّتي تُلعن عليها المرأة إظهارُها الزينة، والذَّهب، واللؤلؤ مِنْ تحت النِّقاب، وفي يديها، وتطيبها بالمسك والعنبر، ونحو ذلك، وإرخاؤها العصائب، والعقوص حتى يبدو من تحت الإزار من ورائها، ولبسُها الصباغات والمداس إلى ما أشبه ذلك من الفضائح.

ولهذا قال عنهنَّ النبيُّ ـ ﷺ ـ: «اطلعتُ في النَّار، فرأيتُ أكثرَ أهلها النِّساء»[2]. وما ذاك إلاَّ لِقِلَّة دينهنَّ، وكثرة شرِّهنَّ، والفتنة بهنَّ».

وقال عنهنَّ أيضاً: «ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النساءِ»[3].

وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «رأيت النَّار ليلة أسري بي، ورأيت فيها نساءً

= معين: ليس بشيء. وقال ابن عدي: هو من جملة الضعفاء الذين يُكتب حديثهم. وذكره العقيلي في الضعفاء.

(١) ابراهيم النخعي. هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران أحد الأعلام كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبى في زمانهما. وكان رجلاً صالحاً فقيهاً قليل التكلف توفي سنة (٩٦) هـ وهو مختف من الحجاج.

(٢) رواه البخاري رقم (٥١٩٨). والترمذي رقم (٢٦٠٣) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٠٩٦). ومسلم رقم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

باكياتٍ بحرقةٍ ، محزوناتٍ ينادين بالعويل ، فلا يُجبْنَ ، ويتضرَّعْنَ؛ فلا يُرْحَمْنَ ، فقلت: يا جبريل! مَنْ هؤلاء؟ فقال: هؤلاء اللَّواتي يزيِّنَّ أنفسهنَّ للمتعة لغير أزواجهنَّ.

ورأيت نساءً عليهنَّ سرابيل من قطران ، وفي أعناقهنَّ سلاسل من نارٍ ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: المستخفِّات بأزواجهنَّ ، وكنَّ يسألن أزواجهنَّ الطَّلاق فيما لا بأس به.

ورأيت رجالاً مستلقين على وجوههم ، وعليهم صخر من نارٍ ، والملائكة يضربونهم بمقامع من نارٍ ، فقلت مَنْ هؤلاء؟ فقال: الذين يأتون الصبيان شهوةً من دون النِّساء.

ورأيت رجالاً مصفَّدين في النَّار ، قد استوت وجوههم ، وطُوِّقت أعناقهم بحيَّاتٍ تلذعهم ، فتهري لحومهم ، ثم تعود خلقاً جديداً ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: الذين يكنزون الذهب والفضَّة ، ولا ينفقونها في سبيل الله.

ورأيت أقواماً بين أيديهم لحم نضيج طيب ، ولحم خبيث ، وهم يأكلون الخبيث ، ويتركون الطَّيِّب ، فسألت عنهم ، فقال: هم الذين يتركون أزواجهم ، ويزنون من الرِّجال والنِّساء.

ورأيت رجالاً ونساءً قد رُدَّت أقبالهم في أدبارهم ، وأدبارهم في أقبالهم ، ومقامع الحديد تختلف عليهم ، والملائكة تعذِّبهم ، وكلَّما ضُرب أحدهم التهب جسمه ناراً ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: الذين يتكبَّرون على النَّاس بغير حقٍّ.

ورأيتُ رجالاً ونساءً تدخل النَّار في أدبارهم وتخرج من أفواههم ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: همُ الغمَّازون ، والنمَّامون.

ورأيت رجالاً ونساءً يُرْمَوْنَ بشهبٍ من نارٍ ، فتشكُّ في أفواههم وأبصارهم ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقال: أهل البهتان؛ الَّذين يبهتون النَّاس ، ويرمونهم بما ليس فيهم.

ورأيت نساءً معلقاتٍ بثُديُهُنَّ في شجر الزَّقوم ، يصبُّ الحميم على رؤوسهنَّ ، فقلت: مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء اللَّواتي يشْرَبْنَ الأدوية حتى يقتلْنَ أولادهنَّ في بطونهنَّ.

ورأيت نساءً مقيَّدات بقيودٍ من نار ، قد التجمت أفواههنَّ ، مكبولات ، فقلت : مَنْ هؤلاء؟ قال : النائحات ، والمغنِّيات .

ورأيت نساءً معلقاتٍ مغلغلاتٍ بأغلالٍ من نارٍ ، في أعناقهنَّ حيَّاتٌ ، فقلت : مَنْ هؤلاء؟ فقال : اللواتي يأخذن أموال أزواجهنَّ بغير إذنهم .

ورأيت قوماً تخرج النَّار مِنْ أفواههم وأدبارهم فلت : مَنْ هؤلاء؟ فقال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

ورأيت قوماً يُسْقَوْن من الصَّديد والقيح ، فإذا حصل في بطونهم؛ تمزَّقت جلودهم عن أبدانهم ، ثم يعودون خلقاً جديداً ، فقلت : مَنْ هؤلاء؟ قال : الذين يشربون الخمور في الدَّنيا .

ورأيت نساءً معلقاتٍ بكلاليب مِنْ نارٍ ، والحيَّات تنهش لحومهنّ ، وهنَّ يستغثن ، فلا يُغثن ، فقلت : مَنْ هؤلاء؟ فقال : المترجلات المتزينات لغير أزواجهنَّ .

ورأيت من النَّار وأهوالها وعذابها ما لا يقوم الحديد بيسيره قال : وأكثر أهلها النِّساء»[1] . فلا حول ، ولا قوَّة إلا بالله . فنسأل الله العفو والعافية ، ونعوذ به من النَّار ، وَمِنْ كلِّ عملٍ يُقرِّب إلى النار ، إنَّه جوادٌ كريمٌ ، رؤوف رحيم .

* * *

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وفي إسناده أبو هارون العبدي . عمارة بن جوين . ضعفه شعبة . وقال البخاري تركه القطان . وقال : النسائي والحاكم متروك . والحديث ضعيف جداً .

الكبيرة الثامنة والعشرون

الرَّجُلَةِ مِنَ النِّساء ، والمخنَّثُ مِنَ الرِّجال

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ .

وقال ابن عباس : «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المخنَّثين من الرِّجال ، والمترجِّلات من النِّساء» . صحيح[1] .

وعن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال : «لعن الله الرَّجُلَةَ من النساء» إسناده حسن[2] .

وقال أبو هريرة «لعن رسول ـ ﷺ ـ الرَّجلَ يلبسُ لِبْسَةَ المرأةِ ، والمرأةُ تلبس لِبْسَةَ الرَّجل» . إسناد صحيح[3] .

وقال ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر ، يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات ، مائلات مميلاتٌ رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» . أخرجه مسلم في «صحيحه»[4] ، وتقدَّم شرحه .

وقال ﷺ : «ألا هلك الرِّجال حين أطاعوا النِّساء»[5] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
المخنَّث من الرجال هو من تشبه بالنساء في حركاته وكلامه وغير ذلك من الأمور المختصة بالنساء . المترجلات من النساء أي المتشبهات بالرجال بالزي والهيئة والقول والفعل .

(٢) رواه الحميدي رقم (٢٧٢) . وأبو داود رقم (٤٠٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها . وإسناده حسن .

(٣) رواه أبو داود رقم (٤٠٩٨) . وابن حبان رقم (١٤٥٥) موارد والحاكم (٤/ ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وإسناده صحيح .

(٤) رواه مسلم رقم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) تقدم تخريجه .

فصـل

في الأفعال التي تُلعن عليها المرأة إظهارها زينة الرِّجال وزيَّهم حين تخرج عروساً ، تلبس لبس الرجال من العمامة ، والكلونة ، فتلعن بذلك ، ومَنْ ساعدها عليه ، ومِنْ أعارها ذلك ؛ لكونه معيناً على المعصية .

ولعـن النبيُّ - ﷺ - في الخمر عشرةً ، ومنهم حاملها وعاصرها لكونـه إعانه على المعصية . فكل امرأةٍ لبست زيَّ الرِّجال أو رجلٍ لبس زي النساء ؛ فعليهم اللعنة من الله .

كما تقدَّم من قول أبي هريرة : «لعن رسول الله - ﷺ - الرَّجل يلبَس لبسة المرأة ، وتلبس المرأة لبس الرَّجل» .

ولعن أيضاً من أعارهم ذلك ، كما لعن حامل الخمر ؛ لكونه معيناً على المعصية . فنسأل الله العفو ، والعافية ، والعصمة والتوفيق . إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

* * *

الكبيرة التاسعة والعشرون

في المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ لعن المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له». رواه الترمذيُّ ، والنَّسائيُّ[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المُحَلِّلَ والمُحَلَّلَ له». رواه أحمد[2] .

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «هو المحلِّل ، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»[3] .

المحللُ: هو الذي يتزوج المرأة ليحلها لِلَّذي طلقها ، فهو الذي سماه النبيُّ ـ ﷺ ـ: التيسُ المستعار .

والمحلَّل له: هو الذي طلقها ، فلمَّا انقضت عدَّتُها زوجها لرجلٍ يطأها ، ثم يطلقها لأجله ، فاللعنة عليهما بذلك . فنسأل الله العفو والعافية ، والعصمة من كل شرٍّ .

* * *

---

(١) رواه الترمذي رقم (١١٢٠). والنسائي (٦/١٤٩). والبغوي في شرح السنة رقم (٢٢٩٣). وصححه ابن القطان . وابن دقيق العيد وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٨٢٨٧). والبزار رقم (١٤٤٢) وإسناده حسن .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٩٣٦). والبيهقي في السنن (٧/٢٠٨). وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

الكبيرة الثلاثون

أكلُ الميتة ولحم الخنزير

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فمن تعمَّد أكل ذلك لغير ضرورةٍ؛ فهو من المجرمين. وما أحسب أنَّ مسلماً يتعمَّد أكل ذلك، وربما يفعل ذلك بعضُ زنادقةِ الجَبَلية والتيامنة الخارجين عن الإسلام.

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة لحمٌ نبت من سحتٍ»[1] أي: من حرام، وهذا من أعظم الحرام. أجارنا الله منه، ومن كل حرام.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند (١٤٤٤١). وعبد الرزاق في المصنف رقم (٢٠٧١٩). وابن حبان رقم (٤٥١٤) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

الكبيرة الحادية والثلاثون

عدم التنزُّه من البول

وهو شعار النصارى. قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنبيِّه ـ ﷺ ـ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] والأمر له أمرٌ لأمَّته ـ ﷺ ـ.

ومرَّ ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير» ثم قال: «بلى إنه كبير. أمَّا أحدهما؛ فكان لا يتنزه من بوله، وأمَّا الآخر؛ فكان يمشي بالنَّميمة». رواه البخاريُّ، ومسلم[1]، ولكن أكثر الطُّرق التي في «الصحيحين» لهذا الحديث: «فكان لا يتنزَّه من بوله».

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «تنزَّهوا من البول؛ فإنَّ عامَّة عذاب القبر منه»[2]. رواه الدَّار قطني.

ثم إنَّ مَنْ لم يحترز من البول في بدنه وثيابه؛ فصلاته باطلةٌ؛ لأنَّه صلَّى مع النَّجاسة، فلا تصح صلاةٌ مع نجاسةٍ حتى يغسلها.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢١٨). ومسلم رقم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الدراقطني رقم (١/ ١٢٧) برقم (٧). وقال الدار قطني المحفوظ مرسل وأقره المنذري في الترغيب (١/ ٨٦). أقول وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه ابن ماجه رقم (٣٤٨). والحاكم (١/ ١٨٣) وقال الدارقطني، صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وآخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الحاكم (١/ ١٨٣ و١٨٤) فهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الكبيرة الثانية والثلاثون

ضمان المكس

وضامنُ المكس داخلٌ في قوله الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢] وهذا من الظالمين.

وداخل في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] وهذا من الظالمين.

وداخلٌ في قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣] وإن كانت هذه الآية في الكفَّار لكنَّها تعم الظالمين.

وقوله: ﴿ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي: أمثالهم. وقيل: أعوانهم. وقال مكحول الدِّمشقيُّ: يُنادي مناد يوم القيامة: أينَ الظلمة وأعوانهم، فلا يبقى أحدٌ مدَّ لهم دواةً، أو برى لهم قلماً، فيجتمعون في تابوت من نارٍ، فيلقون في جهنم. أجارنا الله منها.

وقد ذكر: أنَّ رجلاً جاء إلى سفيان الثوري[1]، فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان، فهل تراني من أعوان الظلمة؟ فقال: بل أنت من الظلمة أنفسهم، وأعوانك منْ يبيع منك الإبرة والخيط.

---

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيِّد العلماء العاملين في زمانه. مصنف كتاب «الجامع» ولد سنة سبعة وتسعين، وطلب العلم وهو حدث بإعتناء والده المحدث سعيد بن مسروق الثوري توفي رحمه الله سنة (١٦١) هـ.

فإذا كان هذا في حقِّ خيَّاطٍ يخيط ثيابهم؛ فما حال من يضمن ما وضعوه على المسلمين مِن أخذ أموالهم عدواناً وظلماً.

وفي الحديث في الزانية التي طهَّرت نفسها بالرَّجم: «لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مَكسٍ؛ لغفر له، ولقبلت منه»[1].

والمكَّاس فيه شبهٌ من قاطع الطَّريق، وهو شرٌّ من اللصِّ، لأن اللِّص يأخذ أموال النَّاس في خفيةٍ، وهذا يأخذها بالقهر، والظُّلم.

وهو داخلٌ في قول النبيِّ - ﷺ - لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟».

قالوا: المفلس فينا يا رسول الله! مَنْ لا درهم له، ولا متاع.

فقال: «إن المفلس من أمَّتي من يأتي يوم القيامة بصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا منه حسناته، وهذا منه حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النَّار». أخرجه مسلم في «صحيحه»[2].

وضامن المكس هذا حاله، يأخذ من مال النَّاس ما لا يستحقه، ويُعطيه لمن لا يستحُقه، ويبقى هو رهين بينهما، يتعلَّق به يوم القيامة كلٌّ من أخذ منه شيئاً، ولو فلساً واحداً، وأكثر أكله من المال الحرام الذي يأخذه.

وقد قال النبيُّ - ﷺ -: «لا يدخل الجنَّة لحم نبت من سحت» أي: من حرام «النَّار أولى به»[3].

قال بعض العلماء: أخبرني رجلٌ من أهل العلم قال: كان عندنا رجلٌ يكون عيناً للظلمة المكَّاسين، يخدمهم، ويدور حولهم، فمات، فرأيتُه في المنام على حالةٍ شنيعةٍ، فقلت: مِنْ أين جئت؟ قال: لا تسأل. فأعدتُ عليه، فقال: لا تسأل، فألححتُ عليه، فقال: من الجحيم. فقلت: كيف لقيت؟ قال: لقيتُ عذاباً شديداً، ونكالاً عظيماً، فأنذر الظالمين وحذِّرهم عذاب الجحيم. فقلت: وأنت الآن إلى أين تمضي؟ فقال لي: إلى ما كنت فيه، فأنذر الظالمين، وحذِّرهم

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٩٥) من حديث. بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٨١). والترمذي رقم (٢٤٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه.

عـذاب الجحيم. فهذا حال أعوانهم ، فكيف يكون حالهم ؟! نسأل الله العفو والعافيـة.

وجابي المكس ، وكاتبه ، وآخذه من جندي ، وشيخ ، وصاحب زاوية شركاء في الوزر ، أكَّالون للسُّحت والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية.

* * *

الكبيرة الثالثة والثلاثون

أكل الحرام مطلقاً

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حقٍّ؛ فلهم النَّار يوم القيامة». أخرجه البخاريُّ[١].

وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ ما أخذه منه أمن الحلال أم الحرام». أخرجه البخاريُّ[٢].

وقال ﷺ: «يا أيها الناس إن الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السَّماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذِّي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك». أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»[٣].

ومعناه: أن تناوله الحرام منع قَبول دعائه.

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال لكعب بن عجرة: «يا كعب!

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٠٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (١٠١٥). والترمذي رقم (٢٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا يدخل الجنَّة لحم نبت من سحت ، النَّار أولى به». حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم[1].

وقد كان لأبي بكرٍ الصِّديق - رضي الله عنه - غلامٌ مكاتَبٌ يأكل أبو بكر من غلَّته، وكان لا يأكل حتى يسأله: من أين جئت بهذا؟ فإن رضيه؛ أكله ، وإلا تركه ، وأنَّه أتاه ذات يومٍ بشيءٍ ، فأكل منه أبو بكر لقمة ولم يسأله ، فقال له الغلام: مالك كنت تسألني ولمٍ تسألني اليوم؟ قال: حملني على ذلك الجوع؛ من أين أتيت به؟ قال الغلام: إني كنت تكهَّنتُ لأناس في الجاهلية ، فمررت بهم اليوم ، ولهم عرس ، فأعطوني لذلك ، فهذا الذي أكلتَ منه. فقال أبو بكر : أفٍ لك! كدت تهلكني ، فجعل يتقيَّأ ، ولا يخرج اللقمة ، فدعا بماءٍ ، فشرب ، ثمَّ تقيَّأ ، فقيل له: كلُّ هذا من أجل هذه اللقمة! فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي؛ لأخرجتها. إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «كلُّ جسدٍ نبت من سحت النَّار أولى به»[2] فخشيت أن ينبت شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة.

وفي روايـة عنـه عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّـه قال: «لا يدخل الجنَّـة جسدٌ غُـذِّي بحرامٍ»[3].

ويدخل في هذا الوعيد المكَّاس ، وقاطع الطريق ، والسَّارق ، والبطَّاط ، والخائن ، والزُّغلي ، ومَنْ استعار شيئاً فجحده ، ومَنْ طفَّف الوزن والكيل ، ومن التقط مالاً ، فلم يعرِّفه ، وَمَنْ باع شيئاً فيه عيب فغطَّاه ، والمقامر ، ومخبر الشرِّ بالزايد ، وآكل الرشوة على الحكم والشفاعة. كلُّ هذا حرامٌ ، ولا يدخل الجنَّة جسد غذِّي بحرام. فنسأل الله العفو والعافية.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦٥) ورقم (٦٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٣) رواه أبو يعلى رقم (٨٣ و٨٤). والبزار رقم (٣٥٦٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٣): رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى ثقات من حديث أبي بكر رضي الله عنه. أقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الكبيرة الرابعة والثلاثون

الرِّياء

وهو من النفاق وهو أيضاً من الشرك ، كما تقدَّم في أول الكتاب ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إخباراً عن المنافقين : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢].

وقال تعالى : ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [البقرة : ٢٦٤].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ أوَّل النَّاس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ اسْتُشْهِدَ ـ يعني : في الجهاد ـ فَأُتِيَ به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، فقال : ما عملت فيها؟ قال : قاتلتُ فيك حتى اسْتُشْهِدْتُ . قال : كذبتَ! ولكنَّك قاتلت ؛ ليُقال : هو جريء ، فقد قيل ، ثُم أُمرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النَّار .

ورجل تعلَّم العلم ، وعلَّمه ، وقرأ القرآن ، فأُتيَ به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها؟ قال : تَعلَّمْتُ العلم ، وعلَّمته ، وقرأتُ فيك القرآن . قال : كذبتَ! ولكنَّك تعلمتَ ليُقال عالم ، وقرأت القرآن ، ليقال : قارىء ، فقد قيل ، ثم أُمرَ به ، فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النَّار .

ورجلٌ وسَّعَ الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأُتيَ به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال : ما مِنْ سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك . قال : كذبتَ! ولكنَّك فعلتَ ؛ ليقال : هو جوادٌ ، فقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النَّار» . أخرجه مسلم في صحيحه »[1] .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعن ابن عمر أنَّ ناساً قالوا له: إنَّا ندخل على أمرائنا ، فنقول لهم بخلاف ما نتكلَّم به إذا خرجنا من عندهم. فقال ابن عمر: كنَّا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله - ﷺ -. رواه البخاريُّ[1].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «مَنْ سمَّع؛ سمَّعَ الله به ، ومن راءى؛ راءى الله به». رواه البخاريُّ ، ومسلم[2].

وعن معاذ - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «اليسير من الرِّياء شركٌ». صححه الحاكم[3].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١٧٨) موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٩٩). ومسلم رقم (٢٩٨٧) من حديث جندب بن جنادة رضي الله عنه.
ومعنى الحديث كما قال الخطَّابي «من عمل عملاً على غير إخلاص. وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعونه جوزي على ذلك بأن يُشهِّر به الله ويفضحه. ويظهر ما كان يبطنه».

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٣٩٨٩). والحاكم (٤/٣٢٨). وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا.

الكبيرة الخامسة والثلاثون

المنّان

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وفي الحديث الصحيح: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبلُ إزاره، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[١].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنّان، ومكذبٌ بقدر»[٢].

قال العلماء: والمنَّان: الذي يمنُّ بصدقته، وهبته، وعطيَّته، وإحسانه، ومعروفه. فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٣). والطبراني في الكبير رقم (٧٤٥٧). وقال المنذري في الترغيب (٣/ ٢٢١) رواه ابن أبي عاصم. وإسناده حسن.

الكبيرة السادسة والثلاثون

الخيانة

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وتشتمل على أنواع:

النوع الأول: الخيانة في الأمانة:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «أية المنافق ثلاث: إذا حدَّث؛ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن؛ خان».

وفي رواية: آية المنافق ثلاث وإن صام وصلَّى، وزعم: أنه مسلم: إذا حدَّث؛ كذب، وإذا وعد؛ أخلف، وإذا اؤتمن؛ خان». رواه مسلم[1].

وقال ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». رواه أبو داود والترمذيُّ[2].

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣). ومسلم رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي رقم (١٢٦٤). وأبو داود رقم (٣٥٣٥). والدارمي رقم (٢٦٣٩) من حديث =

وعنه ـ ﷺ ـ: «يدُ الله بين الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يرفعه، قال: «إنَّ الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه؛ خرجتُ من بينهما». أخرجه أبو داود[2].

وعن عياض بن حِمَار في حديثه الطَّويل: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «وأهل النَّار خمسة: الضَّعيف الذي لا زَبْرَ له [3]، والخائن الذي لا يَخْفى له طَمَعٌ وإنْ دقَّ إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يصبح ولا يمسي إلاَّ وهو يخادعك عن أهلك ومالك. وذكر البُخلَ، والكذب، والشِّنظير السَّيء الخلق، الكثير الفحش»[4].

وعن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «القتل في سبيل الله يكفِّر كل شيءٍ» أو قال: «يكفر الذُّنوب كلَّها إلاَّ الأمانة» قال: «يُؤتى بصاحب الأمانة فيضعها على عاتقه، فيُقال له: أدِّ أمانتك! فيقول: أنَّى يا رب! وقد ذهبت عنِّي الدنيا فيقال: اذهبوا إلى الهاوية، فيذهب به إلى الهاوية فيهوى حتى ينتهي إلى قعرها، يجدها هناك كهيئتها، فيحملها ـ يعني: الذي خان فيها ـ على عاتقه، فيصعد بها في نار جهنَّم حتى إذا ظنَّ أنَّه خارجٌ؛ هوت، وهوى في أثرها أبد الآبدين»[5].

وعن حسَّان بن أبي سنان، وكان من عباد الله الصالحين، قيل: إنه بقي ستين

= أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن. ورواه الطبراني في الكبير رقم (٧٦٠). والصغير رقم (٤٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه. ورواه الطبراني في الكبير أيضاً رقم (٧٥٨٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه والحديث بهذه الطرق صحيح بشواهده. ورواه الدارقطني (٣/ ٣٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١) رواه الدارقطني في السنن (٣/ ٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ويشهد له ما بعده.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٣٨٣). والدار قطني في السنن (٣/ ٣٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢) وصححه. ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

(٣) لا زَبر له. أي: لا عقل له.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥) في الجنة من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٥٣٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٩٣): رواه الطبراني. ورجاله ثقات. من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً وإسناده صحيح ورواه البيهقي في الشعب رقم (٥٢٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه. وقال: وهو الأصح.

سنةً لا يأكل سميناً ، ولا يشرب بارداً ، فلمَّا مات؛ رؤى في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : خيراً إلاَّ أنِّي محبوسٌ بإبرة استعرتها فلم أردَّها . فنسأل الله العفو والعافية ، إنَّه جوادٌ كريم .

النَّوع الثاني : الخيانة في الطَّهارة ، بأن لا يغتسل من الجنابة إذاأصابته ، وهذا من الكبائر ؛ لأنَّ الغُسل أمانة بين العبد وبين الله .

قال زيد ين أسلم : الأمانة : الصَّوم ، والغُسل من الجنابة ؛ فإذا خان أمانته ؛ كان من الخائنين ، وأمَّا في الطَّهارة للصلاة ، بأن لا يَسبغ أعضاءه بالغسل ، كما أمر الله تعالى ، كما يفعل كثيرٌ من جهلة المصلين عند غسل وجهه في الوضوء ، يأخذ الماء بيده ، ويضعه عند أنفه ، وعند عينيه ، فيغسل نصف وجهه ، ويبقى جبهته وصدغيه لم يصبه الماء ، أو يبلُّ يديه ، ويمسح وجهه مسحاً ، أو يكون كمُّه ضيقاً ، فيشمِّر إلى نصف السَّاعد ، فيغسله ، ويترك الباقي ، وكلُّ هذا جهلٌ ، وإساءةٌ ، وخيانةٌ في الطَّهارة ، ولا تصح به الصلاة ؛ لأنه خلاف ما أمر الله به ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة : ٦] وعلى قراءة ﴿وَأَرۡجُلِكُمۡ﴾ بالخفض قيل : المراد به مسح الخفَّين . وقيل : كسر للمجاورة .

وبينته السُّنَّة : أن النبيَّ ـ ﷺ ـ توضَّأ وغسل رجليه ، وتوعَّدَ من ترك من غسلهما شيئاً بقوله : «ويلٌ للأعقاب من النَّار»[١] وسبب ذلك : أنه ـ ﷺ ـ رأى قوماً يتوضؤون وأعقابهم تلوح لم يصبها الماء ، فقال : «ويلٌ للأعقاب من النَّار ، أسبغوا الوضوء»[٢] ، فهذا أمرٌ منه ـ ﷺ ـ بإسباغ الوضوء ، وهو إكماله ، وإتمامه ، ووعيدٌ بالنَّار لمن تهاون بذلك ، فالواجب على كلِّ مسلمٍ رجلاً كان أو امراةً أن يحسن وضوءه ، وهو أن يبدأ في أوَّل الوضوء والغسل بنيَّه الطَّهارة للصَّلاة ، ثمَّ يسمِّ الله تعالى ، ويغسل كفيه ثلاثاً ، ثمَّ يتمضمض ويستنشق ثلاثاً ، ثمَّ يغسل وجهه ثلاثاً من منابت شعر الرأس إلى أسفل الذَّقن طولاً ، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٢و٢٩) . والنسائي (١/ ٧٧) . وابن حبان (١٠٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤١) . وابن خزيمة رقم (١٦١) . وابن ماجه رقم (٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

يغسله غسلاً ، ولا يمسحه مسحاً كما ذكرنا من فعل الجهَّال ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً ثلاثاً ، ويرفع الماء إلى فوق المرفق ، ثمَّ يستوعب رأسه بالمسح ، ثمَّ يغسل رجليه إلى الكعبين ، ويرفع الماء إلى أنصاف السَّاقين ، ويجتهد في إكمال وضوئه وإتمامه مهما أمكنه؛ لتصح صلاته ، فإنَّ صحة الصلاة مبنيةٌ على صحة الوضوء ، فإذا لم يصح الوضوء؛ لم تصح الصلاة ، ويرفع الماء إلى فوق أماكنه ، كما كان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يفعل ، كان إذا توضَّأ ، فغسل وجهه ويديه ، رفع الماء في الغَسْل إلى أنصاف العضدين، وفي غسل الرِّجلين إلى أنصاف السَّاقين.

ويروى عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «إنَّ الحلية في الجنة تبلغ من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»[1].

وقال ﷺ: «أنتم الغرُّ المحجلون من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرَّته وتحجيله؛ فليفعل»[2].

وقال ﷺ: «مَنْ توضأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظفاره»[3].

النوع الثالث: الخيانة في الصلاة بأن لا يصلي ، وإذا أُمر بها؛ قال: أنا أصلي ، وهو كاذب.

أو يصلي ، وينقر أركان الصلاة نقراً ، وهذا خيانةٌ في طاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ. وقد سمَّى النبيُّ ـ ﷺ ـ الذي يفعل ذلك: سارقاً ، فقال ﷺ: «أسوأ الناس حالاً وسرقةً؛ الذي يَسرقُ من صَلاته!» قالوا: كيف يَسرقُ من صلاته؟ قال: «لا يُتمُّ الرُّكوع ولا السجود ، ولا يقيم صلبه في الرُّكوع والسُّجود»[4].

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٦و٣٥). وابن خزيمة رقم (٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٦و٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وجملة «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» مدرجة من كلام أبي هريرة رضي الله عنه كما حققه الحافظ في الفتح.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٩) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن حبان رقم (١٨٨٨). والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٩) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أبي قتادة رضي الله عنه رواه الدارمي رقم=

وقد تقدَّم ذلك عند ذكر الصلاة في أول الكتاب ، فأغنى عن إعادته .

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال: أول ما خلقَ الله من الإنسان فرَجه ، وقال: هذه أمانة استودعتكها. فالفرج أمانة ، والسمع أمانة ، والعين أمانة ، واليد أمانة ، والرِّجل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له»[1] .

قال العلماء: **فحفظ الأمانة في الفرج ألاَّ يزني به ، ولا يكشفه للناس** ، فإن زنى ، أو كشف فرجه حتى رآه الغير؛ فقد خان الأمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له ، ومَنْ كشف فرجه بحضرة النَّاس؛ فلا يأمن عذاب القبر؛

لما ثبت في «الصَّحيحين»[2] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه مرَّ بقبرين ، فقال: «إنهما ليعذَّبان وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما؛ فكان لا يستتر عن البول ، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنَّميمة». فأخبر ﷺ عن السبب الذي أوجب لهما عذاب القبر وهو عدم التستُّر عند البول.

وفي معناه ، بل أبلغ منه مَنْ لا يستتر عند الاغتسال في الحَمَّام أو غيره ، بل يكشف عورته للنَّاس ، ولا يبالي بِمَنْ نظر إليه ، فيعرِّض نفسه بذلك لعذاب الله ، وسخطه ، ومخافته ، ومخالفة نبيِّه ـ ﷺ ـ فإنَّ الله ـ تعالى ـ قال في كتابه العزيز لنبيِّه ـ ﷺ ـ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] أي: أطهر لهم.

= (١٣٦٧). وآخر من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه أحمد في المسند(٣/ ٥٦). والبزار رقم (٥٣٦). فهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

(١) رواه الطبراني في الأوائل (٢) من طريق ابن فُضيل عن ليث عن مجاهد عن ابن عمرو قال: «أول ما خلق الله من الإنسان فرجه فملها ثم خلقه ، قيل له: لا تنزله إلا في حلِّه». وأخرجه ابن أبي الدنيا في الورع رقم (١٣٣) من طريق ليث عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو موقوفاً. فاضطرب ليث في هذا الخبر. ثم إن معنى هذا الخبر مخالف لأخبار كثيرة فهو شاذ منكر. وذكره بلفظ المؤلف عبد السلام بن محمد بن عمر بن علوش في (زوائد الأجزاء المنثورة. على الكتب الستة المشهورة) رقم (٣٩٩). وإسناده واهٍ ، يحيى بن سعيد العطار ضعيف اتهمه ابن حبان. وبكر بن خنيس ضعيف. والحديث ضعيف جداً.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يدخل الحمَّام إلاَّ بمئزرٍ»[1].

وقال لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «لا تكشف فخذك ولا تنظر إلى فخذ حيٍّ ولا ميت»[2].

وقال سلمان الفارسيُّ ـ رضي الله عنه ـ: لأن أخرَّ من السَّماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أرى عورة مسلمٍ، أو يراها منِّي. أو قال: لئن أموت، ثمَّ أُنشر، ثمَّ أموتَ، ثمَّ أنشرَ أحبُّ إليَّ من أن أرى عورة مسلمٍ، أو يراها منِّي.

والنبيُّ ـ ﷺ ـ قال: «الحياء من الإيمان»[3]. فمن كشف عورته بحضرة النَّاس؛ فهو دليلٌ على قلَّة حيائه، ونقص إيمانه، وقلة دينه، وقلة عقله أيضاً؛ لأن العاقل اللبيب يأنف على نفسه أن يكشف سوءته للنَّاس، أو ينظر أحدٌ إلى عورته، فما ذاك إلا من نقص العقل، والدين، والإيمان، وقلة الحياء. نعوذ بالله من ذلك، ونسأل الله العفو والعافية، والعصمة، والتوفيق، لما يحبُّ ويرضى، إنَّه جوادٌ كريم.

قوله ـ رضي الله عنه ـ: **والأذن أمانة**؛ يعني: أن يحفضها لمن لا يحلُّ الاستماع بها إلى ما لا يحلُّ الاستماع إليه من غيبة لمسلمٍ، أو قذفٍ، أو كذبٍ، أو فاحشٍ من القول.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قوله: **والعين أمانة**؛ يعني: أن يحفظها من النَّظر إلى عورات الناس وإلى ما لا يحلُّ النَّظرُ إليه من النِّساءِ الأجانب، والمُرد الحسان، ومن النظر إلى عورات الناس في الحمَّام أو غيره.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٤٦٥١). والدارمي رقم(٢٠٩٢). والحاكم (٤/ ٢٨٨) والترمذي رقم (٢٨٠١) من حديث جابر رضي الله عنه. وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٠١٥). من حديث علي رضي الله عنه. وقال أبو داود: هذا حديث فيه نكارة. أقول: إسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٤و٦١١٨) ومسلم رقم (٣٦) في الإيمان. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال مجاهد في قوله تعالى ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ أي: خيانتها ، قال: هو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. وقيل: هو مسارقة الأعين ، والنَّظر إلى ما لا يحلُّ ، يعلم الله سبحانه وتعالى ذلك ، ويعلم ما تُخفي الصُّدور ، ويسأل الله سبحانه وتعالى يوم القيامة السَّمع ، والبصر ، والقلب عمَّا خان في الدُّنيا ، وما ارتكب من الكبائر والمعاصي. كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾ يعني: القلب ﴿ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾.

قوله: **واليد أمانة**؛ يعني ألا يتناول بها ما لا يحلُّ تناوله من استعمال المسكر ، وأخذ المال الحرام من المكس ، والرشوة ، والغصب ، والقمار ، والسَّرقة ، والخيانة ، وجميع الأموال المحرمة.

وتحفظها أيضاً: أن تضرب بها أحداً بغير حقٍّ ، أو تكتب بها ما لا يحلُّ.

قوله: **والرِّجل أمانةٌ**؛ يعني: أن يحفظها عن السعي فيم لا يحلُّ ، مثل المشي إلى معصيةٍ ، أو ظلم ، أو أخذ مالٍ بغير حقٍّ ، أو سعاية مسلم إلى وليِّ الأمر ، أو مشي بنميمة ، أو ما أشبه ذلك.

وليعلم العبدُ ، ويتحقَّق: أنَّ أعضاؤه كلَّها تُسْأَل يوم القيامة ، وتُستنطق ، وتشهد على صاحبها بما عمل بها ، كما تقدَّم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٢ـ٢٣].

وروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ فضحك ، فقال: «هل تدرون ممَّ أضحك؟».

قلنا: الله ورسوله أعلم!

قال: مِنْ مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا رب! ألم تُجِرْني من الظلم؟ فيقول: فإني لا أُجيزُ اليوم على نفسي شاهداً إلا منِّي. فيقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ والكرام الكاتبين شهوداً. قال النبي ـ ﷺ ـ: فَيُخْتَمُ على فِيْهِ، ويقال لأركانه: انْطِقِيْ، فتنطق بأعماله، ثمَّ يُخَلَّى بينه وبين الكلام، فيقول ـ يعني لأركانه يخاصمها ـ: بُعداً لكنَّ وسحقاً! فعنكنَّ كنت أُناضل ـ يعني: أجادل، وأخاصم، وأدافع ـ». أخرجه مسلم في «صحيحه»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ في حديث ذكر فيه الرؤية، وقال فيه: «فيلقى العبد ربَّه، فيقول: أيْ فُلْ! ألم أُكرِمْك، وأسوِّدْك، وأزوِّجْك، وأُسخِّرْ لكَ الخيلَ والإبل، وأذَرْكَ ترأس، وتَرْتَعُ ـ أو: تربع ـ؟ فيقول: بلى يا رب! فيقول تعالى: أظننتَ أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا! فيقول: إني اليوم أنساك كما نسيتني، ثمَّ يلْقى الثاني، فيقول له مثل هذا، ثمَّ يلقى الثالث، فيقول له مثل هذا، فيقول: بلى يا رب! فيقول: أظننتَ أنَّك ملاقيَّ، فيقول: يا ربِّ! آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليتُ، وصمت، وتصدَّقت، ويُثني بخيرٍ ما استطاع، فيقول: الآن نبعث شاهداً. فيتفكر العبد في نفسه: مَنِ الذي يشهد عليَّ؟ قال: فَيُخْتَمُ على فِيْهِ، ويقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذه، ولحمه، وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه». أخرجه مسلم في «صحيحه»[2].

قوله: «أيْ فلْ!» أي: فلان. قوله: «أذرك ترأس» أي: أتركك ترأس؛ أي: تُقدَّمُ على القوم فتصير رئيسهم. قوله: «ترتع» أي: تتنعَّم، من قولهم: رتعت الإبل: إذا كانت في موضع خصب تأكل ما شاءت. وروي: «تربع» أي: تأخذ المرباع، وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم.

وفي هذه الأحاديث والآيات التي قبلها في شهادة أعضاء ابن آدم عليه يوم القيامة تخويفٌ، وذكرى، ومزدجر لِمَنْ يرتكب المعاصي، ويُغلق أبوابه، ويُرخي

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٦٩) في الزهد.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٦٨).

ستوره ، وماذا يغني عنه ذلك إذا كانت أعضاؤه تشهد عليه؟ وكذلك الأرض مِنْ تحته؟.

كما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . . .﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١ـ٤] قال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها ، تقول عمل كذا ، وكذا ، وكذا ، وكذا ، فهذه أخبارها». أخرجه الترمذي ، وقال: حديث حسنٌ صحيح[١].

فنسأل الله العفو والمغفرة وأن يتغمَّدنا برحمته ، وأن يعفوا عنَّا بكرمه ، فإنَّه أهل التقوى ، وأهل المغفرة.

النوع الخامس: الخيانة في البيع ، والشراء ، والأخذ ، والعطاء ، ومن ذلك الخيانة في الكيل ، والوزن؛ والذرع ، وقد تقدَّم الكلام على ذلك ، وأنَّه من الكبائر ، وفاعله من أعظم الخائنين ، الذين يبغضهم الله ، ولهم الويل في الآخرة ، وهو شدَّة العذاب؛ إن لم يتوبوا ، وينتهوا عن ذلك.

النوع السَّادس: تخبير السِّعْر بالزايد ، وهو خيانةٌ ، وكذبٌ.

عن سفيان بن أسيد الحضرميِّ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «كَبُرت خيانةً أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدِّق ، وأنت له به كاذب». أخرجه أبو داود[٢].

وعن حكيم بن حزام: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، فإن صدقا وبيَّنا؛ بورك لهما في بيعهما. وإن كذبا ، وكتما؛ فعسى أن يربحا ربحاً ما ، ويمحقا بركة بيعهما»[٣].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٥٠). والحاكم (٢/ ٥٣٢) وصححه الحاكم ـ وقال الذهبي: في التلخيص: يحيى بن أبي سليمان منكر الحديث قاله البخاري ـ أقول: إسناده ضعيف.
(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٧١) في الأدب. وإسناده ضعيف.
(٣) رواه البخاري رقم (٢٠٧٩و٢٠٨٢). ومسلم رقم (١٥٣٢).

ثم قال ﷺ: «اليمين الفاجرة منفقةٌ للسلعة، ممحقةٌ للكسب». مخرج في «الصحيحين»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: رجلٌ على فضل ماءٍ بطريقٍ يمنعه ابن السبيل، ورجلٌ بايع رجلاً بسلعةٍ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه، وأخذها، وهو على غير ذلك، ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها ما يريد، وفَّى له، وإن لم يعطه، لم يفِ». مخرَّج في «الصحيحين»[2].

ومن ذلك الخيانة بتغطية العيب في البيع. عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لا يحل لأحدٍ يبيع بيعاً حتى يبيِّن ما فيه، ولا يحلُّ لمن يعلم ذلك إلا أن يبينه»[3].

وقال ﷺ: «من كتم غالاً فإنَّه مثله». أخرجه أبو داود[4]، والغالُّ: هو الخائن، فمن علم بخيانته، وكتم عليه؛ فإنَّه مثله في الإثم.

وتقدَّم قوله ـ ﷺ ـ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا؛ بورك لهما في بيعهما. وإن كتما ـ يعني: كتما العيب ـ وكذبا؛ مُحِقَتْ بركة بيعهما»[5].

وكتمان العيب وتغطيته هو أيضاً من الغش. الذي قال فيه النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ غشَّنا فليس منَّا»، قال ذلك لما مرَّ في السُّوق على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بَـلَلاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟!» فقال: أصابته السَّماء يا رسول الله! ـ يعني: المطر ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أفلا جعلته فوق الطعام

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٧٢٠٧). والبخاري رقم (٢٠٨٧). ومسلم رقم (١٦٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري رقم (٢٦٧٢). ومسلم رقم (١٠٨).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٠). وصححه. ووافقه الذهبي وقال في التلخيص: صحيح.
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧١٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.
(٥) تقدم تخريجه.

حتَّى يراه الناس؟» ثم قال: «مَنْ غشَّنا فليس منَّا». مخرَّج في «الصحيح»[1].

وهذا اليوم في البائعين والصنَّاع كثيرٌ يجعلون الرديء من أسفل، والجيِّد من فوق، وهذا خيانةٌ، وغشٌ، وإنما العدل أن يجعل الجميع سواء.

ومن ذلك تزغيل المبيع، بأن يخلط الحليب بالماء، أو الحنطة بالتراب، أو طحين القمح بطحين الشعير، وأشباه ذلك، وذلك غشٌ، وخيانةٌ، وموجبٌ لعذاب الله إن لم يتب فاعله.

قال عبد الحميد بن محمود: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجلٌ، فقال: أقبلنا حجاجاً، حتى إذا كنَّا بالصفاح تُوفي صاحب لنا، فحفرنا له لحداً؛ فإذا أسود قد ملأ اللَّحد، ثم حفرنا له قبراً آخر؛ فإذا أسود قد ملأ اللَّحد، ثمَّ حفرنا له قبراً آخر، فإذا أسود قد ملأ اللَّحد، فتركناه مطروحاً على وجه الأرض، وأتيناك نسألك ما تأمرنا؟ فقال ابن عبَّاس: لو حفرتم الأرض كلها لوجدتم ذلك، ذلك عمله السُّوء، اذهبوا فادفنوه في بعضها. قال: فرجع الرَّجل فألقاه في قبرٍ منها، ثمَّ أتوا أهله، فسألوهم عن عِمله، فقالوا: كان يبيع الحنطة، فيأخذ منها قوت أهله، ثمَّ يأخذ عوض ما أخذ من الحنطة تبناً، ويخلطه، ثم يبيعه للناس. فهذه عقوبة الخائنين الغاشِّين.

وفي معناه مَنْ يخلط التراب بالقمح ليزيد في كيله، وكذلك من يخلط النخالة بالدقيق، أو اللبن بالماء، بل قد يمحق الله جميع ماله بسبب خيانته، ويبقى عليه عذاب الآخرة.

كما ذكر أنَّ رجلاً كان له بقرةٌ يحلبها، ويخلط بلبنها الماء، ثم يبيعه، فبينما هو ذات يوم، إذ جاءه سيلٌ، فغرَّق البقرة وما جمعه منها، فقعد حزيناً، فقال له بعض أولاده: يا أبه! إنَّ تلك المياه المتفرقة التي كنا نصبَّها في اللبن قد اجتمعت، وجاءت دفعة واحدةً، فأخذت البقرة وما جمعنا منها.

النَّوع السَّابع: إخراج الزيف، وهو الزَّغل؛ إذا كان عالماً به، ففي ذلك الغشُّ والخيانة، وقال النبيُّ ـ ﷺ: «من غشَّنا فليس منَّا».

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠١). والترمذي رقم (١٣١٥). وأبو داود رقم (٣٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد قال بعض السَّلف: إخراج درهم زيف أشدُّ من سرقة مئة درهم ، لأن السَّرقة معصية واحدة ، وقد تمَّت ، وانقطعت ، وإخراج الدَّراهم الزائفة معصية ظاهرةٌ ، فشرُّها بين النَّاس ، يُعمل بها بعده ، فقد يمكث ذلك الدِّرهم في أيدي النَّاس زمناً طويلاً ، وإثمه على الذي أخرجه أولاً . فالويل لمن يموت ، وتبقى ذنوبه بعده يُعمل بها ، فيكون عليه إثمها ، وإثم مَنْ يعملُ بها ، كمن يجدِّد على الناس مكساً ، أو مظلمةً ، فيبقى عليه إثمها ، وإثم من يعمل بها بعده .

كما في الحديث الصحيح عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّه قال: «مَنْ سنَّ في الإسلام سنَّة حسنةً ، كان له أجرها وأجر من يعمل بها بعده من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيءٌ ، ومَنْ سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها بعده من غير أن يَنْقُصَ مِنْ أوزارهم شيءٌ». مخرَّج في «الصحيحين»[1] .

ومن ذلك عدم النُّصح في العمل الذي يعمله الصَّانع بيده؛ لأنه إذا لم ينصح؛ فقد غشَّ . وقد قال النبيُّ - ﷺ - «من غشنا فليس منا» .

وقد سئل النبيُّ - ﷺ - عن أطيب الكسب ، فقال: «عمل الرَّجل بيده ، وكل بيع مبرور»[2] . وفي رواية: «أطيب الكسب يَدُ عَامِلٍ إذا نصح»[3] . وقوله: «إذا نصح» فإذا لم ينصح لا يكون كسبه طيباً ، وكذلك قوله: «وكل بيع مبرور» والبيع المبرور: الذي لا يخالطه إثمٌ ، ولا خيانة .

ولهذا قال النبيُّ - ﷺ -: «إنَّ التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله ، وبرَّ ، وصدق»[4] .

وقال: «إن التاجر إذا كان فيه أربع خصال ، طاب كسبه: إذا اشترى لم يَذُمَّ ،

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠١٧) . والترمذي رقم (٢٦٧٥) . وابن ماجه رقم (٢٠٣) من حديث جرير بن عبد البجلي رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٧٢٦٥) . والحاكم (٢/ ١٠) . والطبراني في الكبير رقم (٤٤١١) . وفي إسناده جُميع بن عمير التيمي ، قال الذهبي: فيه نظر . وقال ابن حبان: رافضي يضع الحديث . وقال ابن نمير: كان من أكذب الناس .

(٣) لم نجده بهذااللفظ .

(٤) رواه الترمذي رقم(١٢١٠) . وابن ماجه رقم (٢١٤٦) . وابن حبان رقم (١٠٩٥) . وقال الترمذي ، هذا حديث حسن صحيح . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وإذا باع لم يَمدح ، ولم يُدلِّسْ في البيع ، ولم يحلف فيما بين ذلك»[1] .

قال العلماء : التجارة اسم لكل من يبيع ويشتري حتى الحطب والإشنان .

فصل في فضل التاجر إذا كان صدوقاً أميناً

ثبت في «الصَّحيحين» عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «التاجر الصَّدوق الأمين مع النبيين والصِّديقين يوم القيامة»[2] .

فإن قيل : بأيِّ طريق يحشرون مع النبيين ، والصِّدِّيقين ، والشهداء؟

فالجواب : أنهم يحشرون مع **النبيين** ؛ لأن الأنبياء شأنهم أداء الأمانات ، وبذل النَّصيحة ، فيحشر التاجر الأمين مع النبيين بهذا الوصف .

ويحشر مع **الصديقين** ، لأن الصِّدِّيق شأنه الصَّفاء في الظاهر والباطن ، قد استوى ظاهره وباطنه ، والتاجر الصَّدوق كذلك ، فيُحشر مع الصِّدِّيقين بهذا الوصف .

ويحشر مع **الشهداء** ، فإنَّ الشهيد كان شأنه الجهاد ، والتاجر الصَّدوق الأمين يجاهد نفسه ، وشيطانه ، وهواه ، فيحشر مع الشهداء .

ويحشر مع **الصالحين** بهذا الوصف والله أعلم. فنسأل الله أن يوفقنا لطاعته ، وأن يُجنِّبنا معصيته ، إنَّه جواد كريم .

* * *

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٦) وقال : رواه الأصبهاني وهو غريب جداً. وأقول : وقد صدَّره بكلمة روي وهي دلالة على ضعف إسناده.

(٢) رواه الترمذي رقم(١٢٠٩) . وفي إسناده أبو حمزة ، واسمه عبد الله بن جابر ، لم يوثقه غير ابن حبان. وللحديث شاهد عند ابن ماجه رقم (٢١٣٩) من حديث ابن عمر. وقال الترمذي : حديث حسن.

الكبيرة السّابعة والثلاثون

ترك الحجِّ مع القدرة عليه

قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «من ملك زاداً وراحلةً تُبَلِّغُه بيتَ الله ولم يحجَّ؛ فلا عليه إلا أن يموت يهودياً، أو نصرانياً، وذلك: أنَّ الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] رواه الترمذيُّ(١).

وروى سعيد بن منصور عن عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قال: لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار، فينظر كل من كان له جِدَةٌ ولم يحجَّ، فيضربوا عليهم الجزية، ماهم بمسلمين! ما هم بمسلمين(٢).

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨١٢) في الحج. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله مجهول. والحارث يعني الأعور ضعيف في الحديث. وقال الحافظ في التقريب: هلال بن عبد الله الباهلي أبو هاشم البصري متروك. وقد ذكر الحديث ابن الجوزي في الموضوعات. وقال العقيلي والدارقطني: لا يصح فيه شيء. وللحديث طرق كلها ضعيفة. ذكر بعضها الحافظ في «التلخيص».

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ المؤلف ورواه البهيقي بلفظ ليمت يهودياً أو نصرانياً يقولها ثلاث مرات. رجل مات ولم يحج ووجد لذلك سعةً وخُليت سبيله. قال الحافظ ابن حجر. إذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط. عُلم أنّ لهذا الحديث أصلاً. ومحمله على من استحل الترك.

فصل

سئِلَ النبيُّ ـ ﷺ ـ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «حجٌ مبرور»[1].

قال العلماء: المبرور: الذي لا يخالطه لغوٌ ولا خيانةٌ. وقال ﷺ: «مَنْ حجَّ فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمُّه». مخرَّج في «الصَّحيحين»[2].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٦و١٥١٩). ومسلم رقم (٨٣). والنسائي (٨/ ٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (١٨٢٠). ومسلم رقم (١٣٥٠). والحميدي رقم (١٠٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكبيرة الثامنة والثلاثون

التعلُّم للدُّنيا، وكتمان العلم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ . . .﴾ [البقرة: ١٧٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال ﷺ: «مَنْ تعلَّم علماً ممَّا يُبتغى به وجه الله؛ لا يتعلمه إلاَّ ليُصيب به عرَضاً من الدُّنيا؛ لم يجد عَرف الجنَّة ـ يعني: ريحها ـ يوم القيامة». أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[١].

وقد تقدَّم قوله ـ ﷺ ـ عن الذين يسحبون إلى النَّار على وجوههم، وأحدهم الذي يقال له: «إنَّما تعلَّمتَ؛ ليقال: عالم، وقد قيل». أخرجه مسلم[٢].

وعن جابر مرفوعاً قال: «لا تتعلموا العلم؛ لتباهوا به العلماء، أو تماروا به

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٦٦٤). وابن ماجه رقم (٢٥٢). وأبو يعلى رقم (٦٣٧٣). والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) وصححه. ووافقه الذهبي. وجود إسناده الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٦١).

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السفهاء ، ولا لتَخيَّروا به المجالس ، مَنْ فعل ذلك فالنَّار النَّار». رواه ابن وهب عن ابن جريج فأرسله[١].

وروى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ، عن النبيِّ - ﷺ - قال: «مَنْ ابتغى العلم ليُباهي به العلماء ، أو يُمارى به السُّفهاء ، أو تُقبلَ أفئدةُ النَّاس إليه؛ فإلى النَّار». وفي لفظ: «أدخله الله النَّار». أخرجه الترمذيُّ[٢].

وقال ﷺ: «مَنْ سئل عن علمٍ ، فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ». إسناده صحيح[٣].

وقد قال النبيُّ - ﷺ -: «أللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع»[٤].

وقال ﷺ: «مَنْ تعلَّم العلم لغير الله ، وأراد به غير الله؛ فليتبوَّأ مقعدَه من النَّار». رواه التِّرمذيُّ[٥].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: مَنْ تعلَّم علماً لم يعمل به؛ لم يزده العلم إلاَّ كبراً.

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبيِّ - ﷺ - قال: «يُجاء بالعالم السُّوْء يوم القيامة ، فيُقذف في جهنَّم فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرَّحا ، فيقال له: بمَ لقيت هذا ، وإنما اهتدينا بك؟ فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»[٦].

فنعوذ بالله من علمٍ لا ينفع. ونسأله العفو والعافية ، إنَّه جواد كريم.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٥٤). وابن حبان رقم (٩٠) موارد والحاكم في المستدرك (١/ ٨٦) وصححه. وقال الذهبي في التلخيص: رواه ابن وهب فأرسله. وقال البوصيري في الزوائد رجال إسناده ثقات. أقول وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٥٤). والحاكم (١/ ٨٦). وصححه ووافقه الذهبي ، أقول: وهو حديث حسن ويشهد له حديث جابر السابق.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٦٤٩). وابن ماجه رقم (٢١٦). وأبو داود رقم (٣٦٨٥) وقال الترمذي هـذا حديث حسن. وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ١٠١) ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٧٢٢). من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٦٥٥). وابن ماجه رقم (٢٥٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٦و١١٧) رواه الترمذي. وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دُرَيْك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال إسنادهما ثقات.

(٦) رواه البخاري رقم (٣٢٦٧). ومسلم رقم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

الكبيرة التاسعة والثلاثون

التكذيب بالقدر

قال الله ـ عز وجلّ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] والنُّصوص في ذلك كثيرة.

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما بعث الله نبياً إلا وفي أمته قدريةٌ ومرجئةٌ، إنَّ الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيَّاً»[١].

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم: المكذب بالقدر، والمدمن الخمر، والمتبري من ولده»[٢].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٥). والطبراني في الكبير رقم (٢٠/ ١١٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٤) وقال: رواه الطبراني. وفيه بقيةُ بن الوليد. وهو لين. ويزيد بن حصين لم أعرفه: أقول إسناده ضعيف بقيةُ بن الوليد لين. ومدلس وقد عنعنه. القدريةُ. هم الذين يقولون الخير من الله. والشر من الإنسان. وإن الله لا يريد فعل العصاة، وسموا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرةً توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى.
المرجئة قوم يقولون. الإيمان قول بلا عمل. انظر «تهذيب الآثار» مسند ابن عباس (٢/ ٦٥٨و٦٥٩).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٣). وإسناده ضعيف. بقيةُ بن الوليد. مدلس وقد عنعن وباقي رجال السند ثقات.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لكلِّ أمَّةٍ مجوس ، ومجوس هذه الأمَّة ؛ الذين يزعمون أنْ لا قدر»[1] .

وعن الحسن عن عائشة عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة»[2] .

وعن ابن عباس مرفوعاً: «صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب: القدرية ، والمرجئة»[3] .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «خلق الله كلَّ صانعٍ وصنعته»[4] .

وفي «الصَّحيحين»[5] من حديث جبريل ـ عليه السلام ـ: أنَّه قال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والقدر خيره وشره» .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «ستَّةٌ لَعَنْتُهم ، ولعنهم الله وكلُّ نبيٍّ مُجاب: المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله ، والمُتسلط بالجبروت ، والمستحلُّ لِحُرَمِ الله ، والمستحلُّ من عترتي ما حرَّم الله ، والتَّارك لسنتي» . إسناده صحيح[6] .

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٣٤٥٦). وأبو داود رقم (٤٦٩٢). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٩). وفي إسناده عمر مولى غفرة. وهو بن عبد الله المدني ضعيف. وقد اضطرب في إسناده. وفيه رجل مبهم. وللحديث شواهد.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣١). وإسناده ضعيف عبد الله بن خالد الفرقساني لم نجد له ترجمة. وعبد الله بن يزيد متهم بالكذب.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢١٤٩). وابن ماجه رقم (٦٢). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٤). وإسناده ضعيف ، نزار بن حيان ذكره ابن حبان في الضعفاء. وقال يأتي عن عكرمة بما ليس من حديثه. والقاسم بن حبيب ضعيف أيضاً. فالحديث ضعيف الإسناد.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣١). وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧و٣٥٩). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٥) رواه البخاري رقم (٥٠). ومسلم رقم(١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم رقم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٦) رواه الترمذي رقم (٢١٥٤). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٧). وابن حبان رقم (٥٢) موارد والحاكم (١/ ٣٦). وصححه ووافقه الذهبي ورواه الحاكم ثانياً (٢/ ٥٢٥). وسكت عليه الذهبي في هذا الموضع. =

وعن أبي الدَّرداء عَن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنَّة عاقٌّ ، ولا مكذبٌ بقدر ، ولا مُدْمِنُ خمرٍ»[1] .

وعن ابن عمر عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «القَدَريَّة مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» . قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: رواته ثقاتٌ ، لكنه منقطع[2] .

وعن نافع: أن ابن عمر جاءه رجلٌ ، فقال: إنَّ فلاناً يقرأ عليك السَّلام . فقال: إنَّه بلغني: أنَّه أحدث فلا تُقرئه مني السَّلام ، إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «يكون في هذهِ الأمة خسفٌ ، ومسخٌ ، وقذفٌ ، وذلك في أهلِ القدر»[3] .

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنِّي رسول الله ، ويؤمن بالبعث ، ويؤمن بالقدر» . أخرجه الترمذيُّ[4] .

وعن جابر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ مجوس هذه الأمَّة المكذبون بأقدار

= وقال الترمذي: هكذا روى عبد الرحمن بن أبي الموالي هذا الحديث عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن عمرة. عن عائشة. عن النبي ﷺ ، ورواه سفيان الثوري. وحفص بن غياث وغير واحد عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن علي بن حسين عن النبي ﷺ مرسلاً. وهو أصح. فالحديث ضعيف كما قال الذهبي في التلخيص.

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٢٧٤٨٤). وابن ماجه رقم (٣٣٧٦). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢١). والبزار رقم (٢١٨٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢): فيه سليمان بن عتيبة الدمشقي. وثقه أبو حاتم. وضعفه ابن معين. أقول: وللحديث شواهد فهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم(٥٥٨٤). وأبو داود رقم (٤٦٩١). والحاكم (١/ ٨٥). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٣٩). وفي إسناده عمر بن عبد الله مولى غفرة ضعفه ابن معين. وقال: لم يسمع من أحد من أصحاب النبي ﷺ وقال أحمد أكثر أحاديثه مراسيل. وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود: هذا منقطع أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر. والحديث ضعيف.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢١٥٢). وابن ماجه رقم (٤٠٦١). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب أقول: إسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٧٥٨). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٨٧) والبزار رقم (٩٠٤). والترمذي رقم (٢١٤٥). وإسناده صحيح. وصححه الحاكم (١/ ٣٢و٣٣). ووافقه الذهبي.

الله ، إن مرضوا؛ فلا تعودوهم ، وإن ماتوا؛ فلا تُصلُّوا عليهم ، وإن لقيتموهم؛ فلا تسلموا عليهم» . رواه أبو بكر بن أبي عاصم في السُّنَّة[1] .

فنسأل الله العفو ، والعافية ، والعصمة من الأهواء المضلَّة ، وأن يُثبِّتنا على السُّنَّة ، وأن يتوفَّانا عليها .

* * *

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم(٣٢٨). وابن ماجه رقم (٩٢) وفي إسناده أبو الزبير مدلس. وقد عنعنه. وقال النسائي: هذا الحديث باطل كذب. وانظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٠) وفيض التقدير (٢/ ٥٢٠).

الكبيرة الأربعون

الـغَـــدْر

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل: ٩١] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]. وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «أربعٌ مَنْ كنَّ فيه كان منافقاً: إذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» مخرج في «الصحيحين»(١).

وقال ﷺ: «لكلِّ غادرٍ لواء عند استه، يُقال: هذه غَدرةُ فلان، ألا ولا غادر أعظم غدْراً من أمير عامَّة». أخرجه مسلم(٢).

وقال ﷺ: قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: «ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره». رواه البخاريُّ(٣).

وقال ﷺ: «مَنْ خلع يداً من طاعة الله لَقيَ الله يوم القيامة ولا حجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ؛ مات ميتةً جاهلية». أخرجه مسلمٌ(٤).

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٤). ومسلم رقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(استه) أي خلف ظهره، لأن لواء العزة ينصب تلقاء الوجه. فناسب أن يكون عَلَمُ الذلة فيما هو كالمقابل له.

(٣) تقدم تخريجه ص (؟؟).

(٤) رواه مسلم رقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «مَنْ أحبَّ أن يُزحزحَ النَّار ، ويَدخل الجنَّة؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى النَّاس الذي يُحب أن يُؤتى ، ومَنْ بايع إماماً ، فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه؛ فليُطعه إن استطاع ، فإن جاء أحدٌ ينازعه فاضربوا عنق الآخر». أخرجه مسلم[1].

وقال ﷺ: «مَنْ أطاعني؛ فقد أطاع الله، ومَنْ عصاني؛ فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». أخرجاه في «الصحيحين»[2].

وقال ﷺ: «ومن كره من أميرهِ شيئاً؛ فليصبر ، فإنَّه من خرج من السلطان شبراً؛ مات ميتةً جاهليةً». متفق عليه[3].

وقال ﷺ: «مَنْ خرج من الجماعة شبراً؛ فقد خلع ربقة الإسلام». وهذا حديث صحيح[4].

وأيُّ جرم أعظم من أن تبايع رجلاً ، ثم تنزع يدك من طاعته ، وتنكث الصفقة ، وتخرج عنه ، وتخذله حتى يقتل.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٩٥٧). ومسلم رقم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٧٠٥٣). ومسلم رقم(١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أحمد في المسند (١٧١٧٠). والترمذي رقم (٢٨٦٣و٢٨٦٤) وأبو يعلى رقم (١٥٧٢). وابن خزيمة رقم (١٨٩٥). وابن حبان رقم (٦٢٣٣) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

الكبيرة الحادية والأربعون

البغي

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله أوحى إليّ: أن تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ». أخرجه مسلم[١].

وقال ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدر أن يُعجَّل لصاحبه العقوبة مع ما يُدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم». أخرجه أبو داود، والترمذيُّ، وقال: حديث صحيح[٢].

قوله: «البغي» هو تجاوز الحدِّ في المقاصد، يقال: بغى الرَّجل: إذا تكبَّر، واستطال على المبغي عليه، ولم يرحمه، ولا يرقُّ له.

وبغت المرأة: إذا فجرت، وخرجت إلى الفجور. وبغى الجرح: إذا تجاوز الحدَّ في فساده.

وفي الآثار: لو بغى جبلٌ على جبل؛ لصار الثاني منهما تراباً»[٣].

فنعوذ بالله من البغي والفساد، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

* * *

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥ و٦٤) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٠٢). والترمذي رقم (٢٥١١). وابن ماجه رقم (٤٢١١) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٦) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) عزاه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٧٤٣٠) إلى ابن لال عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورمز له السيوطي بالضعف. وانظر الكلام عليه في المقاصد الحسنة رقم (٨٨٨).

الكبيرة الثانية والأربعون

نشوز المرأة على زوجها

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

وفي «صحيح ابن خزيمة»[١] من حديث جابرٍ: أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «ثلاثةٌ لا يقبل الله لهم صلاةً، ولا تصعد لهم إلى السَّماء حسنةٌ: العبدُ الآبق، والمرأة السَّاخط عليها زوجها حتى يرضى، والسَّكران حتى يصحو».

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا دعا الرَّجل امرأته إلى فراشهِ فلم تأت، فبات غضبان عليها؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح»[٢].

وفي رواية: «إذا باتت المرأة هاجرةً فراش زوجها، فتأبى عليه إلاَّ كان الذي في السَّماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها». مُخرَّج في «الصَّحيحين»[٣].

وقال ﷺ: «لا يحلُّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلا باذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه». أخرجه البخاريُّ[٤].

---

(١) رواه ابن خزيمة رقم (٩٤٠). وابن حبان رقم (٥٣٥٥). وابن عدي في الكامل (٣/ ٢١٩) وفي إسناده زهير بن محمد العنبري الخراساني. قال عنه البخاري: روى مناكير، وقال النسائي: زهير ليس بالقوي. وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب: دار الفكر ببيروت (٣/ ٣٠١و٣٠٢).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٣٧). ومسلم رقم (١٤٣٦و١٢٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٥١٩٤). ومسلم رقم (١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري رقم (٥١٩٥). ومسلم رقم ١٠٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». أخرجه الترمذيُّ، وقال: صحيح[1].

وذكرت امرأةٌ زوجَها للنبيِّ - ﷺ - فقال: «أنظري أين أنت منه؟ فإنَّه جنتك ونارك». أخرجه النِّسائيُّ[2].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه». إسناده صحيح[3].

ويروى عنه - ﷺ -: أنَّه قال: «مَنْ خرجت من بيت زوجها - يعني: بغير إذنه - لعنتها الملائكة حتى ترجع، أو تتوب»[4].

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ.

وعن كعب - رحمه الله - قال: أول ما تُسأل عنه المرأة يوم القيامة صلاتُها، ثمَّ حقُّ زوجها.

---

(١) رواه الترمذي رقم (١١٥٩). وابن حبان رقم (٤١٦٢). والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١و١٧٢). والبزار رقم (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.
ومن شواهده ما رواه أحمد (٥/ ٢٢٧) عن معاذ رضي الله عنه. وعن قيس بن سعد عند أبي داود رقم (٢١٤٠) وعن ابن عباس رواه الطبراني (١٢٠٠٣). وعن زيد بن أرقم عند الطبراني رقم (٥١١٧) والبزار رقم (١٤٦٨).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٠٠٣). والنسائي في الكبرى رقم (٨٩٦٣و٨٩٦٤) والحاكم (٢/ ١٨٩). والبيهقي في الشعب رقم (٨٧٢٩). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٦) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح. من حديث الحصين بن محصن عن عمته رضي الله عنها.

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٣/ ١٦٨). والبزار رقم (١٤٦٠). والبيهقي في السنن (٧/ ٢٩٤). والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٩) وقال: رواه البزار بإسنادين والطبراني. وإحدى إسناد البزار رجاله رجال الصحيح. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بنحوه رقم (٥١٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣١٣) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سويد بن عبد العزيز متروك.

وروي عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّه قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها؛ فلتدخل من أي أبواب الجنَّة»[1].
اللهم إنا نسألك العفو والمغفرة برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٦١). والطبراني في الأوسط رقم (٨٨٠٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٦): رواه أحمد والطبراني في الأوسط. وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. وبقية رجاله رجال الصحيح من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. أقول وهو حديث حسن بطرقه وشواهده. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان رقم (٤١٦٣) وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار رقم (١٤٦٣و١٤٧٣). وثالث عن عبد الرحمن بن حسنة نسبة الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٦). إلى الطبراني، فالحديث بهذه الشواهد يتقوى.

الكبيرة الثالثة والأربعون

قطيعة الأقارب وهجرانهم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] أي: واتقوا الأرحام أن تهجروها. والأرحام: هم الأقارب.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥]. هم الأقارب.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة قاطعٌ». مخرَّج في «الصَّحيحين»[١].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَصِلْ رَحِمه»[٢].

وقال ﷺ: «إنَّ الله خَلقَ الخلقَ حتى إذا فرغ منهم؛ قامت الرَّحم ـ يعني القرابة ـ فسألت: هذا مقامُ العايذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما يُرضيك أن أصل من وصَلَكِ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى!»[٣].

وقال ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره؛ فَلْيَصِلْ رحمه»[٤].

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٩٨٤). ومسلم رقم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٦١٣٨). ومسلم رقم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٣٠). ومسلم رقم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(العايذ) أي المستعيذ وهو المعتصم بالشيء الملتجىء إليه المستجير به.
(القطيعة): الهجران والصد. (أن أصل من وصلك) قال العلماء: حقيقة الصلة العطف والرحمة فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم.

(٤) رواه البخاري رقم (٥٩٨٦) ومسلم رقم (٢٥٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «الرحم معلقةٌ بالعرش تقول: مَنْ وصلني؛ وصله الله، ومَنْ قطعني، قطعه الله»[1].

وفي لفظ: «يقول الله: مَنْ وصلها؛ وصلته، ومَنْ قطعها؛ بتتُّه»[2]. متفق على هذه الأحاديث.

فنقول: مَنْ قطع أقاربه الفقراء وهو غنيٌّ فهو مراد، ولا بدَّ بهذا الوعيد، وكان مَنْ قطعهم بالجفاء، والإهمال، والحمق، والتكبُّر عليهم ولو كان فقيراً لا مال له؛ وصلهم بالزيارة والسَّلام. كما قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «برُّوا أرحامكم ولو بالسَّلام»[3]. فمعناه: صلوا أقاربكم ولو بالسَّلام عليهم.

وإن كان غنيّاً وأقاربه فقراء؛ وصلهم بمعروفه، وإحسانه، وبرِّه، فإنَّ الأجر فيهم يضاعفه الله. كما قال ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقةٌ، وصلةٌ»[4].

وينبغي أن يجتهد في الإحسان إليهم وإن أساؤوا إليه؛ ليكون أجره على الله خالصاً. كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال رجلٌ للنبيِّ ـ ﷺ ـ: إنَّ لي قرابةً أصلُهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويَجهلون عليَّ، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لئن كنت كما

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٩٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البزار رقم(١٨٧٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢) وقال: رواه البزار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «بُلوا الأرحام ولو بالسلام» وفي إسناده يزيد بن عبد الله بن البراء الغنوي ضعيف ورواه البيهقي في الشعب رقم (٧٩٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه ورواه البيهقي في الشعب رقم (٧٩٧٢). والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٥٤٠) من حديث سويد بن عامر رضي الله عنه. وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن. وقال البخاري: طرقه ضعيفة، ويقوي بعضها بعضاً.

(٤) رواه الدارمي رقم (١٧٢٢ و١٧٢٣). والحميدي رقم (٨٤٤). وابن ماجه رقم و(١٨٤٤). والنسائي (٥/ ٩٢). والحاكم (١/ ٤٠٧). وصححه ووافقه الذهبي والترمذي رقم (٦٥٨) وقال الترمذي: حديث حسن من حديث سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

قُلت فكأنما تُسِفُّهم[1] المَلَّ[2] ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك». مخرَّج في «الصحيح»[3].

وقال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافىء ، ولكنَّ الواصل؛ الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[4].

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا عليُّ! ألا أدلُّك على خير أخلاق الأولين والآخرين؟» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «تعطي مَنْ حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفوا عمَّن ظلمك»[5].

وقال ﷺ: «إنَّ أعمال أمتي تعرض عليَّ عشية الاثنين والخميس ، فمن كان في صحيفته صلة الرَّحم ، رُفعت إلى عليين ، ومَنْ لم يكن في صحيفته صلة الرَّحم؛ أُرجئت إلى يوم القيامة ، حتى ﷺ يسأل عن ذوي الأرحام»[6].

وعن أبي أيوب قال: جاء أبو هريرة عشية خميس ليلة الجمعة ، فقعد ، وقعد الناس حوله: فقال: أُحَرِّجُ على قاطع رحم إلا قام من عندنا يقول ذلك ثلاثاً ، فقام شابٌ ، فأتى عمةً له ، كان قد صارمها منذ سنين ، فسلَّم عليها ، فقالت: يا بن أخي! ما جاء بك؟ فقال: قعدتُ إلى أبي هريرة ، فقال: أُحَرِّجُ على كلِّ قاطع رحمٍ إلا قام من عندنا ، حتَّى كانت الثالثة ، فقالت: ارجع إليه فقل له: لم ذلك؟ فرجع إليه ، فأخبره بما فعل مع عمَّته ، وما أمرتهُ به ، فقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنَّ أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل قاطع رحم». أخرجه البيهقي في كتاب شعب الإيمان»[7].

---

(١) تُسِفهم: أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار. وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم.

(٢) المَل: بفتح الميم ، وهو الرَّماد الحار.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري رقم (٥٩٩١). وأبو داود رقم (١٦٩٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه البيهقي في الشعب رقم (٧٩٥٦). وفي إسناده نعيم بن يعقوب. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. أقول: وله شواهد.

(٦) رواه أحمد في المسند رقم (١٠٢٧٢). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة. فلا يُقبل عمل قاطع رحم.). وهو حديث صحيح.

(٧) رواه البيهقي في الشعب رقم (٧٩٦٦). وهو حديث صحيح بما قبله.

وكان يقال: إذا كان لك قريب، فلم تمش إليه برجلك، ولم تعطه من مالك؛ فقد قطعته، وإنْ قلَّ مالك فامش إليه برجلك.

وروي عن الحسن ـ رحمة الله عليه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «خطا عبد خطوة أحبُّ إلى الله من خطوةٍ إلى الصلاة الفريضة خطوة إلى ذي الرَّحم»(١) يعني: القرابة.

وقال سعيد بن المسيب(٢): لا خير في مالٍ لا يصل به صاحبه رَحِمَهُ، ولا يبرُّ منه جاره، وصديقه.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: اللئيم إذا ارتفع؛ جفا أقاربه، وأنكر معارفه. والكريم كما قال القائل:

إنَّ الكِـرامَ إذا مـا أَسْهلُـوا ذَكَـروا ... مَنْ كـان يألفُهم فـي المَنْـزِل الخشِنِ

يعني: أنَّ الكريم؛ الذي هو ضدُّ اللئيم، إذا أيسر وافى أقاربه ورحمه، وافتقد أصحابه ومعارفه، وأحسن إليهم، وذلك من شكر نعمة الله، ومِنْ شكر الله؛ زاده من فضله، ومَنْ كفر بنعمة الله عاقبه الله بعذابه.

كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم: ٧].

ومن أحسن إلى أقاربه بمعروفه، وواساهم ممَّا أعطاه الله، ورحمهم ووصلهم بإحسانه، فقد شكر نعمة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ودخل في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١] يعني: يصلون أقاربهم، ويخشون ربَّهم، فلهم ما وعدهم الله في آخر اللآية وهو قوله ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ، وهو حديث مرسل.

(٢) هو الإمام العلم أبو محمد القرشي المخزومي. عالم أهل المدينة. وسيد التابعين في زمانه. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر. رأى عمر وسمع من عثمان. وكان ممن رزق العلم والعمل. وأفتى والصحابة أحياء، توفي رحمه الله سنة (٩٤) هـ.

وخيرُ الرِّجال الطَّائِعون لِرَبِّهم وَمَنْ واصلَ الآباء بالإحسانِ
ومَنْ أكرمَ الأرحامَ عطفاً ورحمةً لهُ الغُرَفُ العليا بدار أمانِ

فنسأل الله المعونة لما يحبُّه ويرضاه ، وأن يجنبنا ما يسخطه ويقلاه [1]، وأن يوفقنا لطاعته أجمعين ، إنَّه جوادٌ ، كريم ، رؤوف رحيم .

* * *

(١) ويَقلاه ـ أي : يبغضه .

الكبيرة الرّابعة والأربعون

التصوير وغير ذلك

وقال رسول الله - ﷺ -: «قال الله - عزَّ وجلَّ -: ومن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبَّة، أو ليخلقوا شعيرة، أو ليخلقوا ذرَّةً». متفق عليه[1].

وصحَّ عن النبي - ﷺ -: أنَّه قال: «كلُّ مصوِّر في النَّار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نَفْساً فتُعَذِّبُه في جهنم»[2].

وفي لفظٍ عن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبَّاس، فقال: إنِّي رجلٌ أصوِّر هذه الصُّوَر، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني! فدنا منه، ثم قال له: ادن مني! فدنا منه، حتى وضع يده على رأسه، وقال أُنبئكَ بما سمعت من رسول الله - ﷺ - سمعته يقول: «كلُ مُصوِّرٍ في النَّار، يُجعل له بكل صورةٍ صوَّرها نَفْسَاً، فيعذب به في جهنم». ثم قال له: إن كنت ولا بد فاعلاً، فاصنع الشَّجر، وما لا روح فيه. مخرَّج في «الصَّحيحين»[3].

وقال ﷺ: «مِنْ صوَّر صورةً كُلِّف أن ينفخَ فيها الرُّوح، وليس بنافخ»[4].

وقال ﷺ: «أشدُّ الناس عَذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» أخرجاه في «الصحيحين»[5].

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٩٥٣). ومسلم رقم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٢٢٥). ومسلم رقم (٢٢١٠).

(٤) رواه البخاري رقم (٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه البخاري رقم (٥٩٥١). ومسلم رقم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه البخاري رقم (٥٩٥٠). ومسلم رقم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «لا تدخل الملائكةُ بيتاً فيه كلب ولا صورة»[1].

وكذلك قال العلماء: يحرم الجلوس في بيت فيه صورة، ويجب إتلافها.

لما روي عن عليٍّ - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله - ﷺ - فقال: «لا تدع صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مشرِفاً إلا سويته»[2].

ويباح كل ما يداس تحت الأرض، وأما صنعتُه؛ فحرام.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ قتله نبيٌّ، أو مصور يصور هذه التماثيل». أخرجه مسلم[3].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قدم رسول الله - ﷺ - من سفرٍ وقد سترتُ سهوة لي بقرامٍ فيه تماثيل، فهتكه، وتلوَّن وجهه، وقال: «أشدُّ الناس عذاباً عند الله الذين يضاهون بخلق الله». مخرَّج في الصحيحين[4].

السَّهْوَة: كالصُّفة في البيت. والقرام: ستر رقيق.

وفي «السُّنن» بإسناد جيد: «يخرج عنقٌ من النار يوم القيامة يقول: إني وُكِّلت بكلِّ مَنْ دعا مع الله إلهاً آخر، وبكلِّ جبّار عنيد، وبالمصورين». رواه الترمذيُّ، وصححه[5].

وقال ﷺ: «إنَّ الذين يصنعون هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[6].

وهذا عامٌ في كل صورةٍ حتى من الشَّمع والعجين، فليحذر العبد من ذلك،

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٢٥ و٣٢٢٦) ومسلم رقم (٢١٠٧) من حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٩٦٩). وأبو داود رقم (٣٢١٨).

(٣) انظر جامع الأصول (٤/ ٨٠٠) رقم الحديث (٢٩٥٧).

(٤) رواه البخاري رقم (٥٩٥٤) ومسلم رقم (٢١٠٧و٩٢).

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (٨٤٣٠). والترمذي رقم (٢٥٧٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح وقال الترمذي: هذا الحديث حسن صحيح غريب، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وعن عائشة رضي الله عنها (عنق من النار) أي طائفة منها.

(٦) رواه البخاري رقم (٥٩٥١). ومسلم رقم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولا يعمل بيده ما يكون سبباً لعذابه ، فيكون قد أدخل نفسه النار على بصيرة ، كما يشاهد كثير من الجهلة الأشقياء ، يصنعون هذا كثيراً في الثياب ، وعلى الحيطان، والدهانات، والقصوصات، والشمع ، والأوراق ، والرسوم ، والبسط وغيرها.

وإذا قيل لأحدهم: هذا لا يحلُّ عمله ، وتُعذَّب عليه يوم القيامة؛ يقول: هذا سببي ورزقي منه. وهذا من أكثر النَّاس جرماً؛ فإنَّ الله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، فدخل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

ومثل ذلك الصنائع المحرمة؛ كالتنجيم ، والسِّحر ، والكهانة ، والضرب بالرَّمل والشعير والحصا ، وعمل آلات اللَّهو ، كالدُّفِّ ، والشَّبَّابة ، والزَّمر ، والغناء والضرب بالدُّفِّ والكفِّ ، فكلُّ هذه صنائع محرَّمة ، وما يعطى عليها حرام ، ولا يحلُّ له الإقامة عليها.

وقد روى ابن ماجه في «سننه»(١) عن صفوان بن أميَّة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنَّا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فجاءه عمرو بن مرَّة(٢) ، فقال: يا رسول الله! إنَّ الله قد كتب عليَّ الشِّقوة فما أراني أُرزقُ إلا من دُفِّي بكفي ، فائذن لي في الغناء في غير فاحشةٍ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا آذن لك ولا كرامة ، ولا نعمة عين. كذبت أي عدوَّ الله! لقد رزقك الله حلالاً طيباً ، فاخترت ما حرم الله عليك من رِزقه مكان ما أحل لك من حلاله ، ولو كنتُ تقدَّمت إليك؛ لفعلت بك ، وفعلت ، قُم عنِّي ، وتب إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أما إنَّك إن فعلت بعد التقدمة إليك؛ ضربتك ضرباً وجيعاً ، وحلقت رأسك مُثلةً ، ونفيتك من أهلك ، وأحللت سَلَبَك نهبةً لفتيان أهل المدينة».

قال: فقام عمرو وبه من الشرِّ والخِزي ما لا يعلمه إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فلمَّا ولَّى؛ قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «هؤلاء العصاة مَنْ ماتَ منهم بغير توبةٍ؛ حشره الله

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٦١٣) من حديث صفوان ابن أمية رضي الله عنه. وفي إسناده بشر بن نمير البصري قال فيه يحيى القطان كان ركناً من أركان الكذب. ويحيى بن العلاء قال أحمد كان يضع الحديث.

(٢) في المخطوط قره. وهو خطأ ، والتصحيح من ابن ماجه.

يوم القيامة كما كان في الدنيا مُخنَّثاً ، عرياناً ، لا يستتر من الناس بهُدْبةٍ ، كلَّما قام صُرِع».

فانظر ـ رحمك الله ـ! إلى هذا وما أجابه النبيُّ ـ ﷺ ـ عن سؤاله ، وماذا يكون حال هؤلاء العصاة يوم القيامة إذا ماتوا من غير توبةٍ ولا إقلاع عن المعاصي التي هم عليها.

فنسأل الله أن يمنَّ علينا بالتَّوبة والعصمة من كل ما يكرهه ، والتوفيق لما يحبُّه ويرضاه. إنَّه جوادٌ كريمٌ ، رؤوف رحيم.

* * *

الكبيرة الخامسة والأربعون

النَّـمـيـمـة

وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم.

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١] وفي «الصَّحيحين»[١] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «لا يدخل الجنَّة نمَّام».

وفيهما[٢] أيضاً: أنَّه ـ ﷺ ـ مرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير، أمَّا أحدهما؛ فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر؛ فكان يمشي بالنميمة».

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنَّة قتاتٌ» أخرجه الترمذيُّ[٣].

والقتَّات: هو النَّمام.

وقال ﷺ: «لا يبلِّغني أحدٌ عن أصحابي شيئاً، فإني أحبُّ أن أخرَج إليهم وأنا سليم الصَّدر». أخرجه أبو داود، والتِّرمذيُّ[٤].

وعن كعبٍ ـ رحمه الله ـ قال: اتقوا النَّميمة؛ فإنَّ صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

وروى منصور عن مجاهد في قوله: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٥] قال: كانت تمشي بالنَّميمة، وسميت النَّميمة حطباً؛ لأنَّها سببٌ لاشتعال النَّار.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٢١٨). ومسلم رقم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٠٥٦). ومسلم رقم (١٠٥ و١٦٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٨٦٠). والترمذي رقم (٣٨٩٣). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

وعن حمَّاد بن سلمة: أنَّه قال: باع رجلٌ غلاماً، فقال للمشتري: ليس به عيبٌ إلا أنَّه نمَّام، فاستخفَّ المشتري بهذا العيب واشتراه، فمكث الغلام عنده أياماً، ثم قال لزوجة سيِّده: إنَّ سيِّدي لا يحبك، وهو يشتري عليك. يعني: يريد أن يشتري جاريةً؛ فتريدي أن يعطف عليك؟ قالت نعم: فقال: خذي الموسى، واحلقي من باطن لحيته شعرات إذا نام.

ثمَّ جاء إلى سيِّده، وقال: إنَّ امرأتك اتخذت خليلاً، وهي تريد أن تقتلك، وإن أردت أن يتبين لك ذلك؛ فتناوم لها. ففعل الرَّجل، فجاءت المرأة بالموسى لتأخذ شعراتٍ من لحيته كما قال لها الغلام، فظنَّ الرَّجل: أنها تريد قتله، فقام إليها، فقتلها؛ فجاء أهلها إليه فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين.

ولهذا قال يحيى بن معاذ: النَّمام أشرُّ من السَّاحر، ويعمل النَّمام في ساعة ما لا يعمله السَّاحر في شهر، كما فعل هذا الغلام.

وهو ذو الوجهين الذي قال النبي ـ ﷺ ـ عنه: «تجدون من شرِّ النَّاس عند الله ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجه». مخرَّج في «الصحيحين»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ كان له وجهان في الدُّنيا كان له يوم القيمة لسانان من نار». أخرجه أبو داود(٢).

فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة. إنَّه جواد كريم.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٠٥٨). ومسلم رقم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٧٣). من حديث عمار بن ياسر. وإسناده صحيح.

الكبيرة السّادسة والأربعون

الطَّعن في النَّسب

قد صحَّ عن النبيِّ - ﷺ -: أنَّ ذلك كفرٌ، فقال ﷺ: «ثنتان هما بالنَّاس كفرٌ: الطَّعن في النسب، والنياحة على الميت». رواه مسلم[1].

والطَّعن في النَّسب: هو القَدْح فيه، ومثاله: أن يقول لإنسان في حال المخاصمة: أصلك رديء، أو نسبك رديء، وهو يعلم أنَّ أصله ونسبه جيد. لكن حمله الهوى على الطعن فيه.

وقد قال النبيُّ - ﷺ -: «مَنْ رمى مسلماً بشيءٍ يريد به شَيْنه؛ حُبس يوم القيامة على جسرٍ من جسور جهنَّم، حتَّى يخرج ممَّا قال»[2].

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٨٣) من حديث سهل بن معاذ بن أسد الجهني رضي الله عنه. وإسناده حسن.

الكبيرة السّابعة والأربعون

النيّاحة على الميّت، ولطم الخدّ، وشق الجيوب، والدّعاء بالويل والثبور

وقد تقدّم قوله ـ ﷺ ـ: «ثنتان هما بالناس كفرٌ: الطعن في النّسب، والنياحة على الميّت»[1].

وقال ﷺ: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنُّجوم، والنِّياحة». قال: «والنائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ أُلبست يوم القيامة سربالاً من قطران، ودرعاً من جَرَبٍ». رواهما مسلم[2].

وقال ﷺ: «ليس منّا من ضَرَب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». رواه البخاريُّ ومسلمٌ[3].

وقال ﷺ: «إن[4] هذه النوائح يُجعلنَ صفين يوم القيامة، فينبُحن أهل النار، كما تَنبُح الكلاب»[5].

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم رقم (٦٧) في الإيمان. والترمذي رقم (١٠٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري رقم (١٢٩٧ و١٢٩٨). ومسلم رقم (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(4) إن سقطت من الأصل: وأثبتناها من مصدرها.

(5) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٢٢٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤): رواه الطبراني في الأوسط. وفيه سليمان بن داود اليماني ضعيف. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث وقال آخر: متروك.

وعن أبي سعيد الخدريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ النائحة والمستمعة إليها»[1]. وقال: «أيّما نائحةٍ ماتت قبل أن تتوب؛ ألبسها الله سربالاً من قطران، وأقامها للناس يوم القيامة»[2].

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ رسول الله بريءٌ من الصالقة، والحالقة، والشاقة[3]. رواه البخاريُّ ومسلم.

فالصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشَّاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة.

وكلُّ هذا حرامٌ ملعون فاعله، وهو من التسخُّط بقضاء الله وقدره الذي قدَّره.

وقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله إذا أحبَّ قوماً، ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومَنْ سخط فله السُّخط»[4]. نعوذ بالله من سخط الله.

فصل [في أجر الصابرين][5]

وقد وعد الله الصَّابرين بالصلاة، الرَّحمة، والهداية، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤) وقال: رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه الحسن بن عطية ضعيف ورواه البيهقي في الشعب رقم (١٠١٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وورواه البزار رقم (٧٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. فالحديث بهذه الطرق حسن.

(٢) رواه أبو يعلى رقم (٦٠٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده عيسى بن ميمون ضعفه جماعة. وقال آخرون: متروك. وذهب ابن حبان إلى أنه يروى الموضوعات عن الثقات توهماً.

(٣) رواه البخاري معلقاً رقم (٢٩٦) ووصله مسلم رقم (١٠٤).

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٣١). والترمذي بإثر الحديث (٢٣٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه وهو حديث حسن.

(٥) زيادة من المحقق وانظر في هذا الباب كتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن قيم الجوزية بتحقيقي ط دار البشائر بدمشق

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه ثم احتسبَه إلا الجنَّة»[١].

والصفيُّ: ما يصطفيه الإنسان لنفسه، ويعزُّ عليه فراقه مِنْ ولدٍ، أو أخٍ، أو زوجةٍ، أو مالٍ، أو عبدٍ.

وعن قرَّة بن إياس عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه فقد بعض أصحابه، فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله بُنيه الذي رأيته مات، فلقيه النبيُّ ـ ﷺ ـ فسأله عن بُنيِّه، فأخبره: أنَّه مات، فعزَّاه عليه، ثمَّ قال: «يا فلان! أيُّما كان أحبُّ إليك أن تمتَّع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنَّة إلا وجدته قد سبقك إليه، يفتحه لك» فقال: يا نبيَّ الله! بل يستقبلني إلى الجنَّة، فيفتحها لي، فهو أحبُّ إليَّ، فقال: «فذاك لك». رواه النسائي[٢].

وقال ﷺ: «إنما الصبر عند الصَّدمة الأولى». مخرَّج في «الصَّحيحين»[٣].

أي: الصبر المحمود إنما هو عند مفاجأة المصيبة، والصابر فيها هو المأجور، وأما إذا طالت الأيام؛ وقع السُّلُوُّ طبعاً، فلا يؤجر عليه.

وروي عن ابن جريج[٤]: أنَّه قال: مَنْ لم يتعزَّ عند مصيبته بالأجر والاحتساب؛ سلا كما تسلوا البهائم.

وكتب رجلٌ إلى بعض إخوانه يعزِّيه بابنه: أمَّا بعد؛ فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة، فإذا مات قَبْلَه فصلاة ورحمة، فلا تجزع على ما بك من حزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوَّضك الله من صلاته ورحمته.

وروى البيهقي بإسناده في مناقب الإمام الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ: أنه بلغه: أنَّ عبدَ الرحمن بن مهدي مات له ابن، فجزع عليه جزعاً شديداً، فبعث إليه الشافعيُّ:

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي رقم (٤/ ٢٣ و١١٨). وإسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري رقم (١٢٨٣ و٧١٥٤). ومسلم رقم (٦٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة. الحافظ شيخ الحرم أبو خالد المكي صاحب التصانيف. وأول من دوَّن العلم بمكة. كان صاحب تعبّد وتهجّد، وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ، توفي رحمه الله سنة (١٥٠) هـ.

يا أخي عزِّ نفسك بما تعزّي غيرك ، واستقبح من فعلك ، ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم يا أخي! أنَّ أَمضَّ المصائب فَقد محبوب ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ، فتناول حظَّك قبل أن تطلبه ؛ وقد نأى عنك ، آجرك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً. ثم كتب إليه شعراً يقول فيه :

إنِّـي مُعَـزِّيـكَ لا أنِّـي علـى ثِقَـةٍ   مِـنَ الحيـاةِ وَلكـنْ سُنَّـةُ الـدِّيـن
فمـا المُعَـزَّى بِبَـاقٍ بعـد ميتـه   ولا المُعَزِّي وَلَوْ عَاشا إلى حِيْنِ[1]

فنسأل الله أن يجعلنا من الصَّابرين ، والرَّاضين بقضائه وقدره ، إنَّه جوادٌ كريم ، رؤوفٌ رحيم.

* * *

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (١٠١٩٠) من كلام الشافعي رحمه الله موقوفاً عليه. وإسناده صحيح.

الكبيرة الثامنة والأربعون

الخروج على المسلمين بالسيف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد ورد في وصف الخوارج أثارٌ كثيرةٌ، واختلف الناس في تكفيرهم؛ لأنَّ النبيَّ - ﷺ - قال فيهم: «يَمرقون من الدين كما يمرقُ السَّهم من الرميَّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»[1].

وقال فيهم: «شرُّ قتلى تحت أديم السَّماء خيرُ قتلى من قتلوه»[2].

فالخوارج مبتدعون، مستحلُّون الدِّماء.

وعن ابن أبي أوفى قال: الخوارج كلاب النَّار[3].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٥٧). ومسلم رقم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه، وله طرق عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢١٨٣). والحميدي رقم (٩٣٢) وابن ماجه رقم (١٧٦). والترمذي رقم (٣٠٠٠) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وهو كا قال.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٩١٣٠). وابن ماجه رقم (١٧٣). وابن أبي عاصم في السنة رقم (٩٠٤) وقال البوصيري في زوائده (١/ ٦٧): رجال إسناده ثقات، إلا أن فيه انقطاعاً، الأعمش لم يسمع من ابن أبي أوفي. قاله غير واحد، ولم يقل أحد من الأئمة إنهم كفار. بل هم بغاة. بل إن علياً رضي الله عنه حين سئل عنهم أكفارٌ هم قال: هم من الكفر فروا.

الكبيرة التاسعة والأربعون

تكفير المسلمين بالكبائر

وهو مذهب الخوارج : أنهم يكفرون المسلمين بارتكاب الكبائر .

وقد قال النبيُّ - ﷺ -: «مَنْ قال لأخيه: يا كافر! فقد باء - أي: رجع - بها أحدهما» . مخرَّج في «الصحيحين»[1] .

* * *

(1) رواه البخاري رقم (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورقم (٦١٠٤) ومسلم رقم (٦٠) من حديث ابن عمر ضي الله عنهما .

الكبيرة الخمسون

أذيَّة الجيران وشتمهم

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم»(١).

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنَّة من لا يأمن جارُه بوائقه». أخرجه مسلم(٢).

البوائق: الغوائل والشرور.

وفي لفظ في «الصَّحيحين»(٣) قال رسول الله ـ ﷺ: «والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!» قيل: مَنْ يا رسول الله! قال: «مَنْ لا يأمن جاره بوائقه».

وفي لفظٍ: «لا يدخل الجنَّة من لا يأمن جارُه بوائقه».

وقال ﷺ: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»(٤).

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله: ولا يخذله قال العلماء. الخذل ترك الإعانة والنصر.

(٢) رواه مسلم رقم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٠١٦) من حديث أبي شريح الكعبي الخزاعي رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم رقم (٤٧و٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورقم (٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «سبابُ المسلمِ فسوقٌ ، وقتالهُ كفرٌ»[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله! إنَّ فلانة تصلي الليل ، وتصوم النهار ، وفي لسانها شيءٌ يؤذي جيرانها سليطة ، فقال: «لا خير فيها ، هي في النَّار»[2] . صححه الحاكم .

فصل في الإحسان إلى الجيران

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليحسن إلى جاره»[3] .

وقال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننتُ: أنَّه سيُورِّثه»[4] .

وقال لأبي ذرٍ ـ رضي الله عنه ـ: «إذا طبختَ مرقاً؛ فأكثر ماءه ، ثم انظر أهل بيتٍ من جيرانك فأصبهم منه بمعروف»[5] .

ويروى عنه ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «الجيرانُ ثلاثة ، منهم من له ثلاثة حقوق ، ومنهم من له حقَّان ، ومنه من له حقٌّ .

فأما الذي له ثلاثة حقوق؛ فالجار القريب المسلم له حقُّ الجوار ، وحق اللإسلام ، وحق القرابة .

وأمَّا الذي له حقَّان؛ فالجار المسلم ، له حقُّ الجوار ، وحقُّ الإسلام .

وأما الذي له حقٌّ فالجار الكافر ، له حق الجوار»[6] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨) ومسلم رقم(٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وانظر شرح مسلم للنووي (٢/ ٥٤) في شرح هذا الحديث .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٩٦٧٥) . والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٩) . والبزار رقم (١٩٠٢) . والحاكم (٤/ ١٦٦) . وصححه . ووافقه الذهبي وهو حديث حسن .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٠١٥و٦٠١٤) . ومسلم رقم (٢٦٢٤و٢٦٢٥) من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) رواه مسلم رقم (٤/ ٢٠٢٥) رقم حديث الباب (١٤٢و١٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٦) رواه البزار رقم (١٨٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٤) : رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي ، وهو وضاع .

وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ له جار يهوديٌّ ، وكان إذا طبخ الشَّاة يقول أطعموا جارنا اليهودي منها .

ويروى عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنه قال: «حقُّ الجار إذا استعانك أعنته ، وإذا استقرضك أقرضته ، وإذا افتقر عُدْتَ عليه ، وإذا مرض عدته ، وإذا أصابه خيرٌ هنَّأته ، وإذا أصابته مصيبةٌ عزَّيته ، وإذا مات تبعت جنازته وشيعته ، ولا تستطل عليه بالبناء لتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بقَتار قِدْرِك إلا أن تغرف له منها»[1] .

ويروى : أن الجار الفقير يتعلَّق بجاره الغني يومِ القيامة ، ويقول : يا رب! سل هذا لِمَ منعني معْروفه ، وسدَّ عنِّي بابه .

فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه عنَّا ، إنَّه جوادٌ ، كريمٌ ، رؤوفٌ رحيمٌ .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٩/ ٤١٩) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٥) رواه الطبراني في الكبير . وفي إسناده أبو بكر الهذلي . ضعيف .

الكبيرة الحادية والخمسون

أذيَّــة أولــيــاء الله

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «يقول اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: مَنْ عادى لي ولياً؛ فقد آذنتُه بالحرب»[1]. أي: أعلمته بأني محاربٌ له.

وفي لفظٍ: «فقد بارزني بالمحاربة»[2]. أخرجه البخاريُّ.

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢). وأبو نُعيم في الحلية (١/ ٤). والبيهقي في السنن (٣/ ٣٤٦). والبغوى في شرح السنة رقم (١٢٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر ما قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم في تعليقه على هذا الحديث وللإمام الشوكاني كتاب في شرح هذا الحديث اسمه «قطر الولي في معرفة الولي».

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (٧٨٨٠). والسلمي في الأربعين الصوفية (٣٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وضعفه الحافظان ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٤٢) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٨).

الكبيرة الثانية والخمسون

إسبال الإزار تعزّزاً، وكِبراً، وخيلاء

قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار»[1]. وفي معناه: السَّراويل، والثوب، وجميع اللباس، وقد تقدَّم ذلك.

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٠٤) من حديث عائذ بن عمر رضي الله عنه.

الكبيرة الثالثة والخمسون

لبس الحرير للرِّجال والنِّساء

قال الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنما يلبس الحريرَ مَنْ لا خَلاقَ له في الآخرة». أخرجه البخاريُّ[١]. والخلاق: النصيب.

وقال ﷺ: «مَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». رواه البخاريُّ، ومسلم[٢].

وهذا عامٌّ في الجُند وغيرهم إلا النساء[٢]، فإن النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمَّتي، وأحل لإناثهم». صححه الترمذي[٣].

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «نهى النبيُّ ـ ﷺ ـ أن نشربَ في آنية الذَّهب والفضَّة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه». أخرجه البخاريُّ[٤].

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٨٣٥). ومسلم رقم (٢٠٦٩) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٨٣٢). ومسلم رقم (٢٠٧٣). واللفظ له من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٥٠٢). والترمذي رقم (١٧٢٠). والنسائي رقم (٨/ ١٦١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث أبي موسى حديث حسن صحيح، أقول: هو حديث صحيح بطرقه وشواهده، ومن شواهده ما رواه أحمد رقم (٩٣٥) من حديث علي رضي الله عنه وعن عقبة بن عامر رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤١٦ و٤٨٢١) فالحديث بهذه الشواهد صحيح.

(٤) رواه البخاري رقم (٥٨٣٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «إنَّ الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضَّة إنَّما يجرجر في بطنه نار جهنم»[1].

قال العلماء: حتى ملعقة الفضة، وميل الذهب، وميزان الفضة يحرم استعمالهما.

وإنما رخَّص النبيُّ - ﷺ - في الحرير للحكة[2]، أو في مقدار أربع أصابع[3]. وفي تحلية السَّيف، والحياصة، والسَّرج، واللجام، والثفر بالفضة لا بالذَّهب.

فمن لبس خلعةَ الحرير، أو كلوتة الحرير، أو الزركش، أو قبع الحرير، أو طرز الذَّهب، أو حوائص الذهب، فقد دخل في الوعيد المذكور، وفسق بذلك، وحرم لبس ذلك في الجنَّة إذا دخلها إلا أن يتوب إلى الله - عزَّ وجلَّ - اللَّهم تب علينا يا كريم!

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٦٣٤). ومسلم رقم (٢٠٦٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٩١٩) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف. وللزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٨٢٨) بلفظ: أتانا كتاب عمر. ونحن مع عتبة بن فرقد. بأذربيجان أن رسول الله ﷺ نهى عن الحرير إلا هكذا. وأشار بأصبعيه اللّتين تليان الإبهام. ومسلم رقم (٢٠٦٩) بلفظ عن عمر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاث. أو أربع.

الكبيرة الرابعة والخمسون

العبد الآبق

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إذا أَبَق العبد؛ لم تقبل له صلاة»[1].

وقال ﷺ: «أيماعبدٍ أبق؛ فقد برئت منه الذِّمة»[2]. أخرجهما مسلم في «صحيحه».

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاةٌ ، ولا ترفع لهم إلى السَّماء حسنة: العبدُ الآبق حتى يَرجعَ إلى مولاه ، والمرأة السَّاخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسَّكران حتى يصحو». أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه»[3].

وفي «المستدرك»[4] على شرط البخاريِّ ومسلم: عن فضالة بن عبيد مرفوعاً: قال: «ثلاثةٌ لا تسأل عنهم يوم القيامة: رجلٌ فارق الجماعة ، وعصى إمامه ، ومات عاصياً ، وعبدٌ آبق ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفلها المؤنة ، فتبرّجت».

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٧٠) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله.

(٢) رواه مسلم رقم (٦٩) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن خزيمة رقم (٩٤٠). وابن حبان رقم (٥٣٥٥). والبيهقي (١/ ٣٨٩) وقال البيهقي: تفرد به زهير. وقال الذهبي في المهذب: هذا من مناكير زهير بن محمد، أقول: والحديث إسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٢٣٩٤٣). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٩٠) والبزار رقم (٣٧٤٩). والحاكم في المستدرك (١/ ١١٩). وصححه ووافقه الذهبي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

الكبيرة الخامسة والخمسون

الذَّبح لغير الله

مثل أن يقول باسم سيدي الشيخ فلان .

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ . . . ﴾ [الأنعام : ١٢١] . الآية .

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «لعن الله مَنْ ذبح لغير الله ، ومَنْ تولّى غير مواليه ، ولعن الله العاقَّ لوالديه ، ولعن الله منتقص الأرض» . أخرجه الحاكم ، وصححه[1] .

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٣) . ويشهد له ما رواه مسلم رقم (١٩٧٨) من حديث علي أيضاً بلفظ : «لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من آوى محدثاً» .

الكبيرة السادسة والخمسون

مَنْ غيَّر منار الأرض

تقدَّم في حديثِ عليٍّ: أن النبيَّ - ﷺ - لعن منتقص الأرض[1]. يعني: ينتقص من أرض غيره، ويزيد في أرضه.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لعن الله مَنْ غيَّر تخوم الأرض، لعن الله مَنْ كمهَ الأعمى عن السبيل، ولعن الله مَنْ سبَّ والديه، لعن الله مَنْ عمل عمل قوم لوط»[2].

وفي رواية: «لعن الله من وقع على بهيمةٍ»[3]. يعني: زنى بها.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٦). وابن حبان رقم (٤٤١٧). والطبراني رقم (١١٥٤٦) وأبو يعلى رقم (٢٥٣٩) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. أقول: وهو حديث صحيح على شرط الشيخين.
(تُخوم الأرض) هي حدودها. وقال أبو عبيد: هي المعالم. (كمه الأعمى عن السبيل) أي جعله يتحيَّر فلا يدري أين يتوجه.

(٣) رواه البيهقي في السنن (٨/ ٢٣١). والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٦) وصححه وقال في التلخيص: صحيح.

الكبيرة السابعة والخمسون

[من سنّ سنة سيئة][1]

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعهُ لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[2].

وقال: «مَنْ سنَّ سنةً سيئة كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها من بعده من غيرِ أن يُـنْـقُصَ من أوزارهم شيءٌ»[3]. رواه مسلم.

* * *

(١) زيادة من المحقق.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٧٤)، وأبو داود رقم (٤٦٠٩). والترمذي رقم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

الكبيرة الثامنة والخمسون

الإحداث، والابتداع في دين الإسلام ما ليس فيه

في الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ[1] ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو ردٌّ»[2].

وقال ﷺ: «كلُّ بدعـةٍ ضلالة»[3]. وفي بعض الألفاظ: «وكل ضلالـةٍ في النار»[4].

وقال ﷺ: «لَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي يوم القيامة، فأقول: يا رب! أصحابي أو: من أمتي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً، سحقاً!». أي: بعداً. قوله: يذادوا؛ أي: يُطردوا.

وهذا الحديث مُخرَّج في «الصحيحين»[5]. وفيه وعيدٌ شديدٌ لأهل الإحداث والابتداع في دين الإسلام ما ليس فيه، كما يفعل كثيرٌ من جهلة المسلمين في أعياد النَّصارى، مثل فعلهم من الفرحِ، والسُّرور، وتجديد الكسوة، واتخاذ الأطعمة،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٩٧). ومسلم رقم (١٧١٨ و١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم رقم (١٧١٨ و١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم رقم (٨٦٧) في حديث طويل. وابن ماجه رقم (٤٥) من حديث جابر رضي الله عنه. ورواه الترمذي رقم (٢٦٧٦). وأبو داود رقم (٤٦٠٧). وابن ماجه (٤٣و٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه النسائي في السنن (٣/ ١٨٨ و١٨٩) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٥) رواه مسلم رقم (٢٤٩). وابن خزيمة رقم (٦). والنسائي (١/ ٩٣و٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحلوى ، وخبز الأقراص ، وصبغ البيض في الخميس الحقير؛ الذي تسميه النصارى: الخميس الكبير؛ بسبب أنَّه آخر فطرهم. وكذلك ما يفعلوه من رقى البخُور ، ووضع النِّساء الثياب تحت السَّماء ، وإلصاق الأوراق بالأبواب لتمنع الهوام فيما يزعمون ، وغمس الأطفال في الماء بسبب عيد الغطاس ، وإيقاد النيران والشمع في ليالي المواليد ، وأشباه ذلك ممَّا يفعله جهلة المسلمين ، وهذا كله بدعةٌ ، وحرامٌ ، وإحداثٌ في دين الإسلام؛ بسبب أنَّه يُفعل في وقت الأعياد الكفرية ، ففيه مشاركة لهم ، وسرور لقلوبهم ، وإن لم يقصد المسلم ما قصدوه؛ لأنَّه لو قصد ما قصدوه؛ كفر بذلك ، لكن نفس الموافقة والمشابهة حرامٌ.

وقد جاء في حديث عنه ـ ﷺ ـ: «مَنْ تَشبَّه؛ بقوم حشر معهم»[1]. و«من كثَّر سواد قومٍ؛ فهو منهم»[2] مع أنهم يجب منعهم من إظهار ذلك في بلاد الإسلام ، فإذا وافقهم المسلم؛ قوى طمعهم في إظهار باطلهم.

وفيه من المفاسد أيضاً: أن الصغار ينشؤون على حبِّ هذه الأعياد الكفرية ، بسبب ما يصنع لهم فيها ، والرَّجل مأمور بتأديب أهله وأولاده ، وتقويمهم على طاعة الله ورسوله ، وأمرهم بالمعروف. ونهيهم عن المنكر بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] أي: علموهم ، وأدِّبوهم ، وقوّموهم على طاعة الله وجنّبوهم معصية الله؛ لتقوهُم بذلك النار يوم القيامة.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «كلكم راعٍ ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته ، والرَّجل في أهله راعٍ ، ومسؤول عن رعيته»[3]. فإذا كان الله ـ سبحانه ـ يسأل الإنسان يوم القيامة عمَّا استرعاه؛ ماذا يكون جوابه وقد فرَّط في ذلك في الدنيا ، ولم يأمر أهله بالمعروف ، ولم ينههم عن المنكر ، ولم يعلمهم: أنَّ هذه الأوقات أعياد الكفر

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الحافظ العسقلاني في المطالب العالية رقم (١٦٠٥). وذكره الزيلعي في نصب الراية (٤/٣٤٦). والعجلوني في كشف الخفا رقم (٢٥٨٨) وقالا رواه أبو يعلى في مسنده ، ولم نجده في المسند المطبوع. وفي إسناده عمرو بن الحارث المصري لم يدرك ابن مسعود. وقال في الإتحاف: رواه أبو يعلى وإسناده منقطع.

(٣) رواه البخاري رقم (٨٩٣). ومسلم رقم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والنَّصارى ، فلا يحلُّ لنا مشاركتهم ، ولا موافتهم ، ولا مشابهتهم؛ لئلا نُحشر معهم يوم القيامة ؟ .

ويروى عن النبي - ﷺ - قال : «خمسة غضب الله عليهم ، إن شاء الله أمضى عليهم غضبه في الدنيا ، وإلا فثوابهم النَّار في الآخرة :

أمير قومٍ يأخذ حقَّه من رعيته ، ولا ينصفهم من نفسه ، ولا يدفع المظالم عنهم .

وزعيم قوم يطيعونه ، ولا يسوِّي بين القويِّ والضعيف ، ويتكلَّم بالهوى ، ورجلٌ لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ، ولا يعلمهم أمر دينهم ، ولا يبالون ما أخذوا من دنياهم ، وما تركوا ، ورجلٌ استأجر أجيراً ، فاستعمله ، ولم يوفِّه أجره .

ورجلٌ ظلم امرأةً مهرها»[1] . فنعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العفو والعافية ، وأن يعصمنا ، ويتوب علينا ، إنَّه جوادٌ كريم .

* * *

(١) لم أجده .

الكبيرة التاسعة والخمسون

الوصل في الشَّعر ، ولقط الشَّعر من الحواجب للنساء ، والوشم

قال النبيُّ - ﷺ - «لعن الله الواصلة ، والمتوصلة ، والواشمة والمتوشمة ، والنامصة والمتنمِّصة ، والمتفلجات للحُس ، المغيرّات خلق الله». رواه البخاريُّ ومسلم[1].

فالواصلة : التي تصل شعرها بشعر آخر زورٍ .

والمتوصلة : التي تأمر من يفعل بها ذلك .

والوشم : أن يغرز الجلد بإبرةٍ ، ثم يحشى بكحل ، أو نيل ، فيزرقُّ أثره ، أو يخضرُّ .

والمتوشمة : التي يفعل بها ذلك .

والنامصة : التي تنتف الشَّعر من وجهها ومن الحاجبين .

والمتنمصة : التي يفعل بَها ذلك .

وذلك كله حرامٌ ، ملعون فاعله ، الفاعل والمفعول بها في ذلك سواء .

قوله : والمتفلجات للحسن هو أن تبرد المرأةُ أسنانها بالمبرد لتصغر وتحسن بذلك والله أعلم .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٨٦) . ومسلم رقم (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

الكبيرة الستون

أن يدَّعي الرَّجل إلى غير أبيه ، أو يتولى غير مواليه

عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنَّه غيرُ أبيه ؛ فالجنَّة عليه حرام» . متفق عليه[1] .

وقال ﷺ : «لا ترغبون عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه وهو يعلم ؛ فهو كفر» . متفق عليه[2] .

وقال ﷺ : «من ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكة ، والنَّاس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» . متفق عليه[3] .

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٧٦٦) . ومسلم رقم (٦٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٧٦٨) . ومسلم رقم (٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم رقم (١٣٧٠) من حديث علي رضي الله عنه . وبنحوه رواه البخاري رقم (١٨٧٠) من حديث علي رضي الله عنه .

الكبيرة الحادية والستّون

الطِّيَرة

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «الطِّيَرةُ شركٌ، وما منَّا إلا، ولكنَّ الله يذهبُه بالتوكُّل». صححه الترمذيُّ[1].

وقال ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، وأُحبُّ الفأل».

قيل: يا رسول الله! وما الفألُ؟ قال: «الكلمة الطيّبة»[2].

* * *

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩١٢). وأبو داود رقم (٣٩١٠). والترمذي رقم (١٦١٤). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. والحاكم (١/ ١٧و١٨) وصححه. ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح وقوله (وما منا إلا) من كلام ابن مسعود (أُدرج في الخبر) قاله الحافظ في الفتح (١٠/ ٢١٣) وقد بيّنه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه.

الطيرة شرك. الطيرة التشاؤم بالشيء. (وما منا إلا) قال الخطابي. معناه إلا يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهية فيه، فحذف اختصاراً للكلام. واعتماداً على فهم السامع (ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى من وقع له ذلك مسلِّم لله. ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك انظر الفتح (١٠/ ٢١٣).

(٢) رواه البخاري رقم (٥٧٧٦). ومسلم رقم (٢٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه. الفأل قول أو فعل يُستبشر به.

الكبيرة الثانية والستون

الإشارة إلى المسلم بالسِّلاح

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ أشارَ إلى أخيه المسلم بحديدةٍ؛ فإنّ الملائكة تلعنُه ، وإن كان أخاه لأبيه وأمّه». رواه مسلم[1].

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٦١٧). والترمذي رقم (٢١٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود ضي الله عنه.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه.

وقوله ﷺ: وإن كان أخاه لأبيه وأمه مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم وسواء كان هزلاً ولعباً أم لا لأن ترويع المسلم حرام بكل حال. وانظر باقي كلامه هناك.

الكبيرة الثالثة والستون

الجدال والمراء واللَّدَدُ بالباطل

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم»[١].

وقال ﷺ: «من جادل في خصومة بغير علم؛ لم يزل في سخط الله حتَّى ينزع»[٢].

وفي رواية: «مَنْ خاصم في باطلٍ وهو يعلم؛ لم يزل في سخط الله حتى ينزع»[٣]. وفي رواية: «فقد باء بغضبٍ من الله». رواه أبو داود[٤].

ويروى عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «إنَّ أخوفَ ما أخاف على أمَّتي كلُّ منافقٍ عليم اللِّسان»[٥].

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٤٥٧). ومسلم رقم (٢٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها. (الألد) أي الشديد الخصومة. (الخصم) الذي يخصم أقرانه ويحاجهم.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم (٨٦١٢) ونسبه إلى ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال العراقي في تخريج الإحياء: (٣/ ١١٩) وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور. وأقول: ويشهد له بالمعنى ما بعده.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٥٣٨٥). وأبو داود رقم (٣٥٩٧). والحاكم (٢/ ٢٧) وصححه. ووافقه الذهبي، وهو حديث صحيح من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داود رقم (٣٥٩٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (١٤٣). وعبد بن حميد رقم (١١). والبزار رقم (٣٠٥) والحاكم =

وقال ﷺ: «الحياءُ والعِيُّ شعبتان من الإيمان ، والبذاءُ والجفاء شعبتان من النفاق»(١).

وقال ﷺ: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا وأوتوا الجدل ، ثمَّ قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٢) [الزخرف: ٥٨].

* * *

= في المستدرك (٢/ ٢٧و٤/ ٩٩) وصححه ووافقه الذهبي من حديث عمر رضي الله عنه.

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٣١٢). والترمذي رقم (٢٠٢٧). والحاكم في المستدرك (١/ ٨و٩و٥٢). والبغوي في شرح السنة رقم (٣٣٩٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.
(العيُّ) قلة الكلام. (والبذاءُ) هو الفحشُ في الكلام. (والبَيَان) هو كثرة الكلام.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢١٦٤). وابن ماجه رقم (٤٨). والترمذي رقم (٣٢٢٥) وقال الترمذي: حديث صحيح وصححه الحاكم (٢/ ٤٤٧و٤٤٨) ووافقه الذهبي وهو حديث صحيح.

الكبيرة الرَّابعة والستون

الأمن من مكر الله

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «قال رجلٌ: والله لا يغفرُ الله لفلان، فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ قد غفرتُ له، وأحبطتُ عملك». حديث صحيح[1].

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٢١). وابن حبان رقم (٥٧١١) من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

الكبيرة الخامسة والستون

كفران نعمة المحسن

قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «لا يشكرُ اللهَ من لا يشكر الناس»[١].

وقال للنِّساء: «إنَّكنَّ أكثر أهل النَّار».

قلن: وبم يا رسول الله!

قال: «تكثرن اللَّعن، وتكفرن العشير»[٢].

والعشير هو الزوج فجعل كفرانهم إحسانَ الزوج سبباً لدخولهنَّ النار يوم القيامة.

وقال بعضُ السَّلف: كُفران النِّعمة من الكبائر، وشكرها بالمجازاة والدُّعاء.

* * *

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢١٨). وأبو داود رقم (٤٨١١). والترمذي رقم (١٩٥٥). وابن حبان رقم (٣٤٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٣٥٦٩). والحميدي رقم (٢٩). والنسائي في الكبرى رقم (٩٢٥٧). والحاكم (٢/ ١٩٠). وصححه ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الكبيرة السادسة والستون

منع فضل الماء

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال ﷺ: «لا تمنعوا فضل الماء؛ لتمنعوا به فضل الكلأ»[١]. متفق عليه.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم:

رجلٌ على فضل ماءٍ بالفلاة يمنعه ابن السبيل.

ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها؛ وفَّى له، وإن لم يُعطه؛ لم يفِ له.

ورجلٌ بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدَّقه وهو على غير ذلك». متفق عليه[٢].

وفي رواية: «ورجلٌ منع فضل ماءٍ، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[٣].

وقال ﷺ: «مَنْ منعَ فضلَ مائه، أو فضل كلئه؛ منعه الله فضله يوم القيامة». أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[٤].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٥٤). ومسلم رقم (١٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. (فضلُ الماء). الفضل ما زاد على الحاجة (الكلأ) النبات.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٥٨). ومسلم رقم (١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٣٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٦٦٧٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٢٥): رواه أحمد ورجاله ثقات. وفي بعضهم كلامٌ لا يضر: أقول: في إسناده لَيْث بن أبي سُليم ضعيف. ولكن يشهد له حديث البخاري المتقدم.

الكبيرة السَّابعة والستون

الاحتكار

والمحتكر ظالمٌ للمسلمين ، مؤذِلهم بحبس القوت عنهم . فهو مذموم شرعاً .

أمَّا من الشَّرع ؛ فما يُروى عن النبي ـ ﷺ ـ: أنَّه قال : «بئس العبدُ المحتكر ، إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن غلاَّها فرح»[1] .

وقال ﷺ: «إنَّ أهل المدائن هم الحُبساء في سبيل الله ، فلا تحتكروا عليهم الأقوات ، ولا تغلُّوا عليهم الأسعار ، فإنَّ من احتكر عليهم طعاماً أربعين يوماً ، ثم تصدَّق به لم تكن كفارة له»[2] .

وعنه ـ ﷺ ـ قال : «يُحشرُ الحاكرون وقتلةُ الأنفس في درجة واحدةٍ ، ومن دخل في شيءٍ من سعر المسلمين يُغَلِّيه عليهم ؛ كان حقّاً على الله أن يعذِّبه في معظم النَّار يوم القيامة»[3] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٥) من حديث معاذ رضي الله عنه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠١) وقال: رواه الطبراني في الكبير. وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٤) بلفظ المؤلف من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وقال: ذكره رزين ولم أجده. ورواه الطبراني بنحوه رقم(٧٤٨٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٨١) وقال: رواه الطبراني في الكبير. وفيه حماد بن عبد الرحمن. وهو منكر الحديث. أقول الحديث ضعيف جداً.

(الحبساء). جمع حبيس. وهو الرجل المنقطع من الناس زاهداً في الدنيا.

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٤) وقال: رواه رزين. أقول: وفي إسناده مهنا بن يحيى الشامي قال الأزدي: منكر الحديث. وبقية بن الوليد مدلس وقد عنعن، وقال المنذري حديث فيه نكارة. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالإفلاس، والجُذام». وروى هذه الأخبار أبو داود في «سننه»[(١)].

وعن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا يحتكر إلا خاطىء»[(٢)].

وعنه ـ ﷺ ـ: أنه قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[(٣)].

فالجالب: الذي يجلب للمسلمين الطعام، ثم يبيعه، يوسِّع عليهم.

والمحتكر: مَنْ يشتريه، ويخزنه، ويحبسه عن البيع، وبالمسلمين إليه حاجة، وضرورة في وقت غلاء الأسعار، فمن فعل ذلك؛ كان محتكراً ملعوناً، وأما إذا كان رخيصاً، ولم يكن بالمسلمين ضرورةٌ إليه؛ فلا بأس، وإنما الوعيد لمن حبسه في وقت حاجة النَّاس إليه، وهو ينتظر به الغلاء.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريدُ به الغلاء؛ فقد بريء من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وبريء الله منه»[(٤)].

وفي الجملة: التجارة بالحنطة غير محمودةٍ، فإنَّه قلَّ مَنْ يتَّجر فيها إلا يطلب الغلاء، ويفرح به، فيسرُّه ما يضرُّ المسلمين أجمعين، فلهذا كره العلماء التجارة فيها.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢١٥٥). وفي إسناده الهيثم بن رافع. قال الذهبي في الميزان (٤/ ٣٢٢) ترجمة (٩٣٠٢): أنكر حديثه في الحُكرة. والهيثم بن معين وأبو يحيى المكي لم يوثقهما إلا ابن حبان. والحديث ضعيف.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٤٧). والترمذي رقم (١٢٦٧). وابن ماجه رقم (٢١٥٤) من حديث معمر بن عبد الله رضي الله عنه. وهو حديث صحيح وهو بمعنى حديث مسلم رقم (١٦٠٥) بلفظ: «من احتكر فهو خاطىء». (الخاطىء) قال أهل اللغة المتعمد للخطأ.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (٢١٥٣) من حديث عمر رضي الله عنه. وفي إسناده علي بن سالم قال الحافظ زكي الدين: لا أعلم له غير هذا الحديث، وهو في عداد المجهولين. وعلي بن يزيد بن جدعان ضعيف. والحديث ضعيف الإسناد.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٤٨٨٠). وفي إسناده أبو بشر قال ابن أبي حاتم في العلل رقم (١١٧٤): لا أعرفه. وأصبغ بن زيد. قال أحمد والنسائي: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان ضعيفاً في الحديث. وقال ابن حبان في المجروحين(١/ ١٧٤): يخطىء كثيراً، والحديث ضعيف.

وقد روي عن الشَّعبيِّ ـ رحمه الله ـ: أنَّه قال: إنَّ رجلاً أراد أن يسلم ابنه في عملٍ، فاستشار النبيَّ ـ ﷺ ـ فقال: «لا تسلِّمه إلى حنَّاط، ولا إلى جزَّار، ولا إلى من يبيع الأكفان. أما الحنَّاط؛ فلأن يلقى الله زانياً أوشارب خمر خيرٌ له من أن يلقاه وقد حبس الطعام على المسلمين أربعين ليلةً. وأما الجزَّار؛ فلأنه يذبح حتى تذهب الرَّحمة من قلبه. وأما بائع الأكفان؛ فإنَّه يتمنى لأمتي الموت»[1].

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. إنَّه الاحتكار.

وقد روي عن بعض السَّلف: أنَّه جهَّز سفينة حنطة إلى البصرة، وقد قال لوكيله عليها: بِعْ هذا الطعام يوم تدخل البصرة، ولا تؤخِّرهُ إلى غد. فدخل الوكيل البصرة، فوجد السعر رخيصاً، فقال له التجار: إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه، فأخَّره جُمعةً، فربح فيه أضعافه، ثم كتب إلى صاحب الطعام يخبره بذلك، فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا! إنا كنَّا قد قنعنا بربحٍ يسير مع سلامةِ ديننا، وإنك قد خالفت ما أمرتك به، وما أحبُّ أن أربح أضعافه مع ذهاب شيءٍ من ديني، فإذا أتاك كتابي هذا؛ فخذ المال كلَّه، وتصدَّق به على فقراء البصرة ومساكينها، وليتني أنجو من وبال الاحتكار كفافاً لا عليَّ ولا لي.

* * *

(١) لم نجده بهذا اللفظ. وهو حديث مرسل. ومنقطع ضعيف.

الكبيرة الثامنة والستون

الإضرار في الوصية

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا ضرر ولا إضرار»[1] ومن ضار في وصيته كان ظالماً قاطعاً ما أمر الله به أن يوصل».

وفي «الصَّحيحين»[2] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «لا يدخلُ الجنَّة قاطع».

وروى الترمذيُّ وأبو داود[3] عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الرَّجل ليعملُ والمرأة بطاعةِ الله ستين سنةً يحضرهما الموت، فيُضاران في الوصيَّة، فتجبُ لهما النَّار». ثم قرأ أبو هريرة: ﴿ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٢].

وقال ﷺ: «إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، فلا وصيَّة لوارث». رواه الترمذيُّ، وصححه[4].

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٣٤٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ومن حديث ابن عباس رقم (٢٣٤١) ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. رواه الدارقطني (٣/ ٧٧و٤/ ٢٨٨) فالحديث بهذه الطرق صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٨٦٧). والترمذي رقم (٢١١٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال المنذري بعد نقل تحسين الترمذي: وشهربن حوشب قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة. ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين أقول إسناده ضعيف.

(٤) رواه الترمذي رقم (٢١٢٠). وأبو داود رقم (٢٨٧٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده. ورواه الترمذي رقم (٢١٢١). وابن ماجه رقم (٢٧١٢). والنسائي (٦/ ٢٤٧) من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال.

وقد يقع بعض الجاهلين بهذا الوعيد ، وهذه الأحاديث إذا قرب موته يَحرمُ بعضَ من يستحقّ ميراثه ، إما من زوجته بأن يُطلِّقها قبل موته ؛ ليحرمها ، أو لبعض أولاده أوإخوته وأخواته وأعمامه ، أو بني أعمامه ، أو غيرهم ممَّن يستحقُّ أن يرثه ؛ بسبب بغضٍ ، أو عداوةٍ ، وقد ينفُل بعض ورثته ، ويقرُّ له بشيءٍ زائدٍ على إرثه ، وكل ذلك قد ورد النهيُ عنه ، والوعيد بسوء الخاتمة ، ودخول النَّار .

وقد روي أيضاً عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ قطع ميراثاً فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة»[1] .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو ، والعافية ، والتوفيق لما يحبُّ ويرضى ، إنَّه جوادٌ كريمٌ .

* * *

(1) رواه بلفظ المؤلف السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٨٢). ورواه ابن ماجه رقم (٢٧٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ : «من فر من ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة». وفي إسناده زيد العمي ضعيف .

الكبيرة التاسعة والستُّون

القمــــار

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ـ٩١].

أما الخمر؛ فقد تقدَّم الكلام عليه.

وأماالميسر؛ فهو القمار، وهو من أكل أموال النَّاس بالباطل، وقد نهى الله عن ذلك في غير آيةٍ من كتابه العزيز. وفي «صحيح البخاريِّ» عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «إنَّ رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حقٍّ، فلهم النَّار يوم القيامة»(١). من يأخذ مال مسلمٍ بالقمار هو داخلٌ في هذاالوعيد، وهوأيضاً: أكل الحرام.

وقد قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «لا يدخل الجنَّة جسدٌ غُذِيَ بحرامٍ»(٢).

وقال: «كل جسدٍ ينبت من سحت؛ فالنَّار أولى به»(٣). والسحت: الحرام.

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٨٣و٨٤). والطبراني في الأوسط رقم (٥٩٦١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٩٣) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ورجال أبي يعلى ثقات، وفي بعضهم خلاف ـ أقول: في إسنادهما عبد الواحد بن زيد البصري، قال يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري: تركوه. وقال الجوزجاني: سيء المذهب ليس من معادن الصدق. والحديث سنده ضعيف.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٧٥٩). وأبو نعيم في الحلية رقم (٦٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وفي إسناده عبد الواحد بن واصل. أورده الذهبي في الضعفاء. وقال: ضعفه الأزدي. وعبد الواحد بن زيد. قال البخاري والنسائي: متروك وفي الباب عن عائشة وجابر رضي الله عنهما.

وفي «الصحيحين» عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ قال لصاحبه: تعال أقامرك؛ فليتصدَّق». مخرج في «الصَّحيحين»[1].

فإذا كان مجرد قول الرَّجل لصاحبه: تعال نتقامر معصيةٌ موجبة أن تكفَّر بالصَّدقة، فما الظنُّ بالفعل؟! فنعوذ الله من ذلك، ونسأله العفو والعافية.

فصل

ولنذكر قبل خاتمة الكتاب ما يلتحق بما ذكرنا من أول الكتب إلى هنا يحتمل أنَّه من الكبائر. منها قول النبيِّ ـ ﷺ ـ «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه». متفق عليه[2]، أعني: رواه البخاريُّ ومسلم.

وقوله ـ ﷺ ـ: «لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من أهله، وولده، والناس أجمعين». حديث صحيح[3].

وقوله: ـ ﷺ ـ: «لا يؤمن أحدكم حتَّى يكون هواه تبعاً لما جئت به». إسناده صحيح[4].

وقوله ـ ﷺ ـ: «لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه»[5]. يعني غوائله وشروره.

وقد تقدَّم من ذلك في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن قدر عليه.

وقوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». متفق عليه[6].

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٦٠). ومسلم رقم (١٦٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (١٣). ومسلم رقم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري رقم (١٥). ومسلم رقم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) ذكره الإمام النووي في (الأربعين) تحت رقم (٤١) وقال حديث حسن صحيح. رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٣٦٩) والبغوي في شرح السنة رقم (١٠٤). وانظر ما قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم حول تحقيق وشرح هذا الحديث ص (٣٦٤ و٣٦٥) فإنه هامٌ ونفيس.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٠١٦) من حديث أبي شريح الكعبي الخزاعي. بلفظ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقَه».

(٦) رواه مسلم رقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. =

وفي رواية لمسلم في الظُّلمة: «فمن جاهدهم بيده؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه، فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»[1]. وفيه دليلٌ على من لم ينكر المعاصي بيده إن قدر، أو بلسانه إن لم يتمكَّن من الإنكار بيده، أو بقلبه إن لم يقدر على ذلك بلسانه، فإنَّه يكون عديم الإيمان.

ومن **جهاد القلب**: التوجُّه إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يمحق الباطل وأهله، أو أن يُصلحهم.

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنه يُستعمل عليكم أمراء، فتعرفون، وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قيل: أفلا ننابذهم؟ قال: «لا! ما أقاموا فيكم الصلاة». رواه مسلم[2].

ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ: «من أعان على خصومةٍ بغير حقٍّ؛ كان في سخط الله حتى ينزع». حديث صحيح[3].

وقوله ـ ﷺ ـ: «المكر والخديعة في النَّار»[4].

وقوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ خبَّب على امرىءٍ زوجته أو مملوكه؛ فليس منّا». رواه أبو داود[5]. ومعنى خبَّب: أي أفسد، أو خدع، أو مكر.

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٥٥٤٤) وأبو داود رقم (٣٥٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وإسناده حسن.

(٤) رواه ابن حبان رقم (٥٦٧). والطبراني في الكبير رقم (١٠٢٣٤). وفي الصغير رقم (٧٣٩). والقضاعي في مسند الشهاب رقم(٢٥٣و٢٥٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٩٨٠). وأبو داود رقم (٣٢٥٣). والحاكم في المستدرك (٤/٢٩٨) وصححه ووافقه الذهبي. من حديث بريدة رضي الله عنه ورواه أبو داود رقم (٢١٧٠). وأحمد رقم (٩١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

وقوله: «العيُّ والحياء شعبتان من الإيمان والبذاءة والجفاء شعبتان من النفاق». حديث صحيح[1].

وقوله ـ ﷺ ـ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء في الجفاء، والجفاء في النَّار»[2].

ومن ذلك قوله ـ ﷺ ـ: «من أكل بمسلمٍ أكلة؛ أطعمه الله بها أكلة من نارٍ يوم القيامة، ومن أقام بمسلمٍ مقامَ سمعةٍ ورياء؛ أقامه الله يوم القيامة مقام سمعةٍ ورياء، ومن أكتسى بمسلمٍ ثوباً؛ كساه الله ثوباً من نارٍ يوم القيامة». قال الحاكم: حديثٌ صحيح[3].

ومعنى الحديث والله أعلم: أن يشي بمسلمٍ إلى ولي أمر ظالمٍ، أو إلى من يريد شراً بمسلمٍ، فيرفع إليه أمره حتى يعطيه شيئاً، أو يكسوه ثوباً، وهذا يسمَّى: عواني في هذا الزَّمان، والله أعلم.

ومن ذلك: تحريم الهجران بين المسلمين:

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ هجر أخاه سنةً فهو كسفك دمه»[4].

وقال ﷺ: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان، فيعرض هذا، ويُعرض هذا، وخَيرُهما الذي يبدأ بالسَّلام»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٠٥١٢). والترمذي رقم (٢٠٠٩). وابن حبان رقم (٦٠٨). والحاكم (١/ ٥٢و٥٣). وصححه. ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٨٠١١). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٤٠). وأبو داود رقم (٤٨٨١). والحاكم (٤/ ١٢٧و١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح. من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد ورقم (٤٠٦). وأبو داود رقم (٤٩١٥) والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٣). وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٢٢٣) من حديث أبي خراشي السلمي رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٠٧٧). ومسلم رقم (٢٥٦٠) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ومن ذلك : أن يشفع في حدٍ من حدود الله :

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله؛ فقد ضادَّ الله في أمره». إسناد جيد[1].

ومن ذلك : التَّحفُّظ من الكلام المهلك :

قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الرَّجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً ، يهوى بها في جهنم». أخرجه البخاريُّ[2].

ومن ذلك : الغيبــة :

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات : ١٢].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مررت ليلة أسري بي على أقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نارٍ ، كلَّما قُرِضت؛ وفت. قلت: يا جبريل! مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ النَّاس ، ويقعون في اعراضهم»[3].

وقال ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكره». قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول؛ فقد اغْتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[4].

وقال ﷺ: «إنَّ دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرامٌ»[5]. والعرض: هو الغيبة.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٥٣٨٥). وأبو داود رقم (٣٥٩٧). والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧) وصححه. ووافقه الذهبي في التلخيص. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٣٣٤٠). وأبو داود رقم (٤٨٧٨ و٤٨٧٩) والبيهقي في الشعب رقم (٦٧١٦) من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٧١٤٦). ومسلم رقم (٢٥٨٩). وأبو داود رقم (٤٨٧٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(بهته) قال البغوي: أي كذبت عليه. والبُهتان الباطل الذي يتحير من بطلانه.

(٥) رواه البخاري رقم (٦٧). ومسلم رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

ومن ذلك: خلف الوعد:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «آية المنافق ثلاث، وإن صام، وصلَّى، وزعم أنَّه مسلم: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[١].

فأمَّا الكذب والخيانة؛ فقد مرَّا، وأمَّا خلف الوعد؛ فهو المقصود هنا بالذِّكر.

قال الله ـ تعالى ـ في ذمِّ مَنْ أخلف وعده: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ . . .﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: ٧٥ـ٧٧].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «لا تقولوا للمنافق يا سيِّد! فإنَّه إن يكن سيِّداً؛ فقد أسخطتم ربَّكم». رواه أبو داود[٢].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ لم يأخذ من شاربه؛ فليس منَّا». صححه الترمذيُّ[٣].

ومن ذلك: أن يشتري جارية لها ولد فيبيع ولدها. قال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «مَنْ فرَّق بين والدةٍ وولدها، فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة». أخرجه الترمذيُّ[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢٢٩٣٩). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧٦٠). وأبو داود رقم (٤٩٧٧). والحاكم (٤/ ٣١١). وصححه، وصحح إسناده المنذري في الترغيب (٣/ ٥٧٩). والعراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٦٢). والنووي في الأذكار ص (٤٤٩) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٢٣٦). والترمذي رقم (٢٧٦١). والنسائي في الكبرى رقم (١٤). وابن حبان رقم (٥٤٧٧). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.
(فليس منا) قال المباكفوري: أي ليس من العاملين بسنتنا.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٢٣٤٩٩). والترمذي رقم (١٢٨٣و١٥٦٦). والطبراني في الكبير رقم (٤٠٨٠). والحاكم (٢/ ٥٥) وصححه. وسكت عليه الذهبي. أقول: في إسناده ابن لهيعة ضعيف. وحُيي بن عبد الله المغافري المصري. قال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بالقوي. قال أحمد: أحاديثه مناكير. والحديث ضعيف الإسناد وله شواهد.

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «إنَّ من أشرِّ النَّاس منزلة عند الله يوم القيامة رجلٌ يفضي إلى امرأة، وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها». أخرجه مسلم[1].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً، فصدَّقه؛ فقد كفر». أو قال: «بريء ممَّا أنزل على محمَّد ـ ﷺ ـ»[2]. أخرجه أبو داود، والترمذيُّ.

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «لو أنَّ رجلاً اطلع عليكَ بغير إذنٍ، فحذفته بحصاةٍ، ففقأت عينه ما كان عليك جُناحٌ». متفقٌ عليه[3].

وقال ﷺ: «مَنْ اطَّلع في بيت قومٍ بغير إذنهم؛ فقد حلَّ لهم أن يفقؤوا عينه». أخرجه مسلم[4].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ حُلِفَ له بالله، فليرضَ، ومَنْ لم يرضَ؛ فليس من الله في شيءٍ». أخرجه ابن ماجه[5].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ: في الحسد: «إيَّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب». أخرجه أبو داود[6].

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ في إثم المرور بين يدي المصلي: «لو يعلم المارُّ بين يدي المصلِّي ماذا عليه؛ لكان أن يقف أربعين خيراً له»[7].

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٩٢٩٠). والدارمي رقم (١١٣٦). وابو داود رقم (٣٩٠٤). والترمذي رقم (١٣٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. ضعفه البخاري فيما نقله عنه الترمذي. والبغوي فيما نقله عنه المناوي في فيض القدير وقال الذهبي في الكبائر: إسناده ليس بالقائم.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٩٠٢). ومسلم رقم (٢١٥٨). واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم رقم (٢١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن ماجه رقم (٢١٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده صحيح.

(٦) رواه أبو داود رقم (٤٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال البخاري: لا يصح، جد ابراهيم بن أبي أسيد مجهول.

(٧) رواه البخاري رقم (٥١٠). ومسلم رقم (٥٠٧) من حديث أبي جهيم رضي الله عنه.

وفي رواية: «إذا صلَّى أحدكم إلى ما يستُره من الناس فأراد أحدٌ أن يجتاز بين يديه؛ فليدفع في نحره ، فإن أبى؛ فليقاتله ، فإنما هو شيطان»[1] .

ومن ذلك: قوله ـ ﷺ ـ في إفشاء السَّلام: «والذي نفسي بيده! لا تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أوَ لا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السَّلام بينكم»[2] .

فصل في ذم [الملاهي]

الملاهي إذا أدمن عليها فاعلها كانت من الكبائر ، وما يخشى عليه من شدَّة العذاب ، وما ورد فيها من الآيات والأخبار .

أمَّا من الآيات: فقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦] . .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله حرَّم القينة ، وبيعها ، وثمنها ، وتعليمها ، والاستماع إليها»[3] ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ . . . ﴾ فقال: «هو الغناء» وقال ابن عباس: هو الغناء وأشباهه .

وعنه في قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١] قال: هو الغناء بلغة حمير من أهل اليمن ، إذا أمروا المغنيَّ أن يغنيهم؛ قالوا لهم: اسمدوا لنا؛ أي: غنُّوا لنا»[4] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠٩) . ومسلم رقم (٥٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
قوله: (فإنما هو الشيطان) قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٨٤) أي فعله فعل شيطان .

(٢) رواه مسلم رقم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٤٥١٣) ورقم (٦٨٣٩) . من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفي إسناده سعيد بن أبي رزين وأخيه مجهولان ، راجع لسان الميزان (٣/ ٢٩) وليث بن أبي سليم صدوق اختلط بأخرة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٩١): وفيه اثنان لم أجد من ذكرهما . وليث بن أبي سليم وهو مدلس .

(٤) ذكره القرطبي في التفسير من سورة النجم قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١] عن ابن عباس وقال رواه الوالبي والعوفي عنه . وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة حمير .

وأمَّا من **الأخبار**: فما روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكون في أمتي خسفٌ، وقذفٌ، ومسخٌ».

قيل: يا رسول الله! متى؟

قال: «إذا ظهرت القينات والمعازف، واستحلت الخمر»[1].

قال الرَّاوي: والمعازف: آلات الطَّرب. والقيِّنات: الجواري المغنيات، والقذف: الرَّجم بالحجارة.

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «يبيتُ قومٌ من هذه الأمَّة على طعام، وشرابٍ، ولهوٍ، فيصبحوا قد مسخوا قردةً وخنازير، وليصيبنَّهم خسفٌ، وقذفٌ، حتى يصبح الناس يتحدَّثون، فيقولون: خُسف الليلة ببني فلان، وليرسلن عليهم حاصباً حجارة من السَّماء، كما أرسلت على قوم لوط، على قبائل فيها، وعلى دور فيها، وليرسلنَّ الله عليهم الرِّيح العقيم، التي أهلكت عاداً؛ بشربهم الخمر، وأكلهم الرِّبا، واتخاذهم القينات، ولبسهم الحرير، وقطيعتهم الرَّحم»[2].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يكون في أمتي خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ».

قالت عائشة: يا رسول الله! وهم يقولون: لا إله إلا الله؟

قال: «نعم إذا ظهرت القينات، وظهر الزِّنى، وشربت الخمر، ولبس الحرير؛ كان ذا عند ذا»[3].

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٦٠) والطبراني في المعجم الكبير رقم (٥٨١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واه.

(٢) روا الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٥). والبيهقي في الشعب رقم (٥٦١٤) وصححه الحاكم وقال في التلخيص: صحيح. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢) وقال: وروى عن أبي أمامة. وذكره. وهذه إشارة منه إلى ضعفه.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢١٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي: هذا الحديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن عمر تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. وعبد الله بن عمر هو العمري المكبر.

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا عملت أمَّتي خمس عشرة خصلةً؛ يحلُّ بها البلاء».

قيل: يا رسول الله! وما هنَّ؟

قال: «إذا كان المغنم دُولاً، والأمانة مغْنماً، والزكاةُ مغرَماً، وأطاع الرَّجل زوجتهُ، وعقَّ أمَّه، وبرَّ صديقه، وجفا أباهُ، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيم القوم أرْذَلهم، وأُكرِمَ الرَّجل مخافة شرِّه، وشُربت الخمور، ولُبسَ الحرير، واتُّخذت القينات والمعازف، وكان زعيم القوم أرذلهم، ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ثلاثاً: ريحاً أحمر، وخسفاً، ومسخاً»[1].

قوله: «إذا كان المغنم دولاً» أي: يغلب الأمراء والملوك على الغنائم، فيتداولونها بينهم، ولا يقسمونها بين الغانمين.

وقوله: «والأمانة مغنماً» أي: يصير الناس لخيانتهم يعدُّون الأموال، التي يُؤتمنون عليها غنيمة يغتنمونها، كالذي يودع وديعةً، أو يوصي إليه بوصيةً، أو يوكل بوكالةٍ، فهذا وشبهه يكرهه الأمين؛ لأنه لا حظَّ فيه لنفسه، ويحبُّه الخائن؛ لأنه يراه ربحاً، ومغنماً قد سيق إليه.

ومعنى قوله: «والزكاة مغرماً» أي: ليس للأغنياء ذلك الزَّمان نيَّةٌ في طلب الأجر، إذا أخرجوا زكاة أموالهم، وإنما يخرجونها بقهر السُّلطان، أو لرِيَاء الناس، فيعدُّون خروجها مغرَماً غرموه لا ثواباً قدَّموه.

ومعنى قوله: «وبر صديقه، وجفا أباه» إنَّما عاب عليهم برَّ أصدقائهم؛ لأنَّه لم يكن لله، إنَّما كان مودَّة بينهم في الحياة الدُّنيا، ولو كان ذلك البرُّ لله خالصاً؛ لم يكن لأبيه جافياً.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يُمسخ قومٌ من هذه الأمة في آخر الزَّمان قردةً وخنازير».

قالوا: يا رسول الله! أليس يشهدونَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٢١١). وقال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه. أقول: في سنده ضعف وانقطاع.

قالَ: «بلى! ويصومون، ويصلُّون، ويحجُّون».

قالوا: فما بالهم؟

قال: «لأنهم اتخذوا المعازف، والدُّفوف، والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مسخوا قردةً وخنازير»[١].

وعن أبي أمامة عن رسول الله - ﷺ - قال: «ما رفع أحدٌ صوتَه بغناءٍ إلاَّ بعثَ اللهُ إليه شيطانين يجلسانِ على مَنكبيْه، يضربانِ بأعقابِهما في صدره حتى يُمسك»[٢].
يعني: يسكت.

فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه - قال: الغناء يُنبت النفاق في القلبِ، كما يُنبت الماءُ الزرع[٣].

وعنه أيضاً قال: إذا ركب الرَّجل الدَّابَّة، ولم يسمِّ؛ ردفه الشيطان، وقال له: تغنَّ، فإن لم يحسن؛ قال له: تمنَّه[٤].

وقال - رحمه الله -: لعن الله المغنِّي، والمغنَّى له[٥].

وقال الفُضيل بن عياض - رحمه الله -: الغناء رقيةُ الزنى[٦].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٤١) ورقم (٣٤٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده سليمان بن سالم الحراني، ضعفه أبو حاتم، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان لا يُحتج به.

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (٧٨٢٥ و٧٧٤٩) وفيهما علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف جداً، وقال البخاري: منكر الحديث - وقال الدارقطني: متروك، وعبيد الله بن زحر - قال أبو مسهر: صاحبُ كل معضلة، وقال ابن المديني: منكر الحديث، والحديث ضعيف جداً.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٠٩٨ و٥٠٩٩) من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه، وإسناده صحيح.

(٤) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥١٠١) من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه، وإسناده صحيح.

(٥) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥١٠٥) من كلام الشعبي رحمه الله موقوفاً عليه، وليس من كلام ابن مسعود كما أشار المؤلف رحمه الله.

(٦) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥١٠٨) موقوفاً على الفضيل بن عياض رحمه الله.

وقال رافع بن حفص المدني: أربعةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: السَّاحر، والنائحة، والمغنيِّة، والمرأة مع المرأة.

قوله: المرأة مع المرأة؛ يعني: مساحقة المرأة للمرأة.

وقال واثلة: سحاق النساء بينهن لواط[1].

وقال النبيُّ - ﷺ -: «إنَّما نُهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوتٍ عند نغمة لهوٍ، ولعبٍ، ومزامير شيطان، وصوتٌ عند مصيبةٍ، وخمشٍ في وجوه، وشقِّ جيوب، ورنة شيطان»[2].

وقال الحسن - رحمه الله -: صوتان ملعونان: مزمارٌ عند نغمةٍ، ورنَّةٌ عند مصيبةٍ.

وعن نافعٍ قال: كنتُ أسير مع ابن عمر في طريق، فسمع زمارة راعٍ، فوضع أُصبعيه في أُذنيهِ، ثمِ عدل عن الطَّريق، فلم يزل يقول: يا نافع! أتسمع؟ حتى قلت: لا، فأخرج أُصبعيه من أذنيه، ثم رجع إلى الطريق، وقال: هكذا رأيت رسول الله - ﷺ - صنع[3].

وقال أنس - رضي الله عنه -: أخبث الكسب كسب الزمَّار.

وعن ابن عبَّاسٍ عن النبي - ﷺ - قال: «إنَّ الله حرَّم عليكم الخمر، والميسر، والكوبة، وهي الطبل» وقال: «كل مسكر حرام»[4].

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥٤٦٤) موقوفاً على واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار رقم (٧٩٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة».
ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٠) ومن حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧) وقال: رواه أبو يعلى والبزار، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وفيه كلام من حديث عبد الرحمن بن عوف أقول: وهو حديث حسن بما قبله.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٥١٢٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفي إسناده عمرو بن عثمان الرقي ضعيف وكان قد عمي.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٢٦٢٥) والبيهقي في السنن (١٠/ ٢٢١) وأبو داود رقم (٣٦٩٦) وابن حبان رقم (٥٣٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح.

وعن نوف البكالي قال: بايتُّ عليّاً ـ رضي الله عنه ـ فأكثر الدخول والخروج، والنَّظر في السَّماء، وقال: قال نبيُّ الله داود ـ عليه السلام ـ: إنَّ هذه السَّاعة لا يسأل الله فيها عبدٌ مؤمنٌ مسلمٌ شيئاً؛ إلاَّ أعطاه الله، إلا أن يكون شاعراً أو عريفاً، أو عاشراً، أو شرطيّاً، أو يكون صاحب كوبة، وهي: الطَّبل، أو صاحب بربط، وهي: الطنبور.

وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «مَنْ لعب بالنردشير؛ فكأنَّما صبغ يده في لحم خنزيرٍ ودمه»[1].

وقال ﷺ: «مَنْ لعب بالنَّرد؛ فقد عصى الله ورسوله»[2].

وسئل عبد الله بن نافع عن الشَّطرنج، والنَّرد، فقال: ما أدركت أحداً من العلماء إلا يكرهها. وهكذا قال مالكٌ[3].

وسئل مالك عن قبول شهادتهم، فقال: لا تُقبل شهادتهم ولا كرامة[4].

وعن عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه مرَّ على قوم يلعبون بالشِّطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمسَّ أحدكم جمراً حتى تطفأ خيرٌ له من أن يمسَّها[5].

وقيل لإبراهيم النخعيِّ: ما تقول في اللَّعب بالشَّطرنج؟ فقال: إنها ملعونةٌ. وكان هو وأصحابه لا يسلِّمون على أحدٍ، إذا مرُّوا به من أصحاب هذه اللُّعبة[6].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٧١) ومسلم رقم (٢٢٦٠). وأبو داود رقم (٤٩٣٩) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٦٩) وأبو داود رقم (٤٩٣٨) والبغوي رقم (٣٤١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفي سنده انقطاع سعيد بن أبي هند لم يلق أبا موسى فيما قاله أبو حاتم كما نقله عن ابنه في المراسيل. ص (٧٤) لكن للحديث طريق آخر بنحوه يتقوى به.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٢٨) موقوفاً على عبد الله بن نافع وهو ثقة كما قال الحافظ في التقريب.

(٤) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٢٨) موقوفاً على عبد الله بن نافع رحمه الله.

(٥) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥١٨) موقوفاً على علي رضي الله عنه، وفي إسناده أصبغ بن نُباتة قال الحافظ: متروك.

(٦) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٢٠) موقوفاً على إبراهيم النخعي رحمه الله.

وقال ابن سيرين : لو رددت شهادة من يلعب بالشَّطرنج ؛ لكان ذلك أهلاً[1] .

وسئل ابن عمر عن الشِّطرنج فقال : هي شرٌّ من النَّرد[2] .

وعن واثلة بن الأسقع ، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «إنَّ للهِ في كلِّ يوم ثلاثمئةٍ وستين نظرةً ، ليس لأصحاب الشِّطرنج فيها نصيب» رواه أبو بكر الأثرم[3] .

فعلى هذا : يحرم اللَّعب بها ، وإن خلا من القمار ، ولأنَّه يصدُّ عن ذكر الله ، وعن الصَّلاة ، فأشبه القمار .

وعن مجاهد في قوله : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] قال : هي بروج الحمام[4] .

وقيل : كان ملاعب آل فرعون الحمام .

ويروى عن النبيِّ ـ ﷺ ـ : «أنَّه رأى رجلاً يتبعُ حمامةً ، فقال : شيطانٌ يتبعُ شَيْطانةً»[5] .

وقال إبراهيم النخعيُّ : مَنْ لعب بالحمام الطيَّارة ؛ لم يمت حتى يذوق ألم الفقر[6] .

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٢٧) من كلام ابن سيرين موقوفاً عليه رحمه الله .

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥١٨) من كلام ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في العلل المتناهية (٢/ ٢٩٧) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ من سورة الشعراء (٣/ ٣٤١) من كلام مجاهد بن جبر رحمه الله .

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (٨٥٤٣) والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٣٠٠) وأبو داود رقم (٤٩٤٠) وابن ماجة رقم (٣٧٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وإسناده حسن ، ويشهد له ما رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (١٩٧٣٣) من حديث عثمان رضي الله عنه وعن أنس رواه ابن ماجه رقم (٣٧٦٧) .
(شيطان) قال السندي أي هو شيطان لاشتغاله بما لا يعنيه ، يقفو أثر شيطانة أورثته الغفلة عن ذكر الله .

(٦) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٣٨) موقوفاً على إبراهيم النخعي رحمه الله .

وعن شُريح القاضي ـ رحمه الله ـ أنَّه كان لا يُجيز شهادةَ صاحب حَمَامٍ ولا حمَّام.

إنما لم يجز شهادة صاحب الحمَّام أيضاً؛ لأنهم يشاهدون كشف العورات؛ ويباشر عورات الناس بنفسه، كفعل كثيرٍ من القوَّام في الحمَّام، يباشرون عورات الناس بأيديهم، وأبصارهم، ولا يأمرون أحداً بستر عورته.

وقال سفيان: سمعنا: أن لعباً بالجلاهق، ولعباً بالحمام من عمل قوم لوط[1]. الجلاهق: قوس البندق. وكراهتها: أنَّها لا تُسيل دم الصيد. وصيدها في الغالب موقوذ.

وعن حُويرة بن إسماعيل عن عمِّه قال: حججتُ سنةً، فنزلنا منزلاً ومعنا امرأة، فنامت، وانتبهت، وحيَّةٌ مطويةٌ عليها لا تضرُّها، حتى دخلنا أنصابَ الحرم، فانصابت، فدخلنا مكة، فقضينا نُسكَنا، وانصرفنا حتى إذا كنَّا بالمكان الذي تطوّقت عليها فيه؛ نزلنا، فنامت، فاستيقظت والحيَّة منطويةٌ عليها، ثم صَفَرتْ الحيَّةُ، فإذا بالوادي يسيل عليها حياتٍ، فنهشتها حتى بقيت عظاماً، فقلنا لجاريتها: ويحك! أخبرينا عن هذه المرأة. قالت: إنها زنت ثلاث مرَّاتٍ، كلُّ مرَّةٍ تلد ولداً، فإذا وضعته؛ سجرت التنور، ثم ألقته فيه.

فصل
في فضل التَّوبة، وأنَّها تكفِّر الذُّنوب

قال الله ـ عزَّ وجل ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [التحريم: ٨].

فالتَّوبة النصوح التي أمر اللهُ بها ووعدَ بتكفيرِ سيئاتِ فاعلها النَّدمُ على ما سلف بالقلبِ، وكثرةِ الاستغفار باللِّسانِ، وعقدُ العزم مع الله ألاَّ يعود إلى ما سلف منه،

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٦٥٣٨) وقال حدثنا ابن أبي الدنيا ثنا ابن جميل ثنا ابن المبارك أن سفيان وذكره من قوله، والإسناد صحيح.

فإن كانت المعصية مظلَمةٌ بمالٍ أو عرضٍ اشتُرطَ لها شرط رابعٌ ، وهو ردُّها إليه ، أو طلب المسامحة منه .

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ : «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[١] . وقال : «للهُ أفرحُ بتوبةِ أحدِكم بضالَّته وقد أضلها بأرض فلاة إذا وجدها»[٢] .

بـادِرْ إلـى التَّـوبَـةِ الخلصـاء مُجْتَهِـداً والمَـوْتُ ويْحـكَ لَمْ يَمْـدُدْ إليـكَ يدا
فـإنَّمـا المَـرْءُ فـي الـدُّنيـا علـى خَطَـرٍ إنْ لَـمْ يَـكُنْ مَيتـاً في اليَـوْمِ مـاتَ غدا

* * *

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٣٠٤٩) مطولاً وعبد بن حميد رقم (١١٩٧) والترمذي رقم (٢٤٩٩) وابن ماجه رقم (٤٢٥١) والحاكم (٤/ ٢٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده حسن .

(٢) رواه الترمذي بلفظ المؤلف رقم (٣٥٣٢) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وقد رواه البخاري رقم (٦٣٠٨) ومسلم رقم (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ : «للهُ أفرحُ بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دويّة مهلكة» وذكره ومن حديث أنس رضي الله عنه رواه مسلم رقم (٢٧٤٧) قريباً من لفظ المؤلف .

الكبيرة السبعون

التعرُّض لأحدٍ من الصَّحابة بسبٍّ ، أو طعنٍ، أو ازدراءٍ أو أو أذى

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨].

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنَّه قال : «يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : مَنْ عادى لي ولياً؛ فقد آذنته بالحرب»[١] . أي : أعلمته بأني محاربٌ له ، وإذا لم يكن الصحابةُ أولياءُ الله؛ فمن أولياؤه؟! فمن عادى واحداً منهم ، أو ازدراه ، أو انتقصه؛ فقد نصب نفسه لحرب الله.

هذا مع قول النبيِّ ـ ﷺ ـ : «لا تسبُّوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده! لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهباً؛ ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه». مخرَّج في «الصحيحين»[٢] .

هذا قوله لبعض من تأخر إسلامه من أصحابه أيضاً ، فكيف لمن ليس هو من الصحابة أن يسبَّهم؟ وما ذاك إلا لفضلِ سَبْقِهم إلى الإسلام ، ونصرِهم رسول الله ـ ﷺ ـ الذي قام الدِّين به ، ومواساتهم له بالأنفس والأموال.

وقد قال علماء السَّلف في قوله تعالى : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل : ٥٩] قال : هم أصحاب محمَّد ـ ﷺ ـ[٣] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢) والبيهقي في السنن (٣/ ٣٤٦) والبغوي في شرح السنة رقم (١٢٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر ما قاله الحافظ ابن رجب في شرحه وتعليقه على هذا الحديث في كتاب جامع العلوم والحكم الحديث الثامن والثلاثون فإنه نفيس ومهم.

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٧٣) ومسلم رقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البزار رقم (٢٢٤٣) وفي إسناده الحكم بن ظُهير متروك . من حديث ابن عباس رضي الله عنه . =

وقال ابن عمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] قال: هم أصحاب محمَّدٍ ـ ﷺ ـ[١] ومن يكن هؤلاء الأخيار الأصفياء الصادقون غداً خصومَهُ وأعداءَه؛ فإنَّه منافقٌ، خبيثٌ، ملعونٌ.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أُمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ـ ﷺ ـ فسبوهم[٢] وروي عن النبيِّ ـ ﷺ ـ: أنَّه قال: «مَنْ سبَّ أصحابي؛ فعليه لعنة الله»[٣].

وحذَّر النبيُّ ـ ﷺ ـ أشدَّ التَّحذير من التَّعرُّض لأحدٍ منهم بأذًى، أو بُغضٍ، أو سبٍّ.

فقال: «اللهَ اللهَ في أصحابي! لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم؛ فبحبي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم؛ فقد آذاني، ومن آذاني؛ فقد آذى الله، ومن آذى الله؛ أوشك أن يأخذه». أخرجه الترمذيُّ في «جامعه»[٤].

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حال مَنْ جعلهم غرضاً بعد الرَّسول ـ ﷺ ـ وسبَّهم، وأزرى عليهم، وعابَهم، وانتقصَهم، وآذاهم.

فقوله ـ ﷺ ـ: «اللهَ اللهَ!» كلمةُ تحذير وإنذارٍ كما يقول المحذِّر للنَّار: النَّارَ النَّار!.

وقوله: «لا تتَّخذوهم غرضاً بعدي» أيّ: لا تتَّخذوهم غرضاً للسبِّ والطَّعن. كما يقال: اتَّخذ فلانٌ فلاناً غرضه للمسبَّة؛ أي: هدفاً للسبَّة.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال قال ابن عمر هم محمد ﷺ وأصحابه.

(٢) رواه مسلم رقم (٣٠٢٢) موقوفاً على عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البزار رقم (٢٧٧٨) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفي إسناد البزار سيف بن عمر متروك، وفي إسناد الطبراني عبد الله بن سيف الخوارزمي ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٨٠٣) والترمذي رقم (٣٨٦٢) والبغوي في شرح السنة رقم (٣٨٦٠) من حديث عبد الله بن مغفَّل رضي الله عنه وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد قال البخاري، فيه نظر، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أقول: في إسناده ضعف.

وقوله: «فمن أحبَّهم؛ فبحبِّي أحبهم، ومن أبغضهم؛ فببغضي أبغضهم» فهذا من أجلِّ الفضائل والمناقب لهم - رضي الله عنهم - لأنَّ محبتهم إنَّما هي؛ لأنهم صحبوا رسول الله - ﷺ - ونصروه، وواسوه بالأنفسِ والأموالِ، فمن أحبَّهم؛ فإنَّما أحبَّ النبيَّ - ﷺ - وَمَنْ أبغضهم؛ فإنما أبغض النبيَّ - ﷺ - فحبُّ أصحابه إنَّما هو عنوان حبِّه، وبغضهم إنما هو عنوان بغضه. كما جاء مفسراً في الحديث الصحيح: «حبُّ الأنصار من الإيمان، وبُغضهم من النِّفاق»[1]. وما ذاك إلا لسابقتِهم، ومجاهدتِهم في الله القريب والبعيد. وكذلك المهاجرون الأوَّلون.

وأثنى الله - سبحانه وتعالى - على الفريقين بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فانظر ما أعطاهم الله تعالى من الرِّضا عنهم، ودخول الجنَّات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾.

قال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالتَّرحم عنهم، والدُّعاء لهم، فمن دعا لهم، وترحَّم عليهم؛ كان له أيضاً الرِّضا من الله، ودخول الجنَّات، ومن آذاهم، أو سبَّهم، أو أزرى عليهم؛ لا يكون من التابعين لهم بإحسانٍ، ولا يناله ما وعدهم به من الرِّضا، ودخول الجنَّات؛ إلا أن يتوب إلى الله - عزَّ وجلَّ -.

فصل

[يعرف قدر الصحابة من عرف سيرتهم]

وإنما يَعرف قدر الصحابة - رضي الله عنهم - وفضائلَهم من تدبَّر أحوالهم، وسيرهم، وآثارهم في حياة رسولِ الله - ﷺ - وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة في أعداء الله ورسوله، ونشر دين الله وإظهاره، ونقل سنَّة رسوله، وتعليم فرائض الدين وسننه، **فلولاهم ما وصل إلينا من الدِّين أصلٌ ولا فرعٌ، ولا حملنا من الشرائع سنةً ولا فرضاً، ولا علمنا من أحاديثِ رسول الله - ﷺ - وأخبارِه، وسيرته، وآثارِه شيئاً**، فمن طعن عليهم، وسبَّهم؛ فقد خرج من

(١) رواه مسلم رقم (٧٤) في الإيمان من حديث أنس رضي الله عنه.

الدِّين ، ومرقَ من مِلَّةِ المسلمين؛ لأن الطعن عليهم لا يكون إلا من حقدٍ فيهم ، واعتقاد مساويهم ، وإنكار ما ذكر الله ـ تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، ورضاه عنهم . وما ذكره الرَّسول ـ ﷺ ـ من فضائلهم ، ومناقبهم ، وحبهم .

وأنَّهم أيضاً هم الوسائل من المأثور ، والوسائط في المنقول ، والطعن في الوسائط طعنٌ في الأصل ، والازدراء بالناقل إزدراء بالنَّقل . وهذا ظاهرٌ لمن تدبره ، وسلم من النفاق باطنه ومن الزندقة والإلحاد عقيدته .

وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار بذلك ، كقول النبيِّ ـ ﷺ ـ: «إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء ، وأنصاراً ، وأصهاراً ، فمن سبَّهم؛ فعليه لعنة الله والملائكة ، والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدلٌ»[1] .

وعن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ناسٌ من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ: يا رسول الله! إنا نُسَبُّ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من سبَّ أصحابي؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2] .

وعنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله اختارني ، واختار أصحابي ، فجعلهم لي إخواناً ، وأصحاباً ، وأصهاراً ، وسيجيء بعدهم قومٌ يسبونهم ، وينتقصونهم ، فلا تواكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تناكحوهم ، ولا تصلُّوا عليهم ، ولا تصلُّوا معهم»[3] .

وعن معاذ بن جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا معاذُ! أطع كل أمير ، وصلِّ خلف كل إمامٍ ، ولا تسبَّ أحداً من أصحابي»[4] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٧/ ١٤٠) والأوسط (٤٥٩) من حديث عويم بن ساعدة رضي الله عنه ، وفي إسناده محمد بن طلحة التيمي ، قال ابن أبي حاتم: لا يُحتج به ، والحديث ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٧٠٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي إسناده عبد الله بن خداش ضعيف .

(٣) ذكره العقيلي في الضعفاء (١/ ١٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه البيهقي في السنن (٨/ ١٨٥) وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٨٠) .
وفي إسناده حُميد بن مالك اللخمي قال يحيى: ضعيف ، وقال النسائي: لا أعلم أحداً روى عنه إلا إسماعيل بن عياش ، والحديث ضعيف ، وانظر لسان الميزان (٢/ ٣٦٦) . =

وعن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّ ـ ﷺ ـ قال: «إذا ذكر أصحابي؛ فامسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا»[1].

وهذا الحديث يبيِّن لك أنَّ جميع وقائعهم من باب القدر المسكوت عنه، فلا سبيل لأحدٍ في التفتيشِ عليه، ولا التنقيبِ فيه، ولقد عابَ العلماء والفقهاء لمن كتبها، ودوَّنها، أعني: وقعة الجمل، وصِفِّين، ووقعة الدَّار، وسائر المنازعات؛ التي جرت بينهم، وعابوا من نظر فيها، واتهموا من كَتَبها، وجمعَها، وتطلَّبها، **وجعلوا الكف عمَّا شجر بينهم علامةَ الإيمان والإحسان، ونشره: علامة النفاق والخذلان، كما جعلوا نشر فضائلهم ومناقبهم من علامة الإيمان والإحسان، والكف عنها علامة الفسوق والعصيان**. وبذلك جاءت الآثار عن السَّادة الأخيار.

قال أيوب السَّختياني[2] ـ رحمه الله ـ: من أحبَّ أبا بكرٍ؛ فقد **أقام الدِّين**، ومن أحبَّ عمر؛ فقد **أوضحَ السبيل**، من أحبَّ عثمان؛ فقد **استنار بنور الله**، ومن أحبَّ عليّاً؛ فقد **استمسك بالعروة الوثقى**، ومن قال: الخير في جميع أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقد بريء من النفاق.

وقال عبد الرحمن بن زيد ـ رحمه الله ـ: أدركت أربعين شيخاً من التابعين يحدثنا عن أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**من أحبَّ جميعَ أصحابي، ووالاهم، واستغفر لهم؛ جعله الله يوم القيامة معهم في الجنَّة**»[3].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٤٢٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال أبو نعيم: غريب من حديث الأعمش، تفرد به مسهر وهو ضعيف، وقال: الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٥٠) رواه الطبراني وإسناده حسن، أقول: وهو حديث حسن بشواهده، فقد رواه الطبراني من حديث ثوبان رضي الله عنه، ومن حديث ابن عمر أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٢٩٥) فالحديث حسن بهذه الشواهد.

(٢) أيوب السختياني، هو الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة العنزي عداده في صغار التابعين وُلد في العام الذي تُوفي به ابن عباس، وتوفي رحمه الله سنة (١٣١) هـ بالبصرة زمن الطاعون.

(٣) رواه الحسن بن عرفة في جزئه رقم (٥١)، والقطيعي في زيادات فضائل الصحابة للإمام أحمد (٤٨٩). وفيه سلم بن سالم البلخي، وعبد الرحيم بن زيد العمى متهمان بالكذب. والحديث ضعيف جداً.

وقال ميمون بن مهران قال لي ابن عباس: لا تسبَّ السَّلف، وادخل الجنَّة بسلام.

وقال سفيان لرجلٍ يوصيه: لا تسبَّ، وادخل الجنَّـة بسلام.

والأخبار والآثار في هذا الباب أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تذكر.

وقال علماء السُّنَّة في قول النبي - ﷺ -: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النُّجوم فأمسكوا»: يريد من فحص عن سرِّ القدر في الخلق فلا سبيل إلى ذلك، بل الإمساك عن سرِّ القدر في الخلق هو علامة الإيمان، والتسليم لأمر الله.

وكذلك النُّجوم، من اعتقد أنَّها فعالـةٌ بأنفسها، أولها أثراً وتأثيراً؛ فهو مشرك.

وكذلك من ذكر أصحاب رسول الله - ﷺ - بسوءٍ، وتتبَّع عثراتهم، أو ذكر عيباً، وأضافه إليهم؛ كان منافقاً. وهذا الحديث وأمثاله يحتوي على علومٍ جليلةٍ.

وفي الجملة: فالواجب على المسلم حبُّ الله، وحبُّ رسوله، وحبُّ ما جاء به، وحبُّ من يقوم بأمره، ويأخذ بهديه، ويعمل بسننه، وحبُّ آله، وأصحابه، وأزواجه، وأولاده، وخدَّامه، وحبُّ من يحبُّهم، وبغضُ من يبغضهم، وذلك من الإيمان، بل أوثق عرى الإيمان.

كما قال النبيُّ - ﷺ -: «أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبغضُ في الله»[(١)].
وذلك أيضاً من تمام محبَّة الرسول - ﷺ -. كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والده، وولده، والنَّاس أجمعين»[(٢)] فمن ادَّعى محبَّة الرَّسول - ﷺ - وبغض أصحابه؛ لا يكون محبَّاً له.

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٨٥٢٤) والطيالسي رقم (٧٤٧) والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١٤) وابن أبي شيبة (١١/٤١) وفي الإيمان رقم (١١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف، وللحديث شواهد يتقوى بها فهو بها حسن.

(٢) رواه البخاري رقم (١٥) ومسلم رقم (٤٠ و٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال: «يَظهرُ في آخر الزَّمان قومٌ يسمَّوْن الرَّافضة، يَرفضون الإسلام»(١). فهذا نصٌّ من الرسول ـ ﷺ ـ على من أطلق عليه هذا الاسم، يعني: اسم الرَّفض، قد رفض الإسلام.

فصل
[في مناقب الصحابة مجملاً]

ومناقب الصَّحابة، وفضائلُ القرابة أكثر من أن تُحصر، وقد أجمع علماءُ السُّنَّة ـ رضي الله عنهم ـ: أنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أفضلُ الأمة، وأنَّ أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنَّة، وهم: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبير، وسعدُ بنُ أبي وقَّاص، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجرَّاح.

وأفضل هؤلاء: الخلفاء الأربعة: أبو بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٌّ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ولا يشكُّ في ذلك إلا منافقٌ خبيث..

وأجمعوا على نشر فضائلهم، وعدِّ محاسنهم ومناقبهم؛ لتتألف القلوب على محبتهم، ووِدادهم. وأجمعوا على الإمساك عمَّا شجر بينهم، وألا يجعل ذلك سبباً للوقيعة فيهم، والسَّبِّ لهم، والطَّعن عليهم.

وقال غير واحدٍ من العلماء: مَنْ سبَّ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أو ذكرهم بغير ما ذكرهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسوله ـ من حسن الثناء، ونشر المحاسن والفضائل؛ فليس له نصيبٌ في المسلمين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ... ﴾ [الحشر: ٨] إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

وقال غير واحدٍ من الصحابة، والتابعين، وعلماء التفسير في هذه الآية: إن الله ـ تعالى ـ أمر بالاستغفار للصحابة مع علمه بما يكون منهم.

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في العلل المتناهية رقم (١/ ١٥٧) من حديث علي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أمروا بالاستغفار لهم ، فسبُّوهم .

وقال ابن عمر لرجلٍ نال من عثمان: تعالَ! فأقعده بين يديه ، وقرأ عليه هذه الآية : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ إلى آخر الآية ، فقال : أنت من هؤلاء؟ قال : لا .

فقرأ عليه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ . . . ﴾ الآية ، ثم قال : أنت من هؤلاء؟ قال : لا ، ثم قرأ عليه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية ، ثمَّ قال : أمن هؤلاء أنت؟ فقال الرّجل : أرجو أن أكون منهم .

فقال ابن عمر : لا والله لا يكون منهم من يتناولهم ، ويتنقصهم ، وكان في قلبه الغلُّ عليهم .

وجاء نفرٌ من أهل العراق إلى عليِّ بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ فنالوا من أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، فلما فرغوا؛ قال لهم : ألا تخبروني : أنتم المهاجرون الأوّلون ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؟ قالوا : لا .

قال : فأنتم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؟ قالوا : لا .

فقال لهم : أمّا أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين . ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أخرجوا! فعل الله بكم . فخرجوا من عنده خزايا .

وقال أبو الأحوص : لو أنَّ الرُّوم أقبلت من موضعها حتى تبلغ التحلية ، ثمَّ خرج بسيفه ، فاستنقذها في أيديها ، وردَّها على أعقابها إلى موضعها ، ولقي الله وفي قلبه غلٌّ ، أو نقص ، أو عداوةٌ لأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ما رأينا ذلك ينفعه . ولقد استدرك العلماء بمن ينغاظ بأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ: أنّه كافر؛ لقوله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: مَنْ أصبح من النَّاس في قلبه غيظٌ على أحدٍ من

أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقد أصابته الآية. وحسبك بعالم المدينة الإمام مالك ـ رحمه الله ـ يقول هذا.

فصل
في فضائل الصحابة مفصلاً

وإذ قد ذكرنا فضائلهم مُجملاً؛ فخذهُ الآن مفصلاً، وهو أن تعلم أن أهل السنَّة والجماعة ـ الفرقة النَّاجية ـ أجمعوا على أنَّ أفضل الخلق عند الله **محمدٌ رسولُ الله ـ ﷺ ـ**.

وأفضل الخلق بعده أصحابُه، وأفضل أصحابه **العشرة المشهود لهم بالجنَّة**؛ الذين ذكرنا أسماءهم، وأفضل العشرة **الخلفاء الأربعة**: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وأفضل الأربعة **أبو بكرٍ** ـ رضي الله عنه ـ فهو خير الناس كلِّهم بعد النبيين والمرسلين، فقد تواترت بذلك الآيات المستفيضة والأخبار الصَّحيحة؛ التي لا تعل، المروية في الأمهات والأصول.

أمَّا الآيات من القرآن العزيز؛ فقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ [النور: ٢٢] الآية. فنعته بالفضل، ولا خلاف أنَّ ذلك فيه ـ رضي الله عنه ـ حين حلف: ألَّا ينفق على مسطح حين تكلَّم مع أهل الإفك في أمر عائشة، وكان مسطح قرابة لأبي بكر، فلمَّا نزلت هذه الآية؛ ردَّ إليه نفقته[1].

وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [براءة: ٤٠] فشهدت له الرُّبوبية بالصُّحبة، وبشَّره بالسكينة، وحلَّاه بثاني اثنين، كما قال عمر: من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما؟!

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] لا خلاف، وهو قول جعفر الصادق، وقول عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في التفسير ظاهرٌ جليٌّ: أنَّ الذي جاء بالصِّدق رسول الله ـ ﷺ ـ والذي صدَّق به أبو بكرٍ، وأيُّ منقبةٍ أبلغ من هذا؟!.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١] إنَّ ذلك فيه ـ رضي الله عنه ـ.

ولمَّا أخبر الله سبحانه: أنَّه لا يستوي السَّابقون ومن بعدهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] ورأيناه ـ رضي الله عنه ـ أول من أسلم ممَّن أسلم من قبل الفتح، وأول من أنفق، وأول من قاتل وجاهد، وأوذي في الله بعد رسول الله ـ ﷺ ـ وبه قال جعفر الصَّادق في مناظرة بعض أصحاب الأهواء.

والخبر في «البخاريِّ» مسطورٌ: أنَّ عقبةَ بن أبي معيط وضع رداء رسول الله ـ ﷺ ـ في عنقه، وخنقه به، فأقبل أبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ يَعدو، ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟![١].

قال: فتركوا رسول الله ـ ﷺ ـ وأقبلوا على أبي بكرٍ، فضربوه حتَّى لم يُعرف أنفه من وجهه من كثرة ما ضربوه، وأدموه، فكان رضي الله عنه أول من جاهد في سبيل الله، وقاتل.

وفدى النبيَّ ـ ﷺ ـ بنفسه، وكذا صنع في الغار حين ألقم عقبه الثقب الذي في الغار، لئلا يخرج منه شيء يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ فجعل ما فيه من الأفاعي يلسعن أبا بكرٍ، ودموعه تتحادر على لحيته، فنظر إليه رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: «اللهم اجعل أبا بكرٍ معي في درجتي يوم القيامة»[٢].

وهو أول القوم إسلاماً، وذلك ظاهرٌ جليٌّ من مرتبة عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ يوم قبض الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ فقال: اليوم انقطعت خلافة النبوَّة، ثمَّ قال: «كنتَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦٧) ورقم (٧١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٤٢) والجامع الكبير للسيوطي رقم (٩٩٣٨) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده هلال بن عبد الرحمن قال العقيلي: منكر الحديث.

أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأقواهم يقيناً» وذكر شيئاً من مناقبه يطول ذكرها .

وقال النبيُّ - ﷺ -: «أوَّلُ مَنْ آمن بالله ورسوله حرٌّ وعبدٌ ، وفتى وامرأةٌ»[١] .

لا خلاف أن الحرَّ أبو بكر ، فأخبر : أنَّه أول من آمن بالله من الرِّجال الأحرار ، وواسى النبيَّ - ﷺ - بماله ، ونفسه ، وقال عنه رسول الله - ﷺ -: «ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر»[٢] .

وقال : «لكلِّ نبيٍّ خليل ، وخليلي من هذه الأمَّة أبو بكرٍ»[٣] . وقال : «مثل أبي بكر لا تلده أمٌّ» . وقال : «خيركم بعدي أبو بكر»[٤] .

وهذا نصٌّ من رسول الله - ﷺ - على فضله ، وتقديمه - رضي الله عنه - .

وقال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - كنَّا نتذاكر الفضائل فيما بيننا حتَّى ارتفعت أصواتٌ ، فخرج رسول الله - ﷺ - وقال : «فيم ارتفعت أصواتكم؟» قلنا : يا رسول الله! تذاكرنا الفضائل فيما بيننا . فقال : «أفيكم أبو بكرٍ؟» يعني : كان . قالوا: لا . قال: «لاتفضِّلُنَّ أحداً منكم على أبي بكر؛ فإنَّه أفضلكم في الدُّنيا والآخرة»[٥] .

وخبر أبي الدَّرداء المشهور قال: رآني رسول الله - ﷺ - وأنا أمشي أمام أبي بكرٍ ، فقال : «يا أبا الدرداء! تمشي أمام مَنْ هو خير منك! ما طلعت الشمسُ ولا غربت على أحدٍ بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكرٍ» .

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وقد ذكر الإمام أحمد في فضائل الصحابة أحاديث بلفظ : «أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه» من كلام محمد بن سيرين وإبراهيم النخعي موقوفاً عليهما .

(٢) رواه الحميدي في مسنده رقم (٢٥٢) وأبو يعلى رقم (٤٤١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وإسناده صحيح ورواه ابن حبان رقم (٦٨٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٢٥٩٨) وقال : رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٥١) من حديث علي رضي الله عنه موقوفاً وإسناده صحيح .

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١١) ورقم (١٠٦٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه ، وقال أبو نعيم : غريب من حديث إسحاق . أقول في إسناده محمد بن خالد الختلي قال ابن الجوزي في الموضوعات : كذّبوه . وقال ابن منده : صاحب مناكير .

وفي روايةٍ: «أتمشي بين يدي من هو خيرٌ منك؟» فقلت: يا رسول الله! أبو بكرٍ خيرٌ منِّي؟ قال: «ومن أهل مكة جميعاً» قلت: يا رسول الله! أبو بكرٍ خيرٌ منِّي؟ قال: «ومن أهل مكة» قال: «ومن أهلِ المدينة» قلت: يا رسول الله! أبو بكرٍ خيرٌ مني ومن أهل الحرمين؟ قال: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء بعد النبيين والمرسلين أخير وأفضل من أبي بكر ـ رضي الله عنه»[1].

وسئل عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وهو على منبر الكوفة: من أخير الناس بعد رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فقال: أبو بكر، ثم عمر، ثمَّ عثمان، ثم قال: وإلا فصُمَّتْ أذناي إن لم أكن سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ وإلا فعميت ـ وأشار إلى عينيه ـ إن لم أكن رأيته ـ يعني رسول الله ﷺ ـ يقول: «ما طلعت الشمس، ولا غربت على رجلين أعدل، ولا أفضل ـ وروي: ولا أزكى ـ ولا أخير من أبي بكرٍ وعمر»[2].

ومذهب عمرَ وعليٍّ: أن مَنْ فضَّل على الصدِّيق أحداً؛ فإنَّه يجلد حدَّ المفتري[3].

فروي عن شعبة عن حصين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الجارود بن المعلَّى العبديُّ قال: أبو بكرٍ خيرٌ من عمر. فقال آخر: عمرُ أفضل من أبي بكرٍ، فبلغ ذلك عمر، فضرب الذي فضَّله على أبي بكرٍ بالدِّرَّة حتى شعر برجله، ثم قال: إن أبا بكر صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ وكان أخير الناس في كذا، وكذا ـ في أشياء عدَّدها ـ من قال غير ذلك؛ وجب عليه حدُّ المفتري[4].

وعن حجَّاج بن دينار، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة قال: سمعت

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (١٣٥ و١٣٧) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٣) ورقم (٤٣١٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، عبد الله بن سفيان الواسطي قال العقيلي لا يتابع على حديثه الميزان (٢/ ٤٣٠) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز ثقة مدلس وقال الدارقطني: تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما يسمعه من مجروح. ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٣٧٠٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي كذاب، والحديث ضعيف جداً.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة مختصراً رقم (٥٥٦) من حديث علي رضي الله عنه، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٤٩) من حديث علي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٣٩٦) وذكره ابن تيمية في الصارم المسلول ص (٥٨٥) ونسبه لأحمد في الفضائل، وصحح إسناده.

عليّاً ـ رضي الله عنه ـ يقول: بلغني: أنَّ قوماً يفضلوني على أبي بكرٍ وعمر، من قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري عند الحكم.

وعن أبي عبيدة بن حجل: أنَّ عليّاً ـ رضي الله عنه ـ قال: لا أوتى برجلٍ فضَّلني على أبي بكرٍ وعمر إلاَّ جلدته حدَّ المفتري(١).

وعن محمَّد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ قال: سألت والدي عليّاً ـ رضي الله عنه ـ وأنا في حجره، فقلت: يا أبه! من أخير النَّاس بعد رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فقال: أبو بكر. قلت: ثم مَنْ؟ قال: عمر. فحملني حداثة النَّفس، فقلت: أنت يا أبه! فقال: أبوك رجلٌ من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم(٢).

وخبر أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «أبو بكرٍ وعمر خير أهل السَّماء، وخير أهل الأرض، وخير الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»(٣).

وقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «عليٌّ، وفاطمة، والحسنُ، والحسين أهلي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة أهل الله، وأهل الله خيرٌ من أهلي»(٤).

وفي «مسند الإمام أحمد» عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «خير الناس بعدي أبو بكر، ثمَّ عمر، ثم عثمان، ثمَّ عليٌّ». وهذا نصٌّ في صحيح البخاريِّ(٥).

عن عبد الله بن عمر قال: كنّا نقول: خير الناس بعد رسول الله ـ ﷺ ـ أبو بكر،

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٣٨٧) من حديث علي رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، وله شواهد يتقوى بها.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٣٦) من حديث علي رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٠٢) وفي لسان الميزان (٢/ ٣٧٩) وذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٢٦٤٥) وقال: رواه الحاكم في الكنى، وابن عدي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٣٩٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وذكره من دون سند.

(٥) رواه البخاري رقم (٣٦٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيّر أبا بكر. ثم عمر. ثم عثمان رضي الله عنهم». وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر عند شرح هذا الحديث فإنه نفيس ومهم.

ثم عمر ، ثمَّ عثمان ، فيسمع رسولُ الله ـ ﷺ ـ فلا يعتب علينا[1] ولا خلاف بين السَّلفِ والخلفِ ، وسائرِ أهل السُّنَّة والجماعة ، وأئمةِ الدِّين ، وفقهاءِ المسلمين في أنَّ خيرَ الناس بعد رسولِ الله ـ ﷺ ـ أبو بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثمَّ عليّ على ما ذكرنا . وبه قال جمهور الفرق .

وقد تواترت الأخبار بتفضيلِ أبي بكرٍ ، وتقديمِه ، فهو بعد رسولِ الله ـ ﷺ ـ الإمامُ الأول ، الخليفةُ المبجَّل ، وهو أول من أسلم وبايع ، وأظهر إسلامه وتابع ، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ وخلفه بعده في أمَّته ، فأحسن الخلافة . فضائله كثيرةٌ ، ومناقبه غزيرةٌ في نصوص الآيات والأخبار ، غير مفتقرةٍ إلى بيانٍ وإظهارٍ ، منها : قوله تعالى : ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة : ٤٠] .

قال بعض العلماء : هذه الآية تدلُّ على أنَّه ثانيه في كلِّ الأمور ؛ لأنَّه لم يقل ثاني اثنين في الغار ، ولكن قال : ثاني اثنين إذ هما في الغار ، والخلافة ، والقبر ، وفي الحياة والممات ، وفي كلِّ شيءٍ إلا النبوَّة .

ولهذا قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في مدحه له :

الثـانـيُ التـالـيُ المحمـودُ مشهـدُه وأوَّلُ النَّـاسِ حقَّـاً صـدَّق الـرُّسُـلا

ولي الخلافة بعد رسول الله ـ ﷺ ـ من لدن الثلاثاء ، الغد من وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ لاثنين خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة إلى أن توفي ـ رضي الله عنه ـ في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فتكون خلافته سنتين وشهراً ، وكمل له من العمر ثلاث وستون سنة .

وقيل : اثنان وستون سنة ، شهد له رسول الله ـ ﷺ ـ بالجنَّة ، وتوفي وهو عنه راضٍ .

من ذلك قوله ـ ﷺ ـ : «أبو بكر في الجنَّة ، وعمرُ في الجنَّة ، وعثمان في الجنَّة ، وعليٌّ في الجنَّة . . » إلى أن ذكر العشرة ـ رضي الله عنهم ـ[2] .

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (١١٩٣) والخلال (٥٧٧) بلفظ المؤلف وإسناده صحيح .
ورواه أحمد في المسند رقم (٤٦٢٧) والبخاري رقم (٣٦٥٥ و٣٦٩٧) وأحمد في الفضائل (٥٣ و٥٧) وأبو داود رقم (٤٦٢٧) دون قوله رضي الله عنه : «فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا يكره» .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٧٥) والترمذي رقم (٣٧٤٧) وابن حبان رقم (٧٠٢) وابن

وعن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ عاصباً رأسه في مرضه الذي مات فيه، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: «إنه ليس من النَّاس أحدٌ أمنَّ عليَّ بنفسه وماله من أبي بكرٍ، ولو كنت متخذاً من النَّاس خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدُّوا عنَّا كل بابٍ، أو خوخةٍ في هذا المسجد غير خوخة أبي بكرٍ». هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

وقال ﷺ: «إن أهلَ الدَّرجاتِ العُلى ـ يعني: في الجنَّة ـ ليراهم مَن تحتهم كما ترون النَّجم الطَّالع في أُفق السَّماء، وإنَّ أبا بكرٍ وعمر منهم وأنعما». وهذا حديثٌ حسنٌ، رواه ابن ماجه في «سننه»[2].

وقوله: وأنعما؛ يعني: زادا على ذلك. ويقال: قد أحسنت وأنعمت؛ أي: زدت على الإحسان.

وعن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ أبا بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت للنبيِّ ـ ﷺ ـ وأنا معه في الغار: يا رسول الله! لو أنَّ أحدهم ينظر إلى تحت قدميه؛ لأبصرنا! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما». هذا حديث متفق على صحته. أخرجه البخاريُّ[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافئناه بها ما خلا أبا بكر، فإنَّ لهُ عندنا يداً يكافئهُ اللهُ بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنتُ متخذاً خليلاً؛ لاتخذت

= أبي عاصم في السنة رقم (١٤٣٦) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٧)، والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف (٥/ ١٨٠) وابن سعد (٢/ ٢٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (١٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي إسناده عطية العوفي ضعيف. ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٨٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٥٤): رواه الطبراني وفيه الربيع بن سهل الواسطي ولم أعرفه، من حديث جابر رضي الله عنه. ولم نجده في سنن ابن ماجه كما أشار المؤلف رحمه الله.

(٣) رواه البخاري رقم (٤٦٦٣ و٣٦٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

أبا بكرٍ خليلاً ، ألا وإن صاحبَكم خليلُ الله» يعني : نفسه . رواه الترمذيُّ[1] .

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ بعثه على جيشِ ذاتِ السَّلاسل ، قال : فأتيته ، فقلت : يا رسول الله ! أيُ الناس أحبُّ إليك؟ قال : «عائشة» قلت : من الرِّجال؟ قال : «أبوها» . قلت : ثمَّ من؟ قال : «عمر» فعدَّ رجالاً هذا حديثٌ صحيحٌ ، ثابتٌ ، متفق على صحته ، وثبوته . رواه البخاريُّ ، ومسلم في «صحيحيهما»[2] .

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : كنَّا جلوساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : «إني لا أدري ما بقائي فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدي ـ وأشار إلى أبي بكرٍ وعمر ـ رضي الله عنهما» . هذا حديثٌ حسن . رواه ابن ماجه في «سننه» ، والترمذيُّ في «جامعه»[3] .

وقال ﷺ : «للجنَّة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصَّلاة ؛ دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ؛ دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام ؛ دعي من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصَّدقة ؛ دُعي من باب الصدقة» .

فقال أبو بكر : ما على من دُعي من تلك الأبواب كلِّها من ضرورة ، فهل يُدعى أحدٌ منها كلِّها؟

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «نعم ! وأرجو أن تكون منهم» . رواه البخاريُّ ومسلم[4] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، أقول : وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢ و٤٣٥٨) وابن حبان رقم (٦٨٨٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٣ و٣٦٦٤) وابن ماجه رقم (٩٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٤) رواه بلفظ المؤلف ابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢٣٧) وإسناده صحيح . وورواه البخاري رقم (١٨٩٧) والترمذي رقم (٣٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة» إلى آخر الحديث .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبي بكرٍ وعمر: «هذان سيِّدا كهول أهل الجنَّة من الأولين والآخرين إلا النبيين، والمرسلين، لا تخبرهما يا عليُّ!». هذا حديث حسن، رواه ابن ماجه في «سننه»، والترمذيُّ في «جامعه»، وقال: حديثٌ حسن[1].

فإن قال قائل: إنَّ الجنَّة لايدخلها الكهول، بل كلهم شباب جردٌ مردٌ. قيل: معناه أنَّهما سيِّدا من كان كهلاً في الدنيا من المسلمين، كما قال عن الحسن والحسين: «سيِّدا شباب أهلِ الجنَّة»[2]. أي: سيِّدا من كان شاباً في الدنيا. وقيل معناه: حكماء الأولين والآخرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ والكهل: بمعنى الحليم.

وقوله: «لا تخبرهما يا عليُّ» أي: لا تخبرهما قبلي؛ ليكون هو ـ ﷺ ـ المخبر لهما أولاً، والمبشر لهما بذلك، وليس ذلك على خوف الفتنة عليهما؛ إذ قد أخبر ﷺ في حقِّهما بما هو أعظم من ذلك.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يخرج على أصحابه من المهاجين والأنصار وهم جلوسٌ فيهم أبو بكرٍ، وعمر، فلا يرفع أحدٌ منهم إليه بصره؛ إجلالاً له إلا أبو بكرٍ، وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويبتسمان إليه، ويبتسم إليهما» أخرجه الترمذيُّ[3].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: خرج رسول الله ـ ﷺ ـ ذاتِ يوم، ودخل المسجد وأبو بكرٍ وعمر أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذٌ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٦) من حديث أنس، وإسناده حسن وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
ورواه الترمذي أيضاً رقم (٣٦٦٥ و٣٦٦٧) من حديث علي رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٧٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح بلفظ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٩) وفي إسناده الحكم بن عطية قال في التقريب: صدوق له أوهام، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية، والحكم بن عطية تكلَّم بعضهم فيه.

بأيديهما ، فقال : «هكذا نبعث يوم القيامة» رواه الترمذيُّ[١] .

وقال ﷺ : «إنَّ الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق آدم ، وأعطاك يا أبا بكر ثواب من آمن بي إلى يوم القيامة» . فقسم ذلك بينه وبينه[٢] .

وعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ : أنَّ امرأةً أتت النبيَّ ـ ﷺ ـ كأنها تطلب منه شيئاً ، فأمرها أن ترجعَ إليه ، فقالت : يا رسول الله ! أرأيتَ إن لم أجدك؟ قال : كأنها تعني : الموت . قال : «فإن لم تجديني فائت أبا بكر» . هذا حديثٌ صحيح ، ثابت ، متَّفق على صحته ، وثبوته ، أخرجه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، والتِّرمذيُّ ، وقال : حديث صحيح[٣] . قال الإمام الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ : فيه دليلٌ على خلافة أبي بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ .

وقال ﷺ : «أنا أول من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة ، ثمَّ أبو بكرٍ ، ثمَّ عمر»[٤] . رواه الترمذيُّ ، وقال : حديث حسن .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ في مرضه الذي مات فيه : «مروا أبا بكرٍ ، فليصل بالناس» .

فقلت : يا رسول الله ! أن أبا بكر إذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر ؛ فليصلِّ بالنَّاس . قالت : وقلت لحفصة . قولي له : إن أبا بكرٍ إذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، فمُر عمر ؛ فليصل بالنَّاس ، فقالت حفصة ذلك .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٠) وإسناده ضعيف ، وفي إسناده سعيد بن مسلمه ليس بالقوي ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب .
وروواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٢٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده خالد بن يزيد العمري كذاب .

(٢) ذكره في المسانيد (٢/ ٨٢) ولم نقف له على سند .

(٣) رواه البخاري قم (٣٦٥٩ و٧٢٢٠) ومسلم رقم (٢٣٨٦) والترمذي رقم (٣٦٧٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٨) وأبو داود رقم (٤٧٦٣) من حديث أبي هريرة بلفظ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع» . ورواه الترمذي رقم (٣٦٩٢) بلفظ المؤلف ، وقال : حديث غريب أقول : إسناده ضعيف ، ورواه الترمذي عنه بلفظ : «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسي الحله من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ، فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري» رقم (٣٦١٥) وهو حديث صحيح .

فقال رسول الله - ﷺ -: «مروا أبا بكرٍ؛ فليصل بالناس، إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف». فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيبُ منك خيراً هذا حديث صحيح، متفق على صحته، أخرجه البخاريُّ ومسلم[1].

قال بعضُ أهلُ العلم: إنَّما كرهت عائشة إمامةَ أبي بكرٍ أبيها فيما ثبت باتفاقٍ عنها أن يتشاءم النَّاس بأول مَنْ يقوم مقام رسول الله - ﷺ - فيقولون: لم نره إماماً إلا في مرض رسول الله - ﷺ - وحين موته، فقالت ما قالت لذلك، فأنكر رسول الله - ﷺ - عليها وعلى حفصة، وقال: «إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف». يريد: أنكنَّ فتنةٌ، وقد فتنتنَّ يوسف، وصددتنَّه عن الحقِّ قديماً. وهذا كلامٌ خرج منه - ﷺ - على وجه الغضب عليهنَّ؛ لاعتراضهنَّ عليه في أمره، وتقديمِه من أراد، فلذلك قالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منكِ خيراً حين عرَّضتيني لغضب رسول الله - ﷺ - فتقدَّم رضي الله عنه، وصلَّى في مدَّة مرض النبيِّ - ﷺ -.

وقد اختلفوا في مدَّة مرضهِ - ﷺ - فقيل: أربعة عشر يوماً. وقيل: اثني عشر يوماً، كان ابتداؤه صداعاً وتمادى به، فكان رضي الله عنه خليفة رسول الله - ﷺ - في حياته، ومماته، بتقديم رسول الله - ﷺ - له، ونصّه عليه في الصَّلاة؛ التي هي عماد الدِّين، ودين الإسلام، ولا يصلح للتقدُّم في أهمِّ أمور الدين إلاّ من إليه السياسة وعقدِ الخلافة لصلاةِ الجمع والأعياد؛ التي لا يصلح للقيام بها إلا مَنْ إليه القيام بأمر الأمَّة.

ولهذا قال له عليٌّ - رضي الله عنه -: «رضيك رسول الله - ﷺ - لديننا؛ أفلا نرضاك لدنيانا؟!».

وقد روى البخاريُّ ومسلمٌ - رحمهما الله - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال لي رسول الله - ﷺ -: «ادعي لي أباك وأخاك حتَّى أكتبَ كتاباً؛ فإني أخاف أن يتمنَّى متمنٍّ، ويقول قائلٌ»[2].

وفي روايةٍ من طريق البخاري: «لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكرٍ وابنه وأعهد أن يقول القائلون، أو يتمنَّى المتمنُّون، ويأبى الله، ويدفع المؤمنون، أو:

---

(١) رواه البخاري رقم (٧١٦ و٧٣٠٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٦٦٦) ومسلم رقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنه.

يدفع الله ، ويأبى المؤمنون إلا أبا بكرٍ» . هذا حديثٌ صحيحٌ ، متَّفقٌ على صحته ، رواه البخاريُّ ، ومسلم ، كما قدَّمنا[1] .

وقال ﷺ: «ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مال أبي بكرٍ!» فبكى أبو بكرٍ ، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»[2] .

وكان رضي الله عنه يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم فكان يعتق منها ، ويقوِّي المسلمين .

وعن ابن عمر قال: كنت عند النبيِّ ـ ﷺ ـ وعنده أبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ وعليه عباءةٌ قَدْ خلَّها في صدره بخلال ، فنزل جبريل ، وقال: «يا محمد! مالي أرى أبا بكرٍ عليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلالٍ؟! فقال: يا جبريل! أنفق عليَّ ماله قبل الفتح ، قال: فإنَّ الله يقرأ عليه السَّلام ، ويقول لك: قل له: أراضٍ أنت عنِّي في فقرك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكرٍ: أأسخط على ربي؟! أنا عن ربي راضٍ! أنا عن ربي راضٍ[3] .

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان بيني وبين أبي بكرٍ شيء ، فأسرعتُ إليه ، ثم ندمتُ ، وأتيتُ منزل أبي بكرٍ ، فلم أجده ، ثمَّ أتيتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ فجعلَ وجهُ النبيِّ ـ ﷺ ـ يتمعَّر ، حتى أشفق أبو بكرٍ ـ يعني: خاف ـ على عمر من غضب رسول الله ـ ﷺ ـ فجثى أبو بكرٍ على ركبتيه ، وقال: يا رسول الله! أنا كنتُ أَظلم مرَّتين ، فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: «إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بعثني إليكم ، فقلتم: كذبت! وقال أبو بكر: صدقت! وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ـ مرتين ـ فما أُوذيَ بعدها ـ رضي الله عنه ـ هذا صحيح ، أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[4] .

فإذا كان هذا غضب رسول الله ـ ﷺ ـ على عمر في الدنيا؛ لأجل أبي بكرٍ؛ لأجل يسير كلام وقع بينهما؛ فماذا يكونُ غضبه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ في

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٢١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه أحمد في الفضائل رقم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٥٦٥٨) وقال رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

الآخرة على مَنْ سبّه ، أو انتقصه ، أو آذاه بقولٍ ، أو بفعلٍ ، فلا جرم : أنَّه من الأشقياء المجرمين .

ولهذا أخبر ﷺ : «أن أناساً من أمَّته يطردون يوم القيامة عن حوضه ، فيقول : يا رب أصحابي ! ـ أو : من أمتي ـ فيقال له : إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك ! فأقول : سحقاً ، سحقاً !»[1] أي : بعداً ، بعداً !

وبلا ريب أنَّ من تعرَّض لأحدٍ من أصحابه بسبٍّ ، أو بغضٍ ، أو أذًى : إنَّ ذلك من أعظم الإحداث في سننه ، ودينه .

وهذا وقد قال عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : والذي فلقَ الحبَّة ، وبرأ النَّسمة : إنه لعهد النبيِّ الأميِّ إليَّ : «أنَّه لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق»[2] فإذا كان هذا في حقِّ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ فما الظنُّ بالصدِّيق إلا البرُّ في الأولى والأخرى ، إنَّ من أحبَّه ؛ كان مؤمناً ، ومن أبغضه ؛ كان منافقاً ؛ لأنَّه أفضل الخلق بعد رسول الله ـ ﷺ ـ كما قدَّمنا .

وذكرنا من الآيات والأخبار في فضله وتقديمه ، ومناقبه ، وكما سيأتي في ذكر ما جرى لمن سبَّه أو انتقصه في فصل مستقل في آخر الباب إن شاء الله تعالى .

فصل

وأمَّا فضائل الفاروق عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ الذي قال في حقِّه وفي صاحبه خيرُ البشر ـ ﷺ ـ : «اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكرٍ وعمر»[3] .

وثبت عنه ـ ﷺ ـ : أنَّه كان كثيراً ما يقول «دخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكرٍ وعمر»[4] .

استخلف ـ رضي الله عنه ـ حين توفي أبو بكرٍ ـ رضي الله عنه ـ ليلة الاثنين لسبع

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٤٩) ومسلم رقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم رقم (٧٨) والحميدي رقم (٥٨) وابن حبان رقم (٦٩٢٤) من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٦٣) وأحمد في الفضائل (١٩٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

عشرة خلت من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة ، وطعنه العلج أبو لؤلؤة غلام المغيرة ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وتوفي في أواخر هذه السَّنَة ، ودُفن مع النبيِّ ـ ﷺ ـ ومع صاحبه أبي بكرٍ ـ رضي الله عنهما ـ وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة ، وقيل : تسعٌ وخمسون وكانت خلافته عشر سنين وأشهراً . شهد له رسول الله ﷺ ـ بالجنَّة ، ومات وهو عنه راضٍ ، ودعا له رسول الله ـ ﷺ ـ . فقال : «اللهم ! أعزَّ الإسلام بأحبِّ الرَّجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»[1] .

فسبقت له السَّعادة ، فكان أحبَّ الرَّجلين إلى الله ـ رضي الله عنه ـ .

وروي عن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال : «لمّا أسلم عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على النبيِّ ـ ﷺ ـ وقال : يا محمَّد ! استبشر أهل السَّماء بإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ»[2] .

وعن ابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال : ما زلنا في عزَّةٍ منذ أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ[3] .

وقال عنه رسول الله ـ ﷺ ـ : «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطَّاب» . هذا حديثٌ حسنٌ ، أخرجه الترمذيُّ في «جامعه» ، وقال : حديث حسنٌ[4] .

وقال ﷺ : «بينما أنا نائم أُتيت بقدحٍ لبنٍ ، فشربتُ منه حتَّى إنِّي لأرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري ، ثمَّ أعطيتُ فضلي عمر» .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥٦٩٦) ، والترمذي رقم (٣٦٨١) وابن حبان رقم (٦٨٨١) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر رضي الله عنه أقول : هو حديث صحيح بطرقه .
فقد رُوي عن ابن عباس رواه الحاكم في المستدرك .
وعن عمر رضي الله عنه رواه البزار رقم (٢٤٩٣) .
وعن أنس رضي الله عنه رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٦٧) فالحديث بهذه الطرق صحيح .

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٣٣٠) وفي إسناده عبد الله بن خراش الشيباني قال أبو زرعة : ليس بشيء ، وقال البخاري : منكر الحديث .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٨٤) من كلام ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (٧٤٠٥) والترمذي رقم (٣٦٨٦) والحاكم (٣/ ٨٥) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حديث حسن .

قالوا: فما أوّلتَه يا رسول الله؟!

قال: «العلم». هذا حديثٌ صحيح، متفقٌ على صحته[1].

وقال ﷺ: «إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه».

وقال ابن عمر: وما نزل بالنَّاس أمرٌ قالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر». هذا حديث صحيحٌ، أخرجه التِّرمذيُّ، وصحَّحه[2].

وقال ﷺ: «بينما أنا نائم رأيتُني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانب قصرٍ، فقلتُ لمن هذا؟ قالت لعمر، فذكرتُ غيرتَك، فولَّيتُ مدبراً»[3].

وفي روايةٍ: «قلت لمن هذا؟ قالوا: لشابٍّ من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فذكرت غيرتك، فولَّيْتُ مدبراً». فبكى عمر، وقال: أعليك بأبي وأمي يا رسول الله أغار؟! هذا حديثٌ صحيحٌ، مُتَّفقٌ على صحته، أخرجه البخاريُّ، ومسلم[4].

وقال ﷺ: «أول من يُصافحُه الحقُّ عمر بن الخطاب، وأول من يُسَلِّم عليه، وأول مَنْ يأخذه بيده، فيدخلُه الجنَّة». هذا حديثٌ حسنٌ، أخرجه ابن ماجه في «سننه»[5].

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قال: قال عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - وافقتُ ربي في ثلاثٍ، أو قال: وافقني ربي في ثلاثٍ:

قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مُصلَّى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

(١) رواه البخاري رقم (٨٢ و٧٠٠٢) ومسلم رقم (٢٣٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٢) وأحمد في الفضائل رقم (٣١٣) وابن حبان رقم (٦٨٩٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٢٢٥)، ومسلم رقم (٢٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٨) وابن حبان رقم (٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) رواه ابن ماجه رقم (١٠٤) وأحمد في الفضائل رقم (٦٣٠) وفي إسناده داود بن عطاء، قال أحمد: رأيته وليس بشيء، وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث، والحديث ضعيف.

وقلت: يا رسولَ الله! إنَّ نساءَك يدخلُ عليهنَّ البرُّ والفاجر، فلو أمرتَهنَّ بالحجاب، فنزلت آيةُ الحجاب.

وبلغني معاتبة النبيِّ - ﷺ - بعضَ نسائه، فدخلتُ عليهنَّ، فقلت: لتنتهنَّ أو ليبدلنَّ اللهُ رسولَه خيراً منكنَّ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ . . .﴾ الآية. هذا حديث صحيح، رواه البخاريُّ، ومسلم[1].

وقال عنه رسول الله - ﷺ -: «لقد كان في الأمم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ فهو عمر بن الخطَّاب». رواه البخاريُّ، ومسلم[2]. والمُحَدَّثون: الملهمون من جهة الكشف والكرامة.

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان قطُّ سالكاً فجّاً - يعني: طريقاً - إلاَّ سلك فجّاً غير فجِّك». أخرجه البخاريُّ[3].

وقال ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الجنِّ والإنس قد فرُّوا من عمر». هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه الترمذيُّ، وصحَّحه[4].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال عمر لأبي بكرٍ: يا خيرَ النَّاس بعدَ رسول الله - ﷺ -! فقال أبو بكرٍ: أما إنَّك إن قلتَ ذلك؛ فلقد سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «ما طلعت الشَّمسُ على رجلٍ خيرٍ من عمر بن الخطَّاب». أخرجه التِّرمذيُّ في «جامعه»[5].

وعن عمَّار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أخبرني عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٨٣ و٤٧٩٠) والترمذي رقم (٢٩٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣٥٨) والحميدي رقم (٢٥٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري رقم (٦٣٨٣) ومسلم رقم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٦٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب أقول: ويشهد له الذي قبله.

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بذاك.
ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩٠) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: والحديث أشبه بالموضوع أقول: وهو مخالف للأحاديث الصحيحة.

فضائلِ عمر ، فقال: «يا عمَّار! لقد سألتني عمَّا سألتُ عنه جبريل ، فقال: يا محمَّد! لو مكثتُ معكَ مثل ما مكثَ نوحٌ في قومِه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً أحدِّثك عن فضائل عمر ما نفدت ، وإن عمر لحسنةٌ من حسنات أبي بكرٍ»[1] .

وروي عنه ـ ﷺ ـ قال: «قال لي ربي ـ عزَّ وجلَّ ـ: لو كنت متخذاً بعد أبيك إبراهيم خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً . ولو كنت متخذاً بعدك حبيباً؛ لاتخذت عمر حبيباً»[2] .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: استأذن عمرُ النبيَّ ـ ﷺ ـ في العمرة ، فأذن له ، وقال: «أشركنا يا أُخَيَّ في صالح دعائك ، ولا تنسنا»[3] .

وهذه مَنْقَبَةٌ شريفةٌ لعمر ـ رضي الله عنه ـ أنَّ الرَّسول ـ ﷺ ـ أمره أن يدعو له ، وكان رضي الله عنه شديدَ الخوف من الله .

كان يقول: لو مات جَدْيٌ بطفِّ الفرات؛ لخشيتُ أن يُحاسبَ اللهُ به عمر .

وكان في وجهه خطّان أسودان من البكاء .

وقال الأوزاعيُّ: خرج عمر ليلةً في سواد الليل ، فرآه طلحة ، فذهب خلفَه ، فدخل عمر بيتاً ، ثمَّ خرج منه ، فلمَّا أصبح ذهب طلحة إلى ذلكَ البيت ، فإذا فيه عجوز عمياءُ ، مُقعدةٌ ، فقال: ما بال هذا الرَّجل يأتيك ـ يعني: عمر ـ قالت: إنَّه يتعاهُدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عنِّي الأذى .

وقال مولاه أسلم: كان عمر يصوم الدَّهر ، وكان زمان الرَّمادة إذا أمسى أتي بخبز وزيتٍ قد ثَرد فيه إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها للنَّاس ، وغرفوا

---

(١) ذكره ابن عدي في الكامل (٧/ ٧٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وفي إسناده الوليد بن الفضل العنزي ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: مجهول ، وقال الحاكم وأبو نعيم وأبو سعيد النقاش: روى عن الكوفيين الموضوعات انظر لسان الميزان (٦/ ٢٢٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩٧) وصححه وتعقبه الذهبي ، وقال: قاسم بن الحكم ، قال البخاري: لا يصلح حديثه ، وقال أبو حاتم مجهول ، والحديث ضعيف ، وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك ، وقال موضوع .

(٢) لم نجده بهذا اللفظ .

(٣) رواه أبو داود رقم (١٨٩٨) . والترمذي رقم (٣٥٥٧) وفي سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ضعيف . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

له طيّبها ، فأُتي به ، فإذا قطعةٌ من سنامٍ ، وكبدٍ ، فقال : مِنْ أين هذا؟ فقالوا : من الجزور الذي نحرنا اليوم . فقال : بخٍ بخٍ! بئس الوالي أنا ، أكلتُ طيِّبها ، وأطعمتُ المسلمين كراديشَها! اذهبوا بهذه إلى أهل بيتٍ فقراء ، وائتوني بغيره .

وطاف ليلةً في المدينة ، فإذا هو بامرأةٍ في جوف دارها ، وحولها صبيان يبكون ، وإذا قِدْرٌ على النّار ، فدنا عمر من الباب ، وقال : يا أمة الله! من إيش بكاء هؤلاء الصبيان؟ فقالت : من الجوع! فقال : وما هذه القدر؟ فقالت : قد جعلت فيها ماءً ، أعلِّلهم بها حتى يناموا ، وأوهمهم أنَّ فيها شيئاً ، فجاء إلى دار الصَّدقة ، فأخذ عِدلاً ، وجعل فيه شيئاً من دقيق ، أو سمناً وشحماً ، وتمراً ، وثياباً ، ودراهم حتى ملأ العدل ، ثمَّ قال لغلامه : احمل عليَّ . فقال غلامه : أنا أحمله يا أمير المؤمنين! فقال : لا أمَّ لك! أنا أحمله ؛ لأني أنا المسؤول عنهم يوم القيامة . قال : فحمله على رقبته حتى أتى بيت المرأة ، فأخذ القدر ، فجعل فيها دقيقاً وشيئاً من شحمٍ ، وتمرٍ ، وجعل يحركه ، وينفخ حتى استوت القِدْرُ ، وكانت لحيته كثةً . قال غلامه أسلم : فرأيت الدُّخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم جعل يَغرفُ لهم بيده ، ويطعمهم حتى شبعوا ، ثمَّ خرج ، وربض بحذائهم كأنَّه سبعٌ وخفت منه أن أكلمه ، فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان ، وضحكوا ، ثمَّ قام وانصرف ، ثمَّ قال : يا أسلمُ! أتدري لِمَ ربضت بحذائهم؟ قلت : لا! قال : رأيتهم يبكون ، فكرهت أن أذهب حتى أراهم يضحكون ، فلما ضحكوا طابت نفسي .

وعن عروة بن الزبير قال : خرج الزبير يريد أرضاً له ، فلمَّا كان في بعض الطَّريق ؛ إذ هو بعمر قد حملَ قِربةً على رقبته ، فقال : يا أمير المؤمنين! ما يحملك على هذا! قال : رأيت القوم سامعين لي ، مطيعين ، فدخلني لذلك نحوه ـ يعني : عجباً ـ فأردتُ أن أكسرَ نفسي ، ثمَّ مالَ بالقربةِ إلى حجرةِ أرملةٍ ، فصبّها في جرارِها . وأخباره وأخبار صاحبه أبي بكرٍ ـ رضي الله عنهما ـ كثيرة ، وإنَّما ذكرنا هنا نُبذةً منها ، وقد صنَّف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ كتباً مجلَّدةً في مناقبهما ، وسيرهما ، وأخبارهما ـ رضي الله عنهما ـ .

قال أهل العلم ـ رحمهم الله ـ : أول من سُمِّي أمير المؤمنين عمرُ ، وهو أوَّل من كتب التاريخ ، وأوَّل من جمعَ القرآن في المصحف ، وأوَّل من جمعَ النَّاس على قيامِ رمضان ، وأوَّل من عسَّ في عمله ، وحمل الدِّرة ، وأدَّب بها ، وفتح الفتوح ،

ووضع الخراج ، ومصّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودوّن ، وفرض الأُعطية ، وحج بأزواج النبيِّ ـ ﷺ ـ في آخر حجَّةٍ حجَّها .

وروى المسور بن مخرمة قال : لما طُعنَ عمر بنُ الخطَّاب ؛ جعل يألمُ ، فقال له ابن عباسٍ ـ كأنه يُجزِّعهُ ـ : يا أميرَ المؤمنين! ولئن كان ذلك! لقد صحبتَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فأحسنتَ صُحبتَه ، ثمَّ فارقتَهُ وهو عنكَ راضٍ ، ثمَّ صحبتَ أبا بكرٍ ، فأحسنتَ صُحبَتَـه ، ثمَّ فارقتَهُ وهو عنك راضٍ ، ثمَّ صحبتَ المسلمين ، فأحسنتَ صُحبتَهم ، ولئن فارقتهم ؛ لتفارقنَّهم وهم عنك راضون .

فقال عمر : أمَّا ما ذكرت يابن عباس! من صحبةِ رسول الله ـ ﷺ ـ ورضاه ؛ فإنما ذلك من فضلِ الله يمنُّ به عليَّ . وأمَّا ما ذكرتَ من صُحبةِ أبي بكر ، ورضاه ؛ فإنَّما ذلك من الله منَّ به عليَّ ، وأمَّا ما ترى من جزعي فهو من أَجْلكَ وأجل أصحابك[1] ؛ فو الله! لو أنَّ لي طِلاع الأرض ذهباً ؛ لافتديتُ به من عذاب الله قبل أن أراه رواه البخاريُّ[2] .

وعن عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ قال : أنا آخركم عهداً بعمر ـ رضي الله عنه ـ دخلتُ عليه ورأسُه في حجر ابنه عبد الله ، فقال له : ضع خدِّي على الأرض . فقال له ابنه : وهل فخذي والأرض إلا سواء؟! فقال له : ضع خدِّي على الأرض لا أمَّ لك! ـ ثلاثاً ـ قال : وسمعته يقول : ويلي ، وويل أبي إن لم يغفر الله لي! ثمَّ قضى ـ رحمه الله ـ .

فصل في ذكر نُبذةٍ من فضائلِ الشَّهيدِ المظلوم ذي النورين ، المهاجر الهجرتين ، والمصلِّي إلى القبلتين ، وصهر النبيِّ ـ ﷺ ـ على الابنتين ، أبي عبد الله عثمان بن عفَّان ، جامع القرآن ، ومَنْ تستحي منه ملائكة الرَّحمن

بايعه المهاجرون والأنصار لغرَّة المحرَّم بعد دفن عمر بثلاثة أيام سنة أربع وعشرين ، وحصر في داره أربعين يوماً ، فقُتل صائماً مظلوماً يوم الجمعة لثماني عشرة مضت من ذي الحجَّة سنة خمسٍ وثلاثين ، وكان له من العمر اثنان وثمانون

(١) سقطت من الأصل واستدركناه من صحيح البخاري .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٩٢) من حديث المسور بن مَخرمة رضي الله عنه .

سنةً ، شهد له رسول الله - ﷺ - بالجنَّة ، وتُوفي وهو عنه راضٍ - رضي الله عنه وأرضاه -.

قال عنه الرَّسول - ﷺ -: «لكل نبيٍّ رفيق ، ورفيقي في الجنَّة عثمان بن عفَّان». رواه الترمذيُّ[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن النَّبيَّ - ﷺ - أتى عثمان عند باب المسجد ، فقال: «يا عثمان! إنَّ هذا جبريل يقول: إنَّ الله قد زوَّجك أم كلثوم بمثل صداق رُقيَّة على مثل صحبتها». رواه ابن ماجه في «سننه»[2].

وعن عبد الرحمن بن خبَّاب قال: شهدتُ النبيَّ - ﷺ - وهو يحثُّ على جيشِ العُسرة ، فقام عثمان ، فقال: يا رسولَ الله! عليَّ مئةُ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله! ثم حثَّ على جيش العسرة ، فقال عثمان: عليَّ مئةُ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيلِ الله! ثمَّ حث على جيش العُسرة ، فقال: عليَّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله! فقال رسول الله - ﷺ -: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا! ما على عثمان ما عمل بعد هذا! ما على عثمان ما عمل بعد هذا!» أخرجه الترمذيُّ في «جامعه»[3].

وعن أنس بن مالكٍ - رضي الله عنه - أنَّ النبيَّ - ﷺ - صَعِدَ أُحداً ومعه أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان فرَجف بهم ، فقال النبيُّ - ﷺ -: «أثْبُتْ أُحد! فإنَّما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان» هذا حديثٌ صحيحٌ ، أخرجه البخاريُّ في «صحيحه»[4].

وعن عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: جاء عثمان بن عفَّان بألف

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٩٩) وقال الترمذي: هذا حديث غريب ، وليس إسناده بالقوي. ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩٧) وصححه وتعقبه الذهبي وقال: قاسم بن الحكم: قال البخاري لا يصح حديثه. وقال أبو حاتم: مجهول. والحديث سنده ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١١٠) في المقدمة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي إسناده عثمان بن خالد ضعيف ، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٦٩٦) والترمذي رقم (٣٧٠٠) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢٨٠) ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة. وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه. أقول في إسناده فرقد أبي طلحة قال علي بن المديني: لا أعرفه ، وقال ابن حجر في التقريب: مجهول ، وله شواهد.

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٧٥) وأبو داود رقم (٤٦٥١) من حديث أنس رضي الله عنه. =

دينار في كمِّه حين جهز جيش العسرة ، فصبَّها في حجر النبيِّ - ﷺ - فجعل النبيُّ - ﷺ - يقلبها بيده، ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا». أخرجه الترمذيُّ[1].

وكان رضي الله عنه شديدَ الاجتهاد في طاعة الله ، كان يصومُ الدَّهر ، ويقومُ الليلَ إلاَّ هجعةً من أوله. وقالت امرأته حين أرادوا قتله: كان يُحيي الليل كلَّه في ركعةٍ يَجمعُ فيها القرآن.

وعن عائشة قالت: كان النبيُّ - ﷺ - جالساً كاشفاً عن فخذه ، فدخل عثمان ، فأرخى عليه ثيابَه ، وقال: «ألا أَسْتَحي من رجلٍ والله! إن الملائكة لتستحي منه». أخرجه مسلم في «صحيحه»[2].

وعن أبي سعيدٍ قال: رأيتُ النبيَّ - ﷺ - من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان ، يقول: «اللهم! رضيت عن عثمان ، فارض عنه»[3].

ويروى عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: كنَّا في زمن النبيِّ - ﷺ - لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثم نترك أصحاب النبيِّ - ﷺ - لا نفاضل بينهم». أخرجه البخاريُّ[4].

وعن ميمون بن مهران عن ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: قحط المطر على عهد أبي بكرٍ الصِّدِّيق - رضي الله عنه - فاجتمع النَّاس إلى أبي بكرٍ ، فقالوا: إنَّ السَّماء لم تُمطر ، والأرض لم تُنبت ، والنَّاس في شدَّةٍ شديدةٍ. فقال أبو بكر: انصرفوا وأبصروا ، فإنَّكم لا تُمسون حتى يفرِّج الله الكريم عنكم. قال: فما لبثنا أن جاء أجراء عثمان من الشام ، فجاءته مئة راحلةِ بُرٍّ ، فاجتمع النَّاس إلى باب عثمان ، فقرعوا عليه الباب ، فخرج إليهم في مآمن الناس ، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: الزَّمان قد حطَّ ، والسَّماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت ، والنَّاس في شدَّةٍ شديدةٍ ، وقد بلَغَنا قدوم أُجرائك بالطعام ، فبعنا حتى نُوسِّع على فقراءِ المسلمين.

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، أقول: هو حديث حسن.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنه.

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٢٨٤١) وقال رواه ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها ، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فقال: حُبّاً وكرامة! ادخلوا فاشتروا، فدخل التُّجَّار؛ فإذا الطعام موضوعٌ، فقال: يا معشر التُّجَّار! كم تربحوني على شرائي من الشَّام؟ قالوا: لعشرة اثني عشر. قال: قد زادوني. قالوا: للعشرة خمسة عشر. قال: قد زادوني. فقال التُّجار: يا أبا عمرو ما بقي بالمدينة تجار غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني اللهُ تبارك وتعالى بكلِّ درهمٍ عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: اللهمَّ لا! قال: فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقةً على فقراء المسلمين. قال ابن عباسٍ: فرأيت النبيَّ - ﷺ - تلك الليلة في المنام، وهو راكبٌ وعليه حلَّةٌ من نور، في رجليه نعلان من نور، وفي يده قصبةٌ من نور، وهو مستعجلٌ، فقلت: يا رسول الله! قداشتدَّ شوقي إليك وإلى كلامك، فأين تبادر؟ قال: «يا بن عبَّاسٍ! إنَّ عثمان قد تصدَّق بصدقةٍ، وإن الله قد قبلها منه، وزوَّجه عروساً في الجنَّة» رضي الله عنه.

انفرد رضي الله عنه بمناقب جمَّة وفضائل، منها: إنفاقه المال العظيم في سبيل الله. ومنها: أنه جهَّز جيش العسرة بألف بعيرٍ إلا سبعين بعيراً، جعل مكانها سبعين فرساً، وأتى النبيَّ - ﷺ - بألف دينارٍ، فصبّها في حجره، كما تقدَّم، واشترى بئر رومة بعشرين ألفاً فجعلها للمسلمين يشربون منها.

وقال النبيُّ - ﷺ - «مَنْ يبتاع مربد بني فلان غفر الله له»[(١)]. فاشتراه عثمان، فجعله في المسجد، فهذا كلُّه وشبهه ممَّا يبقى له ثوابه، ويجري له أجره إلى يوم القيامة.

وكان رضي الله عنه يُطعم الناسَ طعام الإمارة، ويدخل بيته، فيأكلُ الخلَّ والزَّيت، وكان ينامُ في المسجد ورداؤه تحتَ رأسه، فيجيء الرَّجل، فيجلس إليه، ثمَّ يجيء الرَّجل، فيجلس إليه، كأنه أحدهم.

وقال بعض السلف: رأيت عثمان بن عفَّان يقيل في المسجد وهو خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، فيقول الناس: هذا أمير المؤمنين.

وقتل رضي الله عنه يوم الجمعة، وكان صائماً.

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: ذكر رسولُ الله - ﷺ - فتنةً، فقال: «يُقتلُ

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٥١١) والطيالسي (٨٢) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٣٠٣) وابن خزيمة رقم (٢٤٨٧) وابن حبان رقم (٦٩٢٠) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

فيها عثمان مظلوماً» أخرجه الترمذيُّ في «جامعه»[1].

وقال رضي الله عنه وهو محصورٌ: إنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ عهدَ إليَّ عهداً أنا صائرٌ إليه. وفي روايةٍ: أنا صابر عليه، يعني: أنه يقتل، فقتل ظلماً ـ رضي الله عنه[2].

وعن جابر بنِ عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: أُتيَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ برجلٍ ليصلي عليه، فلم يصلِّ عليه، فقالوا: يا رسول الله! ما رأيناك تركتَ الصلاة على أحدٍ مثلَ هذا! قال: «إنَّه كان يُبْغِضُ عثمان بن عفان، فأبغضه الله»[3]. هذا حديثٌ حسنٌ، أخرجه الترمذيُّ في «جامعه».

وقال محمد بن سيرين: كنتُ أطوفُ بالكعبة، فإذا رجلٌ يقول: اللهم اغفر لي! وما أظنُّ أن تفعل. قال: فقلت له: ما سمعتُ أحداً يقول كما تقول! فقال الرَّجل: ذنبي عظيم! فقلت له: وما هو؟ قال: إني قد كنتُ أعطيتُ الله عهداً أنِّي ألطِمُ وجهَ عثمان إنْ قدرتُ عليه؛ لطمتُه، فلما قُتِلَ ووضعَ على سريره في بيته، والنَّاس يُصلُّون عليه، دخلت كأني أصلِّي عليه فوجدتُ خلوةً، فرفعت الثوب عن وجهه، فلطمته، وتنحيت عنه، فرأتني امرأة من أهله، فقالت: أيبس اللهُ يدك، ولا غفر لك! قال: فيبست يدي كما ترى، وأخرج يده، فإذا هي سوداء يابسة، ثمَّ قال: وما أظنُّ الله يغفر لي![4].

فصل

في ذكر نبذةٍ من فضائل أمير المؤمنين أبي الحسين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ

أسلم وهو ابن سبع سنين، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ولم

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٥٩٥٣) والترمذي رقم (٣٧٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي إسناده سنان بن هارون، ضعفه ابن معين، وأبو داود، وقال ابن عدي: أرجو أنه لابأس به ـ أقول: وله شاهد من حديث كعب بن مرة رواه الحاكم (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي فهو به حسن.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩٩) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٧١٠) وفي سنده محمد بن زياد اليشكري الطحان كذاب وقال الترمذي: محمد بن زياد ضعيف جداً.

(٤) حكاه ابن أبي الدنيا فيمن استجاب الله دعاءه.

يتخلف إلا في تبوك ، خلَّفه رسول الله ـ ﷺ ـ وكان رضي الله عنه غزيرَ العلم .

وقال عنه رسول الله ـ ﷺ ـ : «إنَّه يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله»[١] .

وقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي» هذا حديث صحيح ثابتٌ ، أخرجه البخاريُّ ومسلم[٢] .

وفي «صحيح مسلم»[٣] عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : واللهِ! إنَّه لعهدُ النبيِّ الأميِّ إليَّ : «أنه لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق» .

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : آخى النبيُّ ـ ﷺ ـ بين أصحابه ، فجاء عليٌّ تدمع عيناه ، وقال : يا رسول الله! آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحدٍ! فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : «أنت أخي في الدُّنيا والآخرة» . أخرجه الترمذيُّ في «جامعه»[٤] .

وقال ﷺ : «من كنت مولاه؛ فعليٌّ مولاه» . أخرجه الترمذيُّ ، وقال : حديث صحيح[٥] .

وروى سعد بن أبي وقَّاص ـ رضي الله عنه ـ قال : ثلاثاً قالهنَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ لئن تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أحبَّ إليَّ من حمر النَّعم! سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول له ـ يعني : عليّاً رضي الله عنه ـ وقد خلَّفه في بعض غزواته ، فقال له : يا رسولَ الله! تُخلفني مع النِّساء والصبيان! فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : «أما ترضى أن تكونَ منِّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي» .

قال : وسمعته يقول يومَ خيبر : «لأُعطينَّ الرَّاية رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه» فتطاولنا لها ، فقال : «ادعوا لي عليّاً» فأُتي به أَرمد ، فبصقَ في عينيه ، ودفع الرَّاية إليه ، ففتح الله عليه .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٧٠١) ومسلم رقم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤١٦) ومسلم رقم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم رقم (٧٨) وابن ماجه رقم (١١٤) والحميدي رقم (٥٨) والترمذي رقم (٣٧٣٦) من حديث علي رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٢٢) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ـ أقول : إسناده ضعيف .

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (١٩٢٧٩ و١٩٣٠٢) والترمذي رقم (٣٧١٣) وابن حبان رقم (٦٩٣١) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله - ﷺ - عليّاً، وفاطمة، والحسن، والحسينَ، فقال: «اللهمَّ هؤلاء أهلي!» هذا حديث صحيحٌ، أخرجه البخاريُّ[١].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: خرج رسولُ الله - ﷺ - غداةً وعليه مِرْطٌ مُرَجَّل من شعرٍ أسود، فجاء الحسن والحسين، فأدخلهما معه، ثمَّ جاءت فاطمة، فأدخلها، ثم جاء عليٌّ، فأدخله، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. هذا حديث صحيح أخرجه مسلمٌ في «صحيحه»[٢].

وروي عن الشَّعبيِّ قال: وَجَد عليُّ بن أبي طالب درعَهُ عند رجلٍ نصرانيٍّ، فأقبل به إلى شُريح يُخاصمهُ. قال: فجاء عليٌّ حتى جلس إلى جنبِ شريح، وقال: يا شريح! لو كان خصمي مسلماً ما جلستُ إلا معه، ولكنّه نصرانيٌّ. وقد قال رسول الله - ﷺ -: «إذا كنتم أنتم وإياهم في طريقٍ فاضطروهم إلى أضيقه، وصغروا بهم، كما صغَّر الله بهم من غير أن تطغوا»[٣].

ثم قال عليٌّ - رضي الله عنه - لشريح: هذا الدِّرع درعي، ولم أبعْ، ولم أهب!

فقال شريح للنصراني: ما تقولُ فيما يقولُ أمير المؤمنين؟ فقال النَّصرانيُّ: ما الدِّرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب! فالتفتَ شريح إلى عليٍّ، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين! هل من بينة؟ فضحكَ عليٌّ، وقال: أصبتَ يا شريح! مالي بينة، فقضى به شريح للنَّصراني، فأخذه النَّصرانيُّ، ومشى خطاً، ثمَّ رجع، وقال: أمَّا أنا أشهدُ أنَّ هذه أحكام الأنبياء، أميرُ المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٠٤)، والترمذي رقم (٣٧٢٦)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولم يروه البخاري كما أشار المؤلف رحمه الله.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) لم نجده بهذا اللفظ، وقد رواه مسلم رقم (٢١٦٧) وأبو داود رقم (٥٢٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إذا لقيتم المشركين في طريق فلا تبدؤهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها».

عبده ورسوله ، والدِّرع والله درعك يا أمير المؤمنين! اتبعت الجيش وأنت غادٍ إلى صفِّين فخرجتْ من بعيرك الأزرق ـ يعنى سقط ـ فأخذته. فقال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ أما إذا أسلمت فهو لك ، ثم حمله على فرسٍ ، ثم قاتل مع عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ الخوارج يوم النَّهروان.

وكان عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ كثيرَ البكاءِ والخوف من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ يوماً لضرارِ بن ضمرة: صف لي عليّاً! قال: أو تَعفيني؟ قال: بل تصفه! قال: أو تَعْفِيني؟ قال: لا أعفيك! قال: أما إنِ لابدَّ؛ فإنَّه كان بعيدَ المدى ، شديدَ القوى ، يقولُ فصلاً ، ويحكمُ عدلاً ، يتفجَّرُ العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله! غزير الدَّمعة ، طويل الفكرة ، يقلِّب كفيَّه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جَشُبَ ، كان والله! كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويدنينا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا وعدناه ، ونحن والله! مع تقريبه لنا وقربنا منه ، لا نكلمه هيبةً ، ولا نبتدئه لعظمته في صدورنا ، فإن تبسَّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظِّم أهل الدِّين ، ويُحبُّ المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سجوفَه ، وغارت نجومَه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً لحيته ، يتململ تململ السَّليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا! يا دنيا! إليَّ تعرضت؟ أم لي تشوّفت؟ هيهات ، هيهات! غري غيري ، فقد بتتُّك ثلاثاً ، لا رجعة فيك ، فعمرُكِ قصير ، وعيشُكِ حقير.

وخطرُكِ كثير.

ثمَّ قال: آه من قلة الزَّاد ، وبعد السَّفر ، ووحشة الطريق! قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته ، فما ملكها ، وهو ينشفها بكمِّه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثمَّ قال معاوية: رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك[١].

قال العلماء بالسِّيَر: بويع لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة بعد قتل عثمان ،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٢٦) ورقم (٢٦١) وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورُمي بالرفض.

وكان قتله ـ كما تقدَّم ـ يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجَّة سنة خمسٍ وثلاثين ، وقتل رضي الله عنه سنة أربعين ، وغسَّله ابناه الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ وصلَّى عليه الحسن ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

فصل

هؤلاء الأئمة الأربعة هم الخلفاء الراشدون ، والأئمة المهديُّون؛ الذين قال فيهم النبيُّ ـ ﷺ ـ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، عضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور»(١) .

وقال عنهم أيضاً: «أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ ، هؤلاء الأربعة خلائف نبوَّتي ، وحجتي على أمَّتي ، لا يحبُّهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق»(٢) .

وقال جعفر الصَّادق : حدثني والدي عن جَدِّي عن عليٍّ ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أوَّل ما تنشقُّ الأرض عنِّي يوم القيامة ، ويعطيني ربي من الخير والكرامة ما لا يُعطي نبيّاً قبلي ، ثم ينادي منادٍ: أين أبو بكر الصدِّيق؟ فأول من تنشقُّ عنه الأرض من بعدي أبو بكر ، فيوقف بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيحاسبه حساباً يسيراً ، ويكسوه حلَّتين خضراويتين ، ثم ينادي المنادي: أين عمر بن الخطاب ، هكذا الخلفاء الأربعة(٣) .

ويروى عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه قال : «أول من يُدعى يوم القيامة من تحت ساق العرش أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ فيقال لأبي بكرٍ : قِف على باب الجنَّة ، فأدخل من شئت ، وردَّ من شئت بعلم الله . ويُقال لعمر : قف على الميزان ، فثقِّل ميزان من شئت ، وخفف ميزان من شئت بعلم الله ، ويُقال لعثمان: قِف على الصراط ، فجوِّز مَنْ شئت ، ورد مَنْ شئت بعلمِ الله ، ويُؤتى

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧١٤٤) ، وابن ماجه رقم (٤٣) وأبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) والبغوي رقم (١٠٢) والحاكم (١/ ٩٥ و٩٦) وصححه ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان رقم (٥) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ذكره بنحوه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٣٨٨) من حديث حنيش بن خالد . وفي إسناده حزام بن هشام . ومكرز بن محرز وهما مجهولان .

(٣) ذكره الذهبي في الميزان (٢/ ٣٥٦) رقم (٤٠٦٠) . وفي إسناده عاصم ين عمر العمري . ضعفه أحمد وقال البخاري : منكر الحديث .

بقضيبٍ من ياقوتٍ أحمر ، فيُعطى لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ فيُقال له : اجمع الناس إلى الحوض ، فاسق مَنْ شئت ، وردَّ مَنْ شئت بعلم الله . فإذا جاز على الصراط من يَبغض أبا بكرٍ ، وعمر ؛ ردَّهم عثمان ، فهوي بهم إلى قعرِ النيران . وإذا أتى الميزان من يَبغض عثمان ، وعليّاً ؛ خفَّف عمر ميزانهم ، فتعلق بهم الزبانية ، فيسحبونهم إلى نار جهنم . وإذا أتى الحوض مَنْ يبغض أبا بكرٍ وعمر ؛ ناولهم عليٌّ كأساً من الحوض ، فإذا وصل إليهم ؛ صار الماء دماً وقيحاً ، فعند ذلك تسودُّ وجوههم ، فتعلق بهم الزبانية ، فتسوقهم إلى النَّار ، وإذا أتى الحوض من يحبُّهم جميعاً ؛ سقاهم عليٌّ كأساً ، فإذا شربوه ؛ تصير وجوههم مثل القمر ليلة البدر ، فإذا أتوا الميزان ؛ ثقل عمر ميزانهم ، فإذا أتوا الصراط ؛ عبرَ بهم عثمان كالبرقِ الخاطف ، فإذا أتوا أبواب الجنَّـة ؛ أدخلهم أبو بكرٍ برحمة الله عليهم . اللهم اجعلنا ممَّن يحبهم ! وأمتنا على محبتهم ، واحشرنا في زمرتهم .

فقد تقدَّم ما قاله أيوب السختياني أحد الأئمة الأعلام ـ رحمه الله ـ قال : منْ أحبَّ أبا بكرٍ ؛ فقد أقام الدِّين ، ومَنْ أحبَّ عمر ، فقد أوضح السبيل ، ومَنْ أحبَّ عثمان ؛ فقد استنار بنور الله ، ومَنْ أحبَّ عليّاً ؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومَنْ قال : الخير في أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقد بريء من النِّفاق .

وتقدَّم قوله ـ ﷺ ـ : «إنَّ الله اختارني ، واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء ، وأنصاراً ، وأصهاراً ، فَمَنْ سبَّهم ؛ فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والنَّاس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ، ولا عدل»(١) .

ويُروى عنه ـ ﷺ ـ : أنَّه قال : «إنَّ الله اختار أمتي على جميع الأمم ، واختار من أمتي أصحابي على العالمين ، واختار لي من أصحابي أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، فجعلهم خير أصحابي ، وفي أصحابي كلِّهم خير»(٢) .

فقد ظهر بما ذكرنا من نصوص الآيات والأخبار والآثار عن السَّادة الأخيار : أن أفضلَ الخلق بعد رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه ، وأفضل أصحابه الخلفاء الأربعة : أبو

---

(١) تقدم تخريجه ص ().

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال رقم (٣٣٠٩٤) من حديث جابر رضي الله عنه . وقال : قال الخطيب : غريب .

=

بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثم علي - رضي الله عنهم أجمعين -.

فإن قال قائلٌ: فلم أُخِّر عليٌّ - رضي الله عنه - مع قربه وقرابته من رسول الله - ﷺ -؟ قيل: إنَّ الله أحبَّ أن يَختم الخلافة بعليٍّ ، كما أحبَّ أن يختم النبوَّة بالنبيِّ محمد - ﷺ - فإن قيل: فيجب أن يكون عليٌّ أفضلهم؛ لأنَّه ختمهم ، كما أنَّ محمداً خاتم الرسل ، وهو أفضلهم. قيل: ذلك كذلك لو لم يجيء النَّصُّ بتفضيل أبي بكرٍ ، ثمَّ عمر ، كما قدَّمنا. ولقوله - ﷺ -: «مثلُ أبي بكرٍ لا تلد أمٌّ»[1]. ولقوله - ﷺ -: «ما سبقكم أبو بكرٍ بكثرة صوم ، ولا صدقةٍ ، ولكن بشيءٍ وقر في صدره»[2]. فقد نصَّ له الرسول - ﷺ - بسبق الإيمان في صدره مع سبقه في الظَّاهر ، والباطن ، ولأجل وقر الإيمان ، وثبوته في صدره قاتل أهل الردَّة وحدَه بعد موت رسول الله - ﷺ -.

قيل: فالعباس - رضي الله عنه - أقرب من رسول الله - ﷺ - من عليٍّ ، فصار في الأمر تناقضٌ ، ولو كان ذلك كذلك؛ لأدَّى ذلك إلى أنَّ الأمَّة والصحابة قد اجتمعوا على ضلالةٍ. وقد قال النبيُّ - ﷺ -: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[3].

وقال سفيان الثوريُّ: من قال: عليٌّ أحقُّ بالولاية من أبي بكرٍ وعمرَ؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، لا أدري يرتفع له عملٌ إلى السَّماء أم لا.

---

(١) ذكره في تنزيه الشريعة (١/ ٣٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده إسحاق ابن بشير بن مقاتل. كذبه علي بن المديني وقال الدارقطني: كذاب متروك. وقال الفلاس وغيره: متروك.

(٢) ذكره في الأسرار المرفوعة لعلي القاري ص (٤٧٦) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢١٦٧). والحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبداً ، ويد الله مع الجماعة فمن شذ شذ في النار». وفي إسناده ضعف. ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ١١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة». وصححه ، وقال في التلخيص: إبراهيم بن ميمون العدني عدَّله عبد الرزاق. ووثقه ابن معين.
وانظر في كشف الخفا لطرق هذا الحديث (٢/ ٤٨٨). وفي الأحاديث الصحيحة (١٣٣١).
فهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

فصل

في ذكر بدء الرَّفض ، ومَنْ نصب هذه العداوة للصحابة رضي الله عنهم أجمعين

اعلم أنَّ أصل ذلك من الزنادقة ـ لعنهم الله ـ الذين ظهروا في زمنِ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وكان رأسهم الزنديق ابن سبأ اليهودي؛ الذي حرَّقه عليٌّ بالنَّار ، وحرَّق أصحابه. وقصَّتُهم مذكورةٌ في كتب العلم ، وذلك أنَّهم دخلوا في إفسادِ الأمَّة في صورةِ حُبِّ أهل البيت ، والدَّعوة لهم ، وطلب حقِّهم وثأرهم ، وابتدعوا لهم أقوالاً ، واخترعوا لهم أخباراً مكذوبة على رسول الله ـ ﷺ ـ وتغالوا في حبِّ أهل البيت ، وادَّعوا في عليِّ بن أبي طالب كما ادعت النَّصارى في عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ.

وصِنفٌ منهم ادَّعوا أنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ غلط بالوحي إلى محمَّدٍ ـ ﷺ ـ وإنما كانت الرِّسالة إلى عليٍّ ، وعادوا جبريل على ذلك ، ولهم عقائد ومقالات ، وغير ذلك من الافتراء على الله وعلى رسوله ، والاستهزاء بآيات الله ، وأخبار رسوله ، لا يحسن نقلها.

وحسبك من عقائدهم: أنَّ شرَّ النَّاس عندَهم أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ وطائفة منهم كَفَّرْتهم ، وطائفة أخرى كفَّرت بعضهم دون بعضٍ ، وهذا خلاف ما أخبر الله ورسوله ، وخلاف إجماع المسلمين ، وخلاف أهل الملل ، وأتباع الرُّسل ، فإنَّه لو قيل لليهود: مَنْ خيرُ أهلِ ملتكم؟ لقالوا: أصحابُ موسى الذين رأوه ، ونصروه. ولو قيل للنصارى: مَنْ خيرُ أهل ملتكم؟ لقالوا كذلك. ولو قيل لهذه الطائفة الملعونة: من شرُّ أهلِ ملَّتكم؟ لقالوا: أصحاب محمَّدٍ ـ ﷺ ـ أو أخصُّ أصحابه ، أو أخصُّ أزواجه. فهؤلاء زنادقة هذه الأمَّة ، كما كان في كلِّ أمةٍ زنادقة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقال منصور بن المعتمر[1]: كان الناس على شريعة آدم ـ عليه السلام ـ حتَّى ظهرت الزندقة ، فذهبت شريعة آدم ، ثم بعثَ اللهُ نوحاً ـ عليه السلام ـ فكان الناسُ على شريعته ، فما أذهبها إلا الزندقة ، ثم بعثَ اللهُ إبراهيم ـ عليه السلام ـ فكان الناسُ على شريعتِهِ حتى ظهرت الزندقة ، فذهبت شريعته . ثمَّ بُعث موسى ـ عليه السلام ـ ثم بعده عيسى ، ثم محمداً ـ ﷺ ـ فلا يخاف أيضاً على هذه الشريعة إلا من الزندقة .

وقد تقرَّر عند أهل النَّقل : **أنَّ أول من تكلَّم في الرفض** ، ونصب العداوة بين أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأظهر الدَّعوة لأهل البيت مع إسرار الزندقة ، والكفر بالدِّين ـ الزنديق ابن سبأ اليهودي ؛ الذي قدَّمنا ذكره ، حرَّقه عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وحرَّق أصحابه لما خرج عليهم عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ فخروا له سجداً ، وقالوا : أنت الإله ، وأمر عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ بالحفائر ، فحفرت ، وألقي فيها الحطب ، وأضرم فيها النَّار ، ثم أمر به وبأصحابه ، فأُلقوا فيها ، فحرَّقهم ، ثم بقي من أتباعه أناسٌ مستخفون على مذهبهم ذلك ، ثمَّ أتباعهم إلى يومنا هذا . فهذا أصل الرفض .

ثمَّ إنَّ هؤلاء من أخفِّ الناس عقولاً ، وأقلِّهم ديناً ويقيناً ، أهواؤهم مختلفة ، ومذاهبهم متباينة ، ولهم أشياء سخيفة ، مثلُ عملهم يوم عاشوراء ، يَعمدون إلى نعجةٍ ينتفونَ شعرَها بعد تعطيشهم لها أياماً ، يُمثِّلون أنها عائشة ـ رضي الله عنها ـ المبرَّأة من كل عيب ونقص ، يجعلون تعذيب هذه النَّعجة تعذيباً لها ، وهذا سخافة عقلٍ ظاهر لكلِّ أحد ، وكذلك ما يصنعون في هذا اليوم ـ أعني : يوم عاشوراء ـ من قراءة المصرع ، وفيه الإفك والافتراء والكذب ما الله به عليم ، وفيه من السَّخائف والكذب : أن أهل البيت سُبوا وحُملوا عراةً ، كحمل السَّبيِّ من الكفار ، وأن الجمل نبت له سنامان من حينئذٍ ، ولم يكن له ذلك فيم قبل . وهذا كذبةٌ ظاهرة ؛ إذ البخاتي[2] فيها ما هو كذلك من قبل ذلك ، وأمثال ذلك من الأكاذيب ؛ التي

---

(١) منصور بن المعتمر هو الحافظ الثبت القدوة . أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام كان من أوعية العلم ، صاحب إتقان ، وحبسه ابن هبيرة أشهراً على القضاء يريده عليه فأبى ، توفي رحمه الله سنة (١٣٣ هـ) .

(٢) أي : الإبل ـ الجمل .

لا تروج إلا على ضالٍّ جاهلٍ مثلهم ، بل غلبت الأهواء على قلوبهم ، فزاغت عن الصراط المستقيم ، وتلاعبت بهم الشياطين باتباع سبيل المغضوب عليهم ، والضالِّين .

ومن اعتقاداتهم ، واتباعهم سبيل المغضوب عليهم والضَّالِّين دعوى الحلول ، كدعوى النَّصارى ، وعداوة جبريل ، كما عاداه اليهود .

ومن ذلك : أن الخلافة لا تكون إلا لعليٍّ وذريته ، كدعوى اليهود : أن النبوَّة في آل داود .

ومن ذلك قولهم : لا جهاد إلا مع إمامٍ معصوم ، ولا سبيل إلى ذلك حتى يخرج المهديُّ في آخر الزَّمان ، وينزل سيفٌ من السَّماء ، وينادي منادٍ من السَّحاب ، كقولِ اليهود : لا جهاد حتى يخرج المسيح ، وينزل سيف من السَّماء .

وحرَّفوا مواضع في القرآن ، كتحريفِ اليهود للتوراة ، والنصارى للإنجيل ، ولا يأكلون لحم الجزور ، ولا الجدي ، وهو نوع من السَّمك ، ولا لحم المرماة ، يحرمون على أنفسهم أشياء ممَّا أحلَّ الله ، كفعل تحريمهم لحم الجمل ، وأشياء ممَّا أحلَّ الله .

ولا يخلصون السَّلام على المسلمين ، كفعل اليهود إذا سلَّموا على المسلمين ، يقولون : السَّام[1] عليكم ، وينحرفون عن القبلة ، كما تنحرف اليهود ، وليس لنسائهم صداقٌ ، كنساء النَّصارى ، وإفطارهم عند اشتباك النُّجوم ، كإفطار النَّصارى ، وغير ذلك من مشابهات دين اليهود والنصارى ، ولولا خشية الإطالة ؛ لذكرنا أكثر من ذلك من موافقتهم المغضوب عليهم والضالِّين .

وكذلك ما خالفوا به جماعة المسلمين من عدم صلاتهم مع المسلمين في مساجدهم ، ومسحهم على أرجلهم في الوضوء مسحاً معتقدين ذلك ، وهم مخالفون في ذلك سنَّة سيِّد المرسلين .

ومن ذلك طعنهم في زوجةِ رسول الله ـ ﷺ ـ وابنة حِبه ـ رضوان الله عليها وعلى أبيها ـ فعلى المسلم التابع لسنَّة المؤمنين المجانبة لهؤلاء ، ولأهوائهم المهلكة ،

---

(١) السام ـ يعني الموت .

وطلب السَّلامة لدينه ، وحسن العقيدة في أصحاب نبيِّه ـ ﷺ ـ ونشر فضائلهم ، ومحاسنهم ، والاستغفار لهم .

فصل

ثمَّ إنَّ العلماء ـ رحمهم الله ـ نصَّت على تكفير الحلولية ، والملكية والغرابية ، والسبئية ، وأشباههم في اعتقادهم . وأما ما يذكر عن العلماء في مبغضي الصحابة ، ومنتقصيهم ، الطَّاعن فيهم ، خصوصاً عائشة الصدِّيقة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ فقد قطع عالم المدينة الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بتكفير سابِّها ، والمفتري عليها ، واستدلَّ على كفره بما أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في براءتها من الآيات ، منها : قوله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ١٧] .

وقال عبد الله بن مصعب[١] لمَّا سأله أحدُ الخلفاء ، فقال : يا أبا بكر ! ما تقولُ في الذين يشتمونَ الصحابة؟ فقال : زنادقةٌ . فقال الخليفة : ما علمتُ أحداً قال هذا ! فكيف ذاك؟ فقلت : إنَّما أرادوا رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يجدوا أحداً من الأمَّة يتابُعهم على ذلك ، فشتموا أصحابه . قال أبو عبد الله : قلت : يا أمير المؤمنين ! وما أقبح بالرَّجل أن يصحب صحابة السُّوء ! فكأنَّهم قالوا : إنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ صحب صحابة السُّوء ، وهذا طعنٌ في الرَّسول ـ ﷺ ـ فقال الخليفة : ما أرى الأمر إلا كما قلت يا أبا عبد الله[٢] .

وقال إسماعيل بن القاسم قال لي عبدُ الله بن سليمان[٣] : يا إسماعيل ! ما تقولُ فيمن سبَّ أبا بكرٍ وعمر؟ قلتُ : يُستتاب ، فإن تابَ ؛ وإلا قُتل . فقال : يُقتل؟ ! فقال : نعم بآيةٍ من كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قال : وما هي؟ قلت قوله ـ تعالى ـ :

---

(١) عبد الله بن مصعب بن ثابت هو ابن الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام الأمير الكبير أبو بكر الأسدي الزبيري كان فصيحاً ، وافر الجلالة ، محمودَ الولاية ، كان المهدي يحبه ويحترمه ، جمع له الرشيد مع اليمن إمرة المدينة توفي رحمه الله سنة (١٨٤) هـ .

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٤ و١٧٥) .

(٣) عبد الله بن سليمان بن داود بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الحافظ الإمام محدث الأندلس روى شيئاً كثيراً ، وكان منشأ خطيباً بليغاً تصدَّر للقراءات والعربية تُوفي سنة (٦١٢) هـ رحمه الله .

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا . . ﴾ [المائدة: ٣٣] ولا فسادَ في الأرض أعظم من سبِّ أبي بكرٍ ، وعمر - رضي الله عنهما - فقال لي: أحسنتَ! أحسنتَ! .

وما يذكر عمَّن أفتى بقتلهم من العلماء ، والفقهاء ، والحفاظ ، والمشايخ أكثر من أن يُحصر . وتحقيق هذا الباب أن يُبتدأ بأقوالِ الصحابة ، وأحكامِهم فيهم ، ثمَّ التابعين لهم بإحسانٍ ، ثمَّ أقوال الأئمة الأعلام .

وقد تقدَّم قولُ النبيِّ - ﷺ -: «من سبَّ أصحابي ؛ فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والنَّاس أجمعين»[١] .

وقوله: «اللهَ ، اللهَ في أصحابي! لا تتَّخذوهم غرضاً بعدي ، فمَنْ أحبَّهم ؛ فبحبي أحبهم ، ومَنْ أبغضهم ؛ فببغضي أبغضهم ، ومَنْ آذاهم ؛ فقد آذاني ، ومَنْ آذاني ، فقد آذى الله ، ومَنْ آذى الله ؛ يوشك أن يأخذه»[٢] .

وما يروى عن النبيِّ - ﷺ - من ذلك كثير .

وروي: أنَّ عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - جلد رجلاً فضَّله على أبي بكرٍ ، وكذلك عليٌّ - رضي الله عنه - جلد رجلاً فضَّله على أبي بكر ، وعمر . وقد تقدَّم ذلك .

ويُروى: أن عمر - رضي الله عنه - جلدَ رجلاً خرج على أمِّ سلمة ثلاثين سوطاً .

وبلغه: أن ابنه عبيد الله شتم المقداد فهمَّ عمر بقطع لسانه ، فكلَّمه الصحابة فيه ، فقال: ذروني أقطع لسان ابني حتى لا يجترىء أحدٌ من بعده بسبِّ أحدٍ من أصحاب رسول الله - ﷺ -[٣] .

وسَألَ عبدُ الرحمن بن أبزى أباه فيمن يسبُّ أبا بكرٍ: ما كنتَ تصنعُ به؟ قال: كنت أضرُب عنقه .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) ذكره في الصارم المسلول ص (٥٩٠) وقال رواه حنبل وابن بطة واللالكائي وغيرهم ، من حديث قيس بن الربيع عن وائل عن البهي . قال: وذكره ، وقيس بن الربيع الأسدي قال في التقريب: صدوق تغير لما كبر ، وأدخل عليه ما ليس من حديثه .

وبلغ عليَّ بن أبي طالب: أن ابن السود السَّباء ـ وهو أوَّل من سنَّ الرفض، ونصب العداوة بعد ابن سبأ اليهودي ـ بلغه: أنه ينتقص أبا بكر، وعمر، فدعا به وبالسَّيف، وهمَّ بقتله، فكُلِّم فيه، فنفاه، وقال: لا تساكنِّي ببلدٍ أنا فيه.

ولمَّا ظهر سبُّ عثمان ـ رضي الله عنه ـ بالكوفة؛ انتقل منها جرير بن عبد الله، وعبد الله بن حاتم، وقالا: لا نقيمُ ببلدٍ يُشتم فيه عثمان.

وبلغ عمرُ بن عبد العزيز: أنَّ رجلاً ينتقص عثمان ـ رضي الله عنه ـ فضربه ثلاثين سوطاً، وضرب أيضاً رجلاً سبَّ معاوية، وشدَّد في ضربهم الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقال: مَنْ سَبَّ أحداً من الصحابة يضرب، ثم قال: وما أراه على الإسلام!.

وقال مالك بن أنس: مَنْ سبَّ أحداً من الصَّحابة؛ فلا سهم له مع المسلمين في الفيء.

وسئل إبراهيم بن إسحاق عمَّن سبَّ عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأفتى بقتله، وبه قال غير واحدٍ من العلماء.

وحكى عبد الله الهمدانيُّ القاضي[1] قال: كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الدَّاعي بطبرستان، وكان عظيمَ القَدْر، فحضر رجل عنده، فذكر عائشة ـ رضي الله عنها ـ بذكرٍ قبيح من الفاحشة، فقال الحسن لغلامه: يا غلام! اضرب عنق هذا! فنهض إليه العلويون، وقالوا: هذا من شيعتنا، لا تقتله! فقال: معاذ الله أن يكون هذا من شيعتنا! هذا رجلٌ طعن على رسول الله ـ ﷺ ـ إذ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة، فيكون زوجها جدِّي وجدُّكم خبيثاً، وليس كذلك، بل هو الطيِّب، والطَّاهر؛ يا غلام! اضرب عنق هذا الكافر! فضربت عنقه، وأنا أنظر.

قال القاضي: وقدم على أخيه محمد بن زيد رجلٌ من أهل العراق، فناح على قتل الحسين، وذكر الصحابة، وعائشة بسوء، فقام إليه بعمود، وضرب دماغه

---

(١) عبد الله الهمداني بن إبراهيم بن محمد الهمداني العلامة المفتي الخطيب أبو محمد قدم بغداد وبرعَ في المذهب الشافعي. كان بصيراً بالمذهب والخلاف توفي سنة (٦٢٢) هـ.

حتَّى مات مكانه ، فقيل له : هذا من شيعتنا! فقال : هذا كافر ، جعل جدِّي ، وجدَّكم قرناء .

وذكر القاضي عياض في كتاب : «شرف المصطفى ﷺ» عن الإمام أبي بكر بن الطَّيِّب : أنَّه قال : إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون؛ سبح نَفْسَه لنفسِه ، ولمَّا ذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [النور : ١٦] فسبَّح نَفْسَه لنفسه في براءتها من السُّوء كما سبَّح نفسه في التنزيه من السُّوء .

قال القاضي : وهذا يشهد لقولِ مالك في قتل من سبَّها[(١)] .

ومذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ : أن قذفها والطَّعن فيها أيضاً كفر .

فصل

وهنا حكاية عن بعضِ هؤلاءِ تُبيِّن لك قُبحَ ما همُ عليه مع ما تقدَّم من الطَّعنِ على زوجةِ الرَّسول ـ ﷺ ـ وهي : ما حكى الشَّيْخُ الإمام الحافظ ضياء الدِّين المقدسيُّ ـ رحمه الله ـ قال : أخبرنا خالي الشيخ أبو عمرُ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسيُّ ـ رحمه الله ـ إجازةً ، قال : إنَّ الشيخَ المقرىء أبا بكر بن علي بن عبدِ الله الحرَّانيَّ نزيلَ بغداد حدَّثه سنة سبع وتسعين وخمسمئة بمحلة الصَّالحين بسفحِ جبل قاسيون ، قال : خرجتُ لزيارةِ قبرِ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في آخر خلافةِ المستضيء أنا وجماعةٌ ، فنزلنا علي نقيبٍ من نُقباء الأشراف العلويين ، فأكرَمنا ، وأحسنَ إلينا ، وكان هو متولِّي الموضع ، وإذا له خادم يهودي يتولى أمرَه ، وخدمتَه ، وكان الذي عرَّف بيننا وبينه رجلٌ هاشميٌّ كان صديقاً لنا ، فلمَّا كنَّا في بعض الأيام جلوساً عند النَّقيب العلوي؛ إذ قال له الهاشمي ـ ونحن نسمع ـ أيُّها السيِّدُ النقيب! إنَّ أمورَك كلَّها حسنةٌ ، وقد جمعتَ الشَّرف ، والمروءة ، والكرم إلا أننا أنكرنا استخدامَك لهذا اليهوديِّ ، واستدناءَك إيَّاه مع مخالفتِه دينك ، وانت وهو كما قال بعضُهم :

إنَّ الذي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ ... يَزعمُ هذا أنَّه كاذبُ

---

(١) ذكره القاضي عياض في كتاب الشفا (٢/ ٨٧٩) من كلام أبا بكر ابن الطيب موقوفاً عليه رحمه الله .

أو كما قال ، فكيف هذا؟

فقال النَّقيب : هو كما تقولون ، إلا أني اشتريتُ مماليك كثيرة وجواري ، فما رأيتُ أحداً منهم وافقني ، ولا وجدتُ فيهم أمانةً ونُصحاً مثل هذا اليهودي ، يقوم بأموري كلِّها مع الأمانةِ . فقال بعضُ الجماعة : فإذا كان على هذه الصِّفة ؛ فأعْرِضْ عليه ، فلعلَّه يُسلم . قال : فأرسلَ إليه ، فلمَّا جاء قال له بعضُ الجماعة : قد دعوناك لكذا ، وكذا . فقال اليهوديُّ : واللهِ لقد عرفتُ حين دعوتموني ما تُريدونَ منِّي . فقلنا له : إنَّ هذا النقيب قد عرفتَ فضلَه ، وبيتَه ، ورئاستَه ، وهو يُحبُّك! فقال اليهوديُّ : أنا أيضاً أُحبُّه! فقلنا له : فلمَ لا تتبعهُ على دينه؟ وتدخلُ في الإسلام . فقال اليهوديُّ : قد علِمتُم أني أعتقد أن عُزيراً نبيٌّ كريم ـ أو قال : موسى صلوات الله عليه ـ ولو علمتُ : أن في اليهود من يتَّهم زوجة نبيي ـ ﷺ ـ بسوءٍ ، ويسبُّ أباها ويسب أصحاب نبيي ـ ﷺ ـ ما اتبعتُ دينَهم ، فإذا أسلمتُ أنا لِمَنْ أتَّبع؟ فقال الهاشميُّ : تتبع النَّقيب الذي أنتَ في خدمته . فقال اليهودي : ما أرضى هذا لنفسي! قال : وَلِمَ؟ قال : لأن النقيب يقول في زوجة نبيهِ عائشة ما يقول ، ويسبُّ أباها ، وأصحاب نبيِّه ، فلا أرضى هذا لنفسي أن أتبعَ دين محمد ، وأقذف زوجتَه ، وأسبُّ أصحابه ، فرأيتُ أن ديني دين اليهود خيرٌ من دينه .

قال : فوجمَ النقيبُ ، وأطرق إلى الأرض ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال لليهوديِّ : صدقتَ! مُدَّ يَدَك ، أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أن محمداً رسول الله ، إني تائبٌ عمَّا كنتُ عليه من هذا الأمرِ الذي ذكرت . فقال اليهوديُّ عندَ ذلك : وأنا أيضاً أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، وأنَّ كل دين غيرَ الإسلام باطل . وأسلم ، وحسن إسلامه ، وتاب النقيب عن الرَّفض ، وحسنت توبته[1] فانظر ـ رحمك الله! ـ هذه الحكاية الحسنة ، وما فيها من الموعظة لمن له عقل ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكيف يسمع مسلم يدَّعي الإيمان باللهِ ورسولهِ ـ ﷺ ـ ومحبَّته ، وموالاته ، ثمَّ

---

(١) هذه القصة أوردها ابن حجر في الزواجر (٢/ ٢٢١) باختلاف يسير بالألفاظ وقال : وإنما أسلم النقيب لأن من سب عائشة رضي الله عنها كفر إجماعاً .

يطعن في أزواجه وأصحابه مع نصه ـ ﷺ ـ على أنَّها ـ رضي الله عنها ـ وأباها أحبُّ الناس إليه.

كما ثبت في «صحيح البخاريِّ» عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة» قلت: ومن الرجال. قال: «أبوها»[1].

أو ما سمعت قول الله ـ عز وجلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣] فأيُّ وعيد أعظم من هذا، وهذا في حقِّها ـ رضي الله عنها ـ إذ هي أمُّ المؤمنات المحصنات منزلةً عند الله وعندَ رسوله من هذه الأمَّة. وعدَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ مَنْ رماها بالفجور باللعنة في الدُّنيا والآخرة، والعذاب العظيم في الآخرة؛ إلا أن يتوب إلى الله عزَّ وجلَّ.

قال أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «كان النبيُّ ـ ﷺ ـ قد تزوَّج أول نسائه خديجة، ثمَّ عائشة، ثمَّ حفصة، ثم أم سلمة، ثمَّ أم حبيبة، ثم زينب بنت جحش، ثمَّ جويرية، ثمَّ صفيَّة، ثم ميمونة، فلما كان واجبُ القسمة يحتاج إلى مراعاة الوقت، وخاطره الكريم ـ ﷺ ـ لا يحتمل؛ جاءه التَّخفيف بقوله: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ [الأحزاب: ٥١] ولم يكن عنده ـ ﷺ ـ آثرَ من عائشة، ولا أعلى منزلةً منها، تزوجها وهي بنتُ ستٍّ سنين وبنى بها وهي بنت تسع، وانفردت ـ رضي الله عنها ـ بخمس عشرة منقبة:

جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ بصورتها قبل أن يتزوجها في سَرَقةٍ من حرير، وقال: هذه زوجتك[2] ولم يتزوج بكراً غيرها، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرها، وكانت أحبَّ النساء إليه، وكان أبوها أعزَّ الرجال عليه.

ولم ينزل الوحي عليه في لحاف امرأةٍ غيرها[3].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) ومسلم رقم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري رقم (٥٠٧٨) و(٧٠١١) ومسلم رقم (٢٤٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) رواه البخاري رقم (٣٧٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ونزل من السَّماء عذرها وبراءتها[1] ووهبت لها سودة يومها ، فكان لها من رسول الله ـ ﷺ ـ يومان وليلتان سوى باقي نسائه ، وكانت تغضب فيترضّاها .

وقُبض ﷺ بين سحرها ونحرها ، واتفق ذلك في ليلتها ، وخالط في آخر أنفاسه ريقه ريقها[2] ودُفنَ في منزلها ، ولم تَرْوِ عنه امرأةٌ أكثر منها ، ولا بلغت علوم النساء علمها ، فإنها روت ألف حديث ومئتي حديث .

قال أبو موسى ـ رضي الله عنه : ما أشكل علينا أصحابَ محمد ـ ﷺ ـ حديثُ قطُّ إلا وجدنا عندها منه علماً[3] .

ولقد كانت الفصاحة طبعها من غير تكلفٍ ، وكانت ـ رضي الله عنها ـ غزيرة الكرم ، قسمت سبعين ألفاً من مالٍ بعث به إليها الزبير ، ودرعها مرقوعٌ ، ولقد شاع حبُّ الرَّسول ﷺ لها ، حتَّى كان الناس يتحرَّون بهداياهم يومها ، وما كان الرسول يحبُّ إلا طيباً .

أتظن الرافضة أنَّ فراسة النبوة تُخطىء ، كلا والله المعطي! ولقد قدَّمها على النساء بمزيةٍ كفضل الثريد على سائر الطَّعام ـ يعني: ثريد اللحم ـ وكشف عن بصرها حتى أبصرت جبريل ـ عليه السلام ـ فقال للرسول ـ ﷺ ـ: سلِّم عليها! فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ: يا عائشة! هذا جبريل يَقرأُ عليك السَّلام[4] عجباً لجبريل ـ عليه السلام ـ واجه مريم بالخطاب ، واحترم ذلك الجناب ، وما ذاك إلا لأنَّ مريم كانت من الأزواج خالية ، وهذه بنسبة الرسول حالية ، فمن احترمها لبيان صيانتها جبريلُ؛ كيف يصح عليها الزُّور والأباطيل ، لما جرى القدر ، تكون آسية زوجة نبيِّنا في الجنَّة كفت كف الغيرة ، كف فرعون عنها هذا وأنكحة الكفار صحيحة ،

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (١٦٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٧٦٨) وأحمد في فضائل الصحابة رقم (١٦٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها وإسناده صحيح .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨٧٧) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (١٥١٧٣) ومسلم رقم (٦٣٨ و٢١٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

فكيف لا تصان زوجته في الدنيا والآخرة عمَّا قاله فيها أهل الإفك والفجور ، بل هو بهتان وزور ، وسلَّ لسانه أيَّ سلول .

ولم يتبين لها إلا تغير الرسول ، ما علمت في الحال إلا في حالٍ قول بعض النساء لها : تعس مسطح ، فقالت : وماله ، فأخبرتها بقول أهل الإفك ، فاستأذنت الرسول في الذهاب إلى بيتِ أبويْها ؛ ليتبيَّن الحال ، فقالت لأمِّها : يا أمَّاه! ما يقولُ الناس؟ فقالت : لها : يا بنية! لا بأسَ عليك حسد الضرائر لا يضرُّ ، فما زالت ترفع إلى ربِّها قصص الغصص مسطورة بمداد الدمع إلى أن دخل الرَّسولُ ﷺ عليها ، فجلس ، فقال : يا عائشة! إن كنت ألممت بذنب ؛ فاستغفري الله ، ثمَّ توبي إليه! فقالت لأمِّها : يا أماه! أجيبي عني رسولَ الله ـ ﷺ ـ فلم تدرِ ما تقول ، فصاحت : فصبرٌ جميلٌ والله المستعان ، فقابلتها قبلة من يجيب المضطر إذا دعاه ، فَنزل الوحي من الله على لسان جبريل ببراءتها من السَّماء(١) .

فيا أيها السُّنِّي لا تغفل عن حبِّ حبيبة الرسول ـ ﷺ ـ ولا تتناساها ، واحفظ فضائلها ، فما أعظمها وأوفاها ، لقد سعد من أمَّ أمّ الأمَّة بالمحبة ووالاها ، وبَعُدَ مَنْ تنقصها جهلاً منه ، وعاداها ، فما أوفى مناقبها! وما أسنى مراتبها وأعلاها! حازت فنون العلم والآداب ، فمن ذا الذي قاربها وداناها ، لو لم يكن من فضلها غير حبِّ الرسول لها لكفاها ، ما شانها شأن الإفك ولا وهاها ، لقد أنزل براءتها من السماء سيّدُها ومولاها ، آيات تُتلى من الملأ الأعلى من جرَّاها ، ما أحلى ما يتغنَّى بها السُّنِّيُّ إذا تلاها . ليت شعري كيف يقرأ هذه الآيات مَنْ يعيبها ويشناها (٢)، لو يستطيع الرَّافضيُّ محوها من المصحف محاها ، ما كان نبينا ـ ﷺ ـ يقدِّم عليها في المحبَّة سواها ، فقيل له : من أحب الناس إليك؟ فسمَّاها . ما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها ، فسبحان من أعطاها . تزوَّجها صغيرةً ، فعلمها آداب النبوَّة وربَّاها ، ذَكر محمد بن الزبير عن الزُّهري في أحاديث رواها : أنَّ أوَّل حبٍّ كان في الإسلام حبُّ الرَّسول إيَّاها . وروى البخاريُّ في «صحيحه» بأسانيد يرضاها : أنَّ جبريل جاء بها الرَّسول في سَرَقَةٍ من حريرٍ فجلاَّها . يا عجباً لقلوب مبغضيها ما أعماها! إما أن تُشبه زوجها وإما أن تشبه أباها» .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٧٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) يشناها : أي : يبغضها .

فصل

وقد أنشد بعض العلماء ، وهو الشَّيخ الإمام ، العالم ، العامل كمال الدين ابن العديم[1] قاضي حلب ـ رحمه الله تعالى ـ في مدح الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفضلها ، والردّ على من انتقصها ، أو بغضها ، قال :

مَا شأنُ أمِّ المؤمنينَ وشَاني ... هُدِيَ المحبُّ لها وضلَّ الشَّاني
إنِّي أقولُ مُبَيِّناً عَنْ فَضْلِها ... ومُترجماً عَنْ قوْلها بلساني
يا مبغضي لا تأتِ قبرَ مُحمَّدٍ ... البيتُ بيتي ، والمكانُ مكاني
إنِّي خُصِصْتُ على نساءِ محمَّدٍ ... بصفاتِ برٍ تحتهنَّ معاني
وسَبَقْتُهُنَّ إلى فضائلَ كلِّها ... فالسَّبقُ سبقي والعنانُ عناني
قُبِضَ النبيُّ وماتَ بينَ تَرائبي ... فاليومُ يومي ، والزَّمانُ زماني
زوجي رسولُ الله لم أرَ غيرَه ... اللهُ زوَّجني بهِ وحَبَانِي
أنا بكرةُ العذرا وعند يساره ... وضجيعةُ في منزل العمراني
وأتاه جبريلُ الأمينُ بصورتي ... فأحبَّني المختارُ حينَ رآني
وتكلَّم اللهُ العظيمُ بحجَّتي ... وبرَّاني في مُحْكَمِ القُرآنِ
وأُللهِ عظَّمني وعظَّم حُرْمَتِي ... على لسانِ نبيِّه برَّاني
والله في القُرآن قد لعنَ الذي ... بعدَ البراءةِ بالقبيحِ رماني
والله وبّخَ مَنْ أراد نقيصتي ... إفكاً وسبَّحَ نفسَه في شاني
إنِّي لَمُحْصَنَةُ الإزار بريَّةٌ ... ودليلُ حُسْنِ براءتي إحصاني
اللهُ خصَّني بخاتم رُسْلِهِ ... وأذلَّ أهلَ الكُفْرِ والعِصيانِ
وسمعتُ وحيَ اللهِ عندَ مُحَمَّدٍ ... من جبريلَ ونوره يغشاني
أوحي إليه وكنتُ تحتَ ثيابه ... فحنى عليَّ بثوبِهِ وحَبَاني
مَنْ ذا يفاخرُني وينكِرُ صحبتي ... ومحمَّدٌ في حِجْرِه ربَّاني
وأنا ابنةُ الصِّدِّيق صاحبُ أحمدٍ ... وحبيبُه في السرِّ والإعلانِ
وأخذتُ عن أبويَّ دينَ محمَّدٍ ... وهما على الإسلام مُصْطَحِبَانِ
فالفخرُ فخري والخلافةُ في أبي ... حسبي بهذا مَفْخَرٌ وكفاني

---

(١) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي مؤرخ ، محدّث ، من الكتاب ولد سنة ٥٨٨ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ.

وأبـي أقـامَ الـدِّيـنَ بعـدَ محمَّـدٍ ... فـالنَّصـل نَصْلِـي والسِّنـانُ سِنـانِـي
نصَـرَ النَّبـيَّ بمـالِـهِ وبنفسِـهِ ... وخـروجُـه معـه مـن الأوطـانِ
ثـانيـهِ فـي الغـارِ الـذي سـدَّ الكُـوَىٰ ... بـردائِـهِ أكـرمْ بـهِ مِـنْ ثـانـي
وجفـا الغِنَـى حتـى تخلَّـلَ بـالعَبَـا ... زُهْـداً وأطعـن أيَّمـا إطعـانِ
وتخلَّلـتْ معـه مـلائكـةُ السَّمـا ... وأَتَتْـهُ بُشْـرَىٰ الله بـالـرضـوانِ
وهـو الـذي لـم يخشَ لـومـةَ لائـمٍ ... فـي قتـلِ أهـلِ الكُفْـرِ والطُّغْيـانِ
قَتَـل الـذيـن منعـوا الـزكـاةَ بجهلهـم ... وأذلَّ أهـلَ البغـي والعـدوانِ
سبـق الصحـابـةَ والقـرابـةَ بـالهُـدَى ... هـو شيخُهـم فـي العَـدْلِ والإحسـانِ
واللهِ مـا سبقـوا لمثـلِ فضيلـةٍ ... مثـلَ استبـاقِ الخَيْـل يـومَ رهـانِ
إلا وصـار أبـي إلـى عليـائهـا ... فمكـانُـه منهـا أجـلُّ مكـانِ
ويـلٌ لعبـدٍ خـانَ آل محمَّـدٍ ... بعـداوةِ الأزواجِ والأَختـانِ
طـوبى لمـن والـى جماعـةَ صَحْبِهِمْ ... ويكـونُ مـنْ أحبـابِـه العُمَـرَان
حُـبُّ البتـولِ وبعلِهَـا لـمْ يختلِـفْ ... عـن ملـةِ الإسـلامِ فيـه اثنـانِ
أكـرمْ بـأربعـةٍ أئمـةُ شَـرْعِنَـا ... فهـمُ لبيـتِ الـدِّيـنَ كـالأركـانِ
نُسِجَـتْ مـودتُهـم سـدىً فـي لُحْمَـةٍ ... فَبِنـاؤهـا مِـنْ أثبـتِ البُنْيَـانِ
رُحَمَـاءُ بينهـمُ صَفَـتْ أخـلاقُهـم ... وخلـتْ قلـوبُهـمُ مـن الشنـآنِ
هـم كـالأصابـع في اليديـن تـواصلتْ ... هـل يستـوي كـفٌّ بغيـرِ بَنَـانِ
اللهُ أَلَّـفَ بيـنَ ودِّ قلـوبِهِـمْ ... فـي بَغْـضِ كـلِّ منـافـقٍ طعّـانِ
ودخـولُـه بيـنَ الأحبّـةِ كلفـةٌ ... وَسِبَـابُهـم سَبَـبٌ إلـى الحِـرْمَـانِ
وإذا أراد اللهُ نصـرةَ عَبْـدِهِ ... مَـنْ ذا يطيـقُ لهـم علـى خـذلان
جمـعَ الإلـهُ المـؤمنيـنَ علـى أبـي ... واستبـدلـوا مـن خَـوْفِهِـمْ بـأمـانِ
مَـنْ حبّنـي فَلْيَجْتَنِـبْ مِـنْ سَبِّنِـي ... إن كـان صـانَ محبّتـي ورعـانـي
وإذا مُحِبِّـي قـد ألـمَّ بِمُبْغِضِـي ... فكـلاهمـا فـي بُغضتـي سيَّـانِ
إنِّـي لَطيبـةٌ خُلِقْـتُ لطيِّـبٍ ... ونسـاءُ أحمـدَ أطيـبُ النسـوانِ
إنِّـي لأُمُّ المـؤمنيـنَ فَمَـنْ أبـى ... حُبِّـي فسـوفَ يبـوءُ بـالخُسْـرانِ
واللهُ حببَّنـي لقلـب نبيِّـهِ ... وعلـى الصِّراط المستقيـم هَـدَانـي
واللهُ يكـرِمُ مَـنْ أرادَ كـرامتـي ... ويُهيـنُ رَبِّـي مَـنْ أرادَ هَـوَانِـي
واللهُ أسـألُـهُ زيـادةَ فَضْلِـهِ ... وَحَمْـدتُـه شُكـراً لمـا أولانـي

يـا مَـنْ يلـوذُ بـأهـلِ بيـتِ محمَّـدٍ يَـرْجـو بـذلـك رحمـةَ الـرَّحمـانِ
صِـلْ أمهـاتِ المـؤمنيـنَ ولا تَحِـدْ عَنِّـي ، فتُسلـبَ حُلَّـةَ الإيمـانِ
خـذهـا إليـكَ فـإنَّمـا هـي رَوْضَـةٌ محفـوفـةٌ بـالـرَّوح والـرَّيحـانِ
صلَّـى إلالـهُ علـى النبـيِّ وآلـه فَبِهِـمْ تتـمُّ أزاهـرُ البُستـانِ
تَجْلِـي النُّفـوسَ إذا تـلاهـا مسلـمٌ وعلـى الـرَّوافِـضِ لعنـةُ الـرَّحْمٰـنِ

تمَّتْ القصيدة في فضل الصِّديقة بنت الصدِّيق ـ رضي الله عنها ـ وعن أبيها ، وأمِّها ، وأخيها ، وجميع محبيها .

فصل

في ذكر ما جرى وما وقع من أنواع العذاب والنَّكال فيمن سبَّ أحداً من الصحابة ، أو انتقصه ، وما ينزل به عند موته ، مع ما يُدَّخَرُ له في الآخرة من سوء العذاب .

من ذلك : ما رُوي : أن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بينما هو يمشي ؛ إذا سمع رجلاً يشتمُ عليّاً ، وطلحة ، والزبير ، فقال له سعد : إنَّك لتشتم قوماً قد سبقَ لهم من الله ما سبق ، والله لتكفنَّ عن شتمهم ، أو لأدعونَّ الله عليك !

فقال الرَّجل : أتخوفني بدعائك أنّك نبيٌّ ؟!

فقال سعد : اللهمَّ ! إن كان هذا يسبُّ أقواماً قد سبق لهم منك ما قد سبق ؛ فاجعله اليوم نكالاً . قال : فجاءت بُختيةٌ[1] نادَّة ـ أي : شاردة ـ فأفرج عنها الناس هرباً منها ، فأقبلت إلى الرَّجل ، فخبطته بين رجليها حتى مات ، ثم ولَّت ، فجاء الناس إلى سعدٍ ـ رضي الله عنه ـ يقولون : قد استجاب الله دعاءك[2] .

ومن ذلك : ما قدَّمناه[3] عن محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ قال : كنتُ أطوفُ بالكعبة ؛ فإذا رجلٌ يقول : اللهم اغفر لي ! وما أظنُّ أن تفعلَ ! قال : فقلتُ له : يا عبدَ الله ! ما سمعتُ أحداً يقول كما تقول ! فقال ذنبي عظيم ! فقلت له : وما هو ؟

---

(١) البختية الأنثى من الجمال البخت . وهي جمال خراسانية طوال الأعناق وهي معدَّية .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١/ ١٤٠) رقم (٣٠٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥٤) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣) ص (٣٢٣) .

قال: إني قد أعطيتُ اللهَ عهداً إن قدرتُ أن ألطم وجه عثمان بن عفَّان؛ لطمته، فلما قُتل ووضع على سريره في بيتِه والناس يصلُّون عليه، فوجدتُ خلوةً، فرفعتُ الثوب عن وجهه، فلطمته، وتنحيت عنه، فيبست يدي، فهي كما ترى، وأخرج يده فإذا هي سوداء يابسة، وفي لفظٍ آخر: فرأتني امرأة من أهله، فقالت: أيبسَ اللهُ يدك، ولا غفرَ لك! قال: فيدي كما ترى يابسة، وما أظنُّ أن يغفر لي حكاه ابن أبي الدنيا فيمن استجاب الله دعاءه وغيره.

ومن ذلك: ما ذكر عن عمَّار بن سيف الضبِّي، قال: خرجنا غزاةً في البحر، فكان معنا في مركب رجل، فأقبلَ يَشتمُ أبا بكرٍ، وعمر، فنهيناه، فلم ينته، وزجرناهُ، فلم ينزجر، ونحن في جزيرةٍ في البحر، فخرجنا إليها، وتفرَّقنا فيها، نريدُ الوضوء والصَّلاة، فقال لنا قائل: إنَّ الدَّبْرَ - يعني: الزنابير - وقعت على الرَّجل الذي يَشتمُ أبا بكرٍ وعمر، فما برحت عنه حتى قتلته مكانه، فجئنا إليه، وهو ميِّتٌ، فعجبنا من ذلك، والزنابير طائرة عليه وحوله، ولم تضرنا نحن، فعلمنا: أنها مأمورة، فأقبل قومٌ من جماعتنا يحفرونَ له قبراً، فصلبتِ الأرض عليهم، فلم يقدروا، فتركنا عليه حجارةً، وانصرفنا[1].

ومن ذلك: ما روى عمر بن الحكم عن عمِّه قال: خرجنا نريدُ مُكران[2] ومعنا رجلٌ يسبُّ أبا بكرٍ وعمر - رضي الله عنهما - فنهيناه، فلم ينته، فانطلق يقضي حاجَته، فوقع عليه الدَّبْرُ، فلم تُقلع عنه حتى قطَّعته، وماتَ مكانه.

وقال بشير بن الخصيب: كنت رجلاً تاجراً موسراً، وأسكن مدائن كسرى في زمنِ طاعون ابن هُبَيْرة، فأتاني أجير لي يُدعى: أشرف، فذكر: أنَّ رجلاً ميتاً في بعض الخانات، فركبت دابتي حتى دخلت عليه، فإذا هو مسجًّى، على بطنه لبنةٌ، وعنده نفرٌ من أصحابه، فذكروا من عبادته وفضله، فبعثت اشتري له كفناً، وبعثنا إلى حافرٍ يحفر له قبراً، وجلسنا نُغَسِّلُه؛ إذ وثب الميتُ وثبةً، وطاحت

---

(١) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي ص (٩٧) من كلام عمار بن سيف الضبي موقوفاً عليه.

(٢) مُكران: ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى. وهي معدن الفانيذ ومنها ينقل إلى جميع البلدان. وهذه الولاية بين كرمان. من غربيها وسجستان شماليها. والبحر جنوبها. والهند في شرقيها. افتتحت في خلافة عليٍّ رضي الله عنه. وسميت بمكران. بمركان بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام - معجم البلدان ٥/ ١٨٠.

اللبنة عن بطنهِ ، وصرخ بالويل والثبور ، وجعل يقول : النَّارَ! النَّارَ! فتفرقَ أصحابُه عنه ، فدنوت أنا إليه حتى أخذتُ بعضدِه ، فهززته ، وقلت له : ما رأيت ، وما حالك؟ فقال : وما حالي! صحبتُ مشيخة من أهل الكوفة ، فأدخلوني في أهوائِهم ورأيهم من سبِّ أبي بكرٍ وعمر ، والبراءة منهما . قال : فقلت له : استغفر الله ولا تعد! فقال : وما ينفعني وقد انطلق بي إلى مدخلهم من النار فرأيته ، ثمَّ قيل لي : إنَّك سترجع إلى أصحابك فحدثهم بما رأيت ، ثمَّ تعود إلى مقعدك ، ثم عاد ميتاً . قال : فأخذت الكفن ، ورجعت . فقال لي أصحابه : ما شأنه؟ فذكرت لهم ما قال ، ثمَّ قلت : والله! لا غسَّلْتُه ، ولا كفنته ، ولا صليت عليه ، ثم انصرفت[1] .

أخرج ابنُ أبي الدنيا بسنده عن خلف بن حوشب ، قال : مات رجلٌ بالمدائن ، فلمَّا غطَّوا عليه ثوبه ؛ تحرَّك ، وقال : قومٌ مخضَّبةٌ لحاهم في هذا المسجد ـ يعنى مسجد المدائن ـ يلعنون أبا بكر ، وعمر ، ويتبرؤون منهما ، فالذين جاؤوني يقبضون روحي يلعنونهم ، ويتبرؤون منهم . فقلنا له : لعلَّك بُليت بشيءٍ من ذلك؟ فقال : استغفرُ الله ، وأتوبُ إليه ، ثمَّ مات[2] .

قال ابن أبي الدُّنيا : وحدثني سُويد بن سعيد عن المُحيَّاةِ التَّيمي قال : حدَّثني مؤذنٌ لنا ، قال : خرجتُ أنا وعمِّي إلى مُكران ، فكان معنا رجلٌ يسبُّ أبا بكرٍ ، وعمر ، فنهيناه ، فلم ينته ، فقلنا له : اعتزلنا ، فاعتزلنا ، فلمَّا دنا خُرُوجُنا ؛ ندِمنا على مفارقتِه لشجاعته ، فقلنا : لو صحبنا حتى نرجعَ إلى بلدنا ، فلقينا غلامَه ، فقلنا له : قل لمولاك يرجعُ إلينا ، فقال : إنَّه قد حدث به حدثُ سوءٍ ، قد تحوَّلت يداه يدُ خنزير! قال : فذهبنا معه إلى منزله ، فقلنا : يا فلان! فقال : إنَّه قد حدث بي أمرٌ عظيمٌ ، ثمَّ أخرجَ إلينا ذراعيه ، فإذا هما ذراعا خنزير ، ثمَّ حوَّل متاعه إلينا ، وصحبنا ، فلما انتهينا إلى قريةٍ من قرى السَّواد كثيرةِ الخنازير ، فلما رآها ، صاح صيحة ، ووثب بينهم ، فمُسخَ خنزيراً ، وخفي علينا . قال : فجئنا بغلامه إلى

---

(١) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي في كتابه النهي عن سب الأصحاب ص (٩٠ و٩١) وانظر لسان الميزان (٦/ ١٧١) .

(٢) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي ص (٩١) من كلام خلف بن حوشب وخلف بن حوشب الكوفي قال في التقريب ثقة .

الكوفة[1]. أخرجه الإمام ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي رحمه الله.

وحكى الشيخ كمالُ الدين ابن العديم في «تاريخِ حلب»، قال: لمَّا مات ابن منير بحلب خرج جماعةٌ من أحداثِ حلب يتفرَّجونَ ظاهر حلب، فقال بعضُهم لبعض: قد سمعنا: أنَّه لا يموت أحدٌ يسبُّ أبا بكرٍ وعمر ـ رضي الله عنهما ـ إلا ومسخه اللهُ خنزيراً في قبره، ولا نشك أن ابن منير كان يسبهما، فأجمع رأيهم على المضي إلى قبره، قال أبو طالب، وهو مخبر هذه القضية، وكان قيِّماً بجامع حلب، قال: فمضينا جميعاً إلى قبره، ونبشناه، فوجدنا صورته صورة خنزير، ووجهه منحرف عن القبلة إلى جهة الشَّمال، فأخرجناه على شفير قبره؛ ليراه الناس، ثم بدا لنا فأحرقناه، ورددناه في القبر، وأعدنا عليه التراب، وانصرفنا.

وقال الحافظ ضياء الدين: حدثني أبو طالب عن الشيخ محمد النوري قال: كنتُ بالموصل، وكانت أمُّ صاحبِ الموصل تعتقدُ فيَّ، وكان ابنُها يجيء إليَّ في بعضِ الأوقات، قال: فخرجتُ بعض الليالي، فطفتُ في المقابر، فإذا مقبرةٌ مُبيضةٌ، وعليها بابٌ حجر، فإذا أنا أسمع فيها صوتاً، كتهاريش الكلاب، فجئتُ إلى بابها، فتقاويت عليه، ففتحته، فإذا فيها قبران، ولم أر كلاباً، فخرجت، فسمعت منها ذلك الصَّوت، فبقيت متعجباً، فرجعت إلى المنزل، فجاء صاحب الموصل إلى عندنا، فدار الحديث بيننا، وذكروا الروافض، فقالوا: ما كان عندنا منهم إلا الخادم فلان، ووزير صاحب ما زَنْدران جاءا إلى هنا، وماتا، وهما مدفونان ها هنا بمقبرةٍ لهما. قال: فقلت أين هي؟ فقالوا: المقبرة البيضاء، فقلت: لقد جرى لي كيتَ وكيت، ولو كان لي قدرةٌ؛ لنبشتهما! فقال صاحب الموصل: أن أنبش عنهما! قال: فأمر بهما، فنبشا، فإذا هما خنزيران في قبريهما[2].

وحكى الشيخ مسعود بن ممدود الهكَّاري قال: كنتُ أخدُمُ مع ميمونٍ القصري بحلب، فجرى ذكرُ الرافضة يوماً عندَه، فقيل له: إذا مات منهم أحدٌ؛ تغيَّرت

---

(١) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي ص (٩٢) وأوردها النبهاني في سعادةِ الدارين ص (١٥٣) من كلام المحياة التيمي موقوفاً عليه.

(٢) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي ص (١٠١) من حديث الشيخ محمد النوري موقوفاً عليه.

خلقَتِهُ خنزيراً ، فأنكر ذلك ميمون القصري ، ثمَّ قال : إذاً عندنا منهم فلان البزدار إن مات؛ أبصرناه! فمات ذلك المذكور ، فقال ميمون : ادفنوه في موضعٍ وحدَه. قال : ثم خرج ميمون بالليل ، وخرجنا معه إلى قبره ، فأمر بنبشه ، فنبش عنه ، فإذا هو خنزير ، فأبصرناه فأمر ميمون بحطبٍ ، ثُم أمر به فأُحرق[1].

قال أبو عبد الله المقدسيُّ: حدثنا حمادُ بن قيراط. ونوح بن يزيد البلخي قالا أخبرنا صفوان قال : اكتريتُ إبلاً إلى الشَّام ، فدخلتُ مسجداً ، فصليتُ فيه خلفَ إمامٍ ، فلما انفتلَ الإمام من صلاتِه؛ أقبل على الناس بوجهه ، وذكر أبا بكرٍ وعمر بسوءٍ ، قال : فخرجتُ من ذلك المسجد ، وذهبتُ في حاجتي ، فلما رجعتُ في العام القابل؛ دخلتُ ذلك المسجد ، فصليتُ خلفَ إمامٍ غيرَ ذلك ، فلمَّا انفتل مَن صلاته؛ أقبلَ على الناس بوجههِ ، فقال : اللهم ارحم أبا بكرٍ وعمر! فقلت لرجلٍ كان يصلِّي إلى جانبي : ما فعل الإمام الذي كان يذكرهما بسوء عام أول؟ فقال لي : إن شئت أن أريكه؟ فقلتُ : نعم! قالّ : فأدخلني داراً ، وأراني كلباً مربوطاً إلى ساريةٍ ، فقال الذي دخل معي للكلب : هذا رجلٌ صلَّى خلفكَ عام أول ، وأنت تشتم أبا بكرٍ وعمر ، فأومأ الكلب برأسه : أن نعم. ثم قال لي الرَّجلُ : يا أخي! قد مسخه الله كما ترى كلباً. ثمَّ تركناه ، وانصرفنا[2].

وحكى الشيخ كمال الدين ابنُ العديم في «تاريخ حلب» ، قال : أخبرني أبو العباس أحمد بن عبد الواحد عن شيخ من الصَّالحين يُعرف بعمر الزعبي ، قال : كنتُ مجاوراً بالمدينة الشريفة مدينة الرسول ـ ﷺ ـ وأنه خرج في بعض السنين في عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية لقراءة المصرع إلى قبَّة العباس ، فسألتُ شيئاً في محبَّة أبي بكرٍ الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ فخرج من الحاضرين رجلٌ ، وقال لي : اجلس حتى نفرغ ، فلما فرغوا؛ أخذني ، فذهبتُ معه إلى داره ، فلمَّا دخلت الدَّار؛ سلَّط عليَّ عبدين ، فكتَّفاني ، وأوجعاني ضرباً ، ثم أمر بقطع لساني ، فقُطع ، ثم قال : اخرج إلى الذي طلبت لأجله ليردَّ عليك لسانك. قال

---

(١) ذكره أبو عبد الله ضياء الدين المقدسي في كتاب النهي عن سب الأصحاب ص (١٠٢) وذكره ابن حجر الهيتمي في الزواجر (٢/ ٢٢٠) بنحوه من كلام الشيخ أبي بكر مسعود بن ممدود الهكَّاري رحمه الله.

(٢) ذكره ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي ص (٩٩) من كلام صفوان موقوفاً عليه.

الرَّاوي ، وهو أحمد بن عبد الواحد : فجاء إلينا مقطوع اللسان ، ثم راح إلى الحُجرة المقدسة ، وجعل يستغيث بالله ، ويقول : يا رسولَ الله! قُطع لساني في محبَّةِ صاحبك ، فإن كان صاحبُك حقًّاً ، فأحبُّ أن يرجع إليَّ لساني ، وباتَ هناك يستغيث بقلبه ، قال : فأخذْتهُ سِنةٌ من النوم ، فنام ، ثم استيقظ ، فوجدَ لسانه في فيه ، كما كان قبلَ قطعه ، ثمَّ عاد في مثل ذلك العام إلى قبَّةِ العباس ، وهم مجتمعون ، وقام قائماً ، وقال بلسانٍ فصيح ، وقوّة جنان : أريد في محبَّة أبي بكر الصِّديق ديناراً مصرياً ، قال : فقال له شابٌ صغير من الحاضرين : اجلس حتَّى نفرغ ، فلما فرغوا أخذني وذهب بي إلى تلك الدار بعينها التي قطع فيها لساني ، فأدخلني إليها ، وأجلسني في مكانٍ مفروش ، وأحضر لي طبقاً فيه طعام ، وواكلني ، ثم رفع الطعام ، ودخل بيتاً ، وجعل يبكي ، قال عمر صاحب القصة : فقمتُ خلفه ؛ لأنظر سبب بكائه ، فرأيتُ في البيتِ قرداً مربوطاً ، وهو ينظر إليه ، ويبكي . قال : فسألتُه عن بكائه فازداد بكاءً . قال : فسكنَّته حتى سكن ، ثم سألته عن القرد ما هو؟ قال : إن حلفتَ لي ألا تحكي هذه الحكاية في المدينة ؛ أخبرتُك! فحلفتُ له بما استحلفني . فقال : اعلم : أنَّه أتانا شخص في العام الماضي ، وطلبَ شيئاً في محبَّة أبي بكرٍ الصديق ـ رضي الله عنه ـ في قبَّة العباس ؛ التي أتيت إلينا فيها مقامك ، وسأل شيئاً في محبَّة أبي بكرٍ الصديق ـ رضي الله عنه ـ وكان أبي من فقهاء الإمامية ، وعلماءِ الشيعة ممَّن يُرجع إلى فُتياه ، وقوله في مذهبه ، فقام إليه ، وأخذه إلى داره ، وسلَّط عليه عبديْن له ، فكتَّفاه ، وأوجعاه ضرباً ، ثمَّ قطعَ لسانه ، وقال له : اذهب إلى الذي طلبتَ لأجله ؛ ليردَّ عليك لسانك . قال : فلما كان في الليل صرخ أبي صرخةً عظيمةً ، فاستفقنا من النوم لصرخته ، وإذا هو قد مُسخ قرداً كما ترى ، فهو هذا . قال : فقمتُ أنا وأهلُ دارنا وجدَّدنا إسلامنا ، وتُبنا إلى الله ، وقلنا : لا نهتكه في النَّاس ، فأظهرنا موته ، وأخذنا خشبةً باليةً تُشبه الآدميَّ ، ولففنا عليه كفناً ، ودفناها ، وكنتُ قد أظهرتُ للناس أن لا يتولى غسله ودفنه إلا أنا ووالدتي ؛ لكي لا يطَّلع عليه أحد .

قال صاحبُ القصة : فقلتُ للشَّابِّ : وأنا أُزيدك زيادةً تعرفُ بها شرفَ أبي بكرٍ ، وفضله ، وقربَ منزلته من الله ورسولِه ، وهو أنِّي أنا الشَّخص الذي قطعَ أبوك لساني ، فرحتُ من عنده إلى الحجرة الشريفة ، واستغثت ، ودعوتُ الله بقلبي ،

وقلتُ: يا رسول الله! قطع لساني في محبَّة صاحبك أبي بكرٍ ، فإن كان صاحبُك وحبيبك حقّاً فأريد أن يردَّ الله إليَّ لساني ، فنمت هناك ، ثم استيقظتُ وقدْ رَدَّ الله عليَّ لساني. قال: فاكبَّ عليَّ الشابُّ يُقبل رأسي ، ويدي ، وأعطاني ديناراً ، وثوباً ، وكان يفتقدني بالبرِّ والإحسان مدَّة مقامي بالمدينة.

وحكى الشيخ الحافظ أبو طاهر السِّلفي نزيل الإسكندرية بسندهِ إلى يحيى بن عطاف المعدل: أنه حكى عن شيخ دمشقي ، جاور بالحجاز سنين ، قال: جاورتُ بالمدينة سنةً مُجدبةً ، فخرجتُ يوماً إلى السَّوق لأشتري دقيقاً برُباعي. قال: فأخذَ الدقيق والرباعي منِّي ، وقال: العن الشيخين حتى أبيعَك الدَّقيق. قال: فامتنعتُ من ذلك. قال: فراجعني مرَّاتٍ ، وهو يضحك ، فضجرتُ منه ، وقلتُ: لعنَ اللهُ من يلعنهما! قال: فلطم عيني ، فسالت على خدِّي ، فرجعتُ إلى المسجد ، وكان لي صديقٌ من مَيّافارقين[1] جاور بالمدينة سنين ، فسألني عمَّا جرى لي ، فأخبرته فقام معي إلى الحجرة المقدسة ، وقال: السَّلام عليك يا رسول الله! قد جئناك مظلومين ، فخذ بثأرنا ، ثم رجعنا ، فلمَّا جنَّ الليل نمتُ ، فلما استيقظتُ؛ وجدتُ عيني صحيحة أحسن ممَّا كانت ، وإذا برجلٍ مبرقع يُسأل عنِّي ، فَدُلَّ عليَّ ، فجاء ، وسلَّم عليَّ ، وقال: ناشدتُك الله إلا جعلتني في حلٍّ ، فأنا الرَّجل الذي لطمتك! فقلت: لا أُحِلُّكَ حتَّى تذكر لي قصتك! فقال: نمتُ البارحة ، فرأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ قد أقبل ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعليٌّ ، فتقدمتُ ، وقلتُ: السَّلام عليكم ، فقال عليٌّ: لا سلَّم اللهُ عليك ، و لا رضي عنك! أنا أمرتُك أن

---

(١) ميافارقين أشهر مدينة بدياربكر قالوا: سميت بميا بنت لأنها أول من بناها. وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارجين. لأنها كانت أحسنت حندقها فسُميت بذلك. وبعد أن فتحت الشام. وجاء طاعون عمواس. ومات أبو عبيدة بن الجراح أنفذ عمر رضي الله عنه عياض بن غنم بجيش كثيف إلى أرض الجزيرة فجعل يفتحها موضعاً موضعاً. وقيل إن خالد بن الوليد والأشتر النخعي سارا إلى ميافارقين في جيش كثيف فنازلاهما فيقال: إنها فُتحت عِنوة. وقيل صلحاً على خمسين ألف دينار على كل محتلم أربعة دنانير ، وكان المسلمون لما نزلوا عليها نزلوا بمرج هناك على يمين ماء فنصبوا رماحهم هناك بالمرج ، فسمى ذلك الموضع عين البيضة إلى الآن. وإياها عنى المتنبي في قوله يصف جيشاً:

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه ... على الفارس المرخي الذؤابة منهم

معجم البلدان (٦/ ٢٣٨).

تلعن الشيخين؟ ثم أدخل أصبعه في عيني ، ففقأها ، فانتبهت وعيني كما ترى ، وأنا أسألك التجاوز عنِّي ، وأنا تائبٌ إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ. قال: فحين قال لي ذلك؛ قلت: اذهب ، فأنت في حلٍّ من قِبلي؛ لأجل توبتك.

وحكى الإمام اللالكائي في كتاب «شرح السُّنَّة» له ، قال: كان ببغداد رجلٌ ديلمي من مقدمي الحُسين بن يوده ، وكان شديدَ الرَّفض ، فأخبرَ عنه رجل يُقال له: أبو علي الدَّقاق ، قال: خرجت يوماً في موسم الحاج ، وقد أراد النَّاس الخروج للحج ، فبقيتُ أنا أمشي أنظر إلى الحجاج؛ وإذا غلامٌ أسود يُناديني ، فقلتُ: ما تريد؟ قال: أنت تحجُّ هذه السَّنة! قا تُ: لم يتفق لي حجٌّ ، ولا معي نفقة ، وأنا مشتاق! فقال: تعالى معي. فمضيتُ معه إلى سيِّده ، فقصَّ عليه أمري. فقال سيِّده: أنا أُعطيك عشرين ديناراً ، أصلح أمورك بها للحجِّ ، وإذا أردتَ الرَّحيل فأرني وجهك لأوصيك بوصيةٍ. قال: فأخذتُ الدنانير ، وذهبتُ ، فأصلحتُ شأني ، وهيَّأتُ أموري ، ثم رجعتُ إليه ، فقال لي: هذه الحجَّة لك ، ولا حاجة لي فيها ، لكنِّي أحمِّلكَ رسالة إلى محمَّد ـ ﷺ ـ قلتُ: وما هي؟ قال: قل له: إنِّي بريءٌ من صاحبيك أبي بكرٍ وعمر ، اللذيْن هما معك ، ثم حلَّفني بالطَّلاق ثلاثاً إلا بلَّغتَ هذه الرسالة. قال: فورد عليَّ أمرٌ عظيم ، وخرجتُ من عنده مهموماً حيراناً ، فحججت ، ودخلت المدينة ، وزرت قبر النبيِّ ـ ﷺ ـ وبقيتُ متفكراً: هل أبلِّغ الرسالة ، أم لا؟ وقلت في نفسي إن لم أبلغها؛ طُلقت امرأتي ، وإن بلغتها؛ عظمت مصيبتي ، وخشيتُ من المواجهة بها لرسول الله ـ ﷺ ـ ثمَّ غلب عليَّ القول ، فقلتُ: يا رسول الله! إنَّ فلان ابن فلان يقول كذا ، واغتممت غمَّاً شديداً ، وتنحَّيْتُ عن الحُجرة ، وجلستُ مهموماً من قُبح هذهِ الرِّسالة ، فغلبني النَّوم ، فنمتُ ، فرأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: قد سمعتُ ما قلتَ من الرِّسالة؛ التي أدَّيتها ، فإذا رجعتَ إليه؛ فقل له: أَبشر يا عدوَّ الله بنار جهنم يوم التاسع والعشرين من قدوم الحاج بغداد ، فاستيقظتُ وأنا مغموم ، فلما وصلتُ إلى بغداد؛ جلست أيضاً متفكراً ، وقلت: إنَّ هذا رجل سوء ، فإن أنا بلغتُ رسالةَ رسول الله ـ ﷺ ـ قتلني ، وإن لم أبلِّغه؛ كنتُ قد خُنت رسولَ الله ـ ﷺ ـ فقلتُ: والله لأقولنَّها! ولو كان فيها قتلي. فدخلتُ عليه قبل الدُّخول إلى أهلي ، فما هو إلا أن وقع بصره عليَّ قال لي: يا دقَّاق! ما عملتَ في الرِّسالة؟ قلتُ: أدَّيتها إلى

رسولِ الله ـ ﷺ ـ ولكنِّي قد حمَّلني جوابها! فقال: وما هو؟ فقصصتُ عليه المنام، فقال: إنَّ قتلَ مثلك عليَّ هيِّن، ثمَّ سبَّ، وشتم، وكان في يدِه حربة، فهزَّها في وجهي، وقام إليَّ يريد قتلي، ثم قال: لأتركنَّك إلى اليوم الذي ذكرتَ، ثمَّ لأقتلنَّك! ثم قال لغلامِه: احبسه في الاصطبل، وقيِّده. قال: فَحبسني، وقيّدني، وجاء أهلي، فبكوا عليَّ، ولاموني. فقلتُ: قُضِي الأمرُ الذي كان، ولا أموت إلا بأجلٍ، ولم تزل تمرُّ بيَ الأيام والليالي والناس يفتقدون حالي، ويرحموني ممَّا أنا فيه، فلمَّا كانت الليلة الثامن والعشرون؛ اتَّخذ الدَّيلمي وليمةٌ عظيمةٌ، وأحضر فيها وجوهَ العسكر، وجلس للشُّرب، فلما كان نصفَ الليلِ، جاءني السَّايس، وقال لي: يا دقَّاق! القائد قد أخذتْه حُمَّى عظيمة، وقد تدثَّر بجميع ما في الدَّار وجلس فوقَه الغلمان من فوق الثياب، وهو ينتفض نفضاً عظيماً.

قال: فكان على حاله حتى أصبح، فلمَّا أمسى ليلة التاسع والعشرون؛ دخل السَّايس نصفَ الليل، وقال: يا دقَّاق! مات القائد! فقلتُ: الحمد لله! ثمَّ حلَّ قيدي، فلما أصبحتُ؛ اجتمع النَّاس إليَّ من كلِّ وجهٍ، وأُخرجتُ، ثمَّ طُلبت لأهل القائد وغلمانه، وقصصت عليهم رؤياي، ورسالةَ النبيِّ ـ ﷺ ـ إليه. فرجع جماعةٌ كثيرة عن مذاهبهم الرديَّة، وخُلِّي عنِّي، فأتيتُ أهلي[1].

وحكى المقدسيُّ في كتابه بسنده إلى ابن عُمر عبد الواحد بن أحمد المَلَيْحي: أنَّه قال: دخلتُ على الحاكم أبي عَمرو سعيد بن الحسن النَّسوي بنيسابور، وكان له شيخ يقال له: عيلان، فقالَ الحاكم: يا عيلان! اقصص حديثك على هذا؛ ليكتبه عنك قال: كنتُ في بلدالرمي، وكنت أذكرُ فضائل الشيخين: أبي بكرٍ، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فبلغ ذلك الصاحب الذي كان بها، وكان رافضياً، فأمرَ بأخذي، فهربتُ منه إلى جُرجان، فكنتُ يوماً في سوقِها؛ إذا أنا بقوم جاؤوا، وشدُّوني على جمازةٍ، فحملتُ إلى الرَّي، فلما أن دخلتُ عليه أمرَ بقطعِ لساني، فقُطع، فبقيتُ في حالٍ شديدٍ من الألم، وضيق الصَّدر، فلما أن دخل عليَّ الليل، ونمتُ؛ رأيتُ فيما يرى النائمُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ ومعه أبو بكر، وعمر، وجماعةٌ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقال أبو بكر، وعمر: يا رسول الله! هذا

---

(١) ذكره ضياء الدين أبي عبد الله في كتابه (النهي عن سب الأصحاب) من رواية يحيى بن عطاف ص (١٠٣ و١٠٤) وفي سعادة الدارين للنبهاني ص (١٥١).

الذي أُصيب فينا! فدعا لي رسولُ الله ـ ﷺ ـ ونفثَ في فمي ، فانتبهتُ ، وليسَ بي من الوجع ، ورُدَّ عليَّ الكلام ، فخرجتُ إلى همذان ، وكانوا أهل سنَّة ، فقصصتُ عليهم قصتي ، فظهر لي هناك قَبول ، ومكثتُ فيها مدَّةً أنشرُ فضائلَ الشيخين . قال المليحي : ثم فتحَ له عيلان فمهُ ، فما رأيتُ فيه لساناً ، وكان يكلمنا بغير لسانٍ بكلامٍ فصيحٍ ، كما يتكلَّم ذو اللِّسان[1] .

وذكر عن أبي محمَّد الخراساني ، قال : كان عندنا مَلكٌ من ملوك خُراسان ، وكان له خادمٌ يتعبَّدُ ، فلما أخذ الخادم يريد الحجَّ ؛ استأذنَ مولاه في ذلك ، فلم يأذن له ، فقال : إنما استأذنتك في طاعةِ اللهِ ورسولهِ ، فقال له : لستُ آذنُ لكَ حتى تضمن لي حاجةً فإن أنتَ ضمنتَها ؛ أذنتُ لك ، وإلاَّ ؛ فلا . فقال الخادم : وما هي؟ قال : أبعث معك برجالٍ ، وخدمٍ ، ونوقٍ ، وزواجل ، فإذا بلغتَ إلى قبر المصطفى ـ ﷺ ـ فقل : يا رسول الله! مولاي يقول لك : إني بريء من ضجيعيك . قال : فقلت : نعم! ففعل ذلك ، فلمَّا انتهينا إلى مدينةِ الرسول ـ ﷺ ـ أتيتُ القبر الشريف ، فسلَّمتُ على النبيِّ ـ ﷺ ـ وعلى أبي بكرٍ ، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ واستحييتُ من رسول الله ـ ﷺ ـ أنْ أبلِّغه الرسالة ، فجلست في المسجد بإزاءِ القبر ، فنمتُ ، فرأيتُ في المنام كأنَّ حائطَ القبر قد انفتح ، وإذا برسول الله ـ ﷺ ـ قد خرج ، وعليه ثيابٌ خضرٌ ورائحةُ المسك تفوحُ بين يديه ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعليهما ثيابٌ خضر ، وكأن النبيَّ ـ ﷺ ـ يقول لي : مالك لا تؤدِّي الرسالة؟! فقلتُ : يا رسول الله! ـ وقمت قائماً هيبةً له ـ استحييت منكَ أن أُسمعك في ضجيعيك ما قالَ لي مولاي! فقال لي رسول الله ـ ﷺ ـ : اعلم أنَّك تحج وترجعُ سالماً إلى بلدك ، فإذا بلغت إليه ؛ فقل له : النبيُّ ـ ﷺ ـ يقول : إنَّ الله وأنا بريئان ممَّن يتبرأ من ضجيعي ، واعلم : أنَّه يموت في اليوم الرابع من قدومك عليه ، وتخرج في وجهه بثرةٌ عظيمة قبل أن يموت . قال : فلما انتبهت ؛ حمدتُ الله في رؤيتي لرسولِ الله ـ ﷺ ـ وكفايتي الرسالةِ القبيحة . فلما رجعت إلى خراسان سالماً ، وقد جئته بهدايا سنيَّة ، فلمَّا دخلت عليه ؛ سكت عني يومين ، وقال لي في اليوم الثالث : ما صنعتَ في الحاجة التي قلت لك؟ قلتُ قد قضيتُ . قال : هاتها ،

---

(١) ذكره ضياء الدين أبي عبد الله في كتابه (النهي عن سب الأصحاب) ص (١١١) وذكر نحو هذه القصة ابن حجر في الزواجر (٢/ ٢٢٠) نقلاً عن الكمال بن العديم في تاريخ حلب .

فقصصتُ عليه المنام ، فلما بلغتُ إلى قوله : إنّ الله وأنا بريئان ممَّن تبرَّأ منهما ؛ تضاحَكَ ، وقال : تبرَّأنا منهم . وتبرؤوا منا ، واسترحنا ، فقلتُ في نفسي : سوف تعلم يا عدوَّ الله! فلمَّا كان في اليومِ الرابع ؛ ظهرت في وجهه بثرة ، فآلمته ، فلم نصلِّ الظهر إلا وقد دفنّاه(١) .

وحكى المقدسيُّ أيضاً بسنده عن عبد الوهاب ، قال لي رجلٌ : قال لي إنسانٌ لمَّا عزمت على الحجِّ : سلِّم لي على النبيِّ - ﷺ - وقل له : لولا ضجيعاك لزرتُك ، فلما وصلتُ إلى المدينة ، وزرتُ قبر النبيِّ - ﷺ - قلتُ له ذلك ، ثمَّ نمتُ ، فرأيتُ النبيَّ - ﷺ - في النومِ وقال : أبصر هذا الموسى! فأبصرتُه ، ثم قال : زنه ، فوزنتُه ، قالَ : عرفت وزنه؟ قلتُ : نعم . ثم قام النبيُّ - ﷺ - إلى ذلكَ الرَّجلِ الذي أرسلَ معي الرسالة ، فذبحهُ بذلك الموسى فانتبهتُ من نومي ، ثم جئتُ إلى بلدِ ذلك الرَّجل ، فإذا الصياح في دارِه ، فنظرتُ ، فإذا أهلُ القوم معهم السِّلاح ، فقلت : ما الخبر؟ قالوا : فلانٌ أصبح هذه الليلة مذبوحاً ، وقالوا : ما قتله إلا بنو فلان . قال : فقلتُ : أرونيه ، فدخلتُ إليه ، فإذا هو مذبوح ، والموسى الذي رأيتُه مع النبيِّ - ﷺ - إلى جانبهِ ، فأخذتُه ، ووزنتُه ، فإذا هو ذلك الموسى بعينه ، ووزنِه ، فقلتُ للقوم : اتقوا الله! هذا ما قتله إلا النبيُّ - ﷺ - وذكرتُ ما كانَ من أمره ، وحكيتُ لهم المنام بعينه ، فانتهوا عن ذلك ، وكانت هذه القرية بساحلِ عسقلان(٢) .

وحكى أيضاً في كتابه عن حيَّان النحوي ، قال : كان لي صاحبٌ يذكرُ أبا بكرٍ وعمر بسوءٍ ، وأنهاه فلا ينتهي ، إلى أن ذكرهما يوماً ، فقمتُ عنهُ معضَباً ، فاغتممتُ غمَّاً شديداً ، فابتعدتُ عنه ، ولم أرد عليه ، فنمتُ ، فرأيتُ النبيَّ - ﷺ - قد أقبلَ ومعه أبو بكر ، وعمر ، فقمتُ إليه ، وقلتُ : يا رسول الله! إنَّ لي جليساً يؤذيني في هذينِ ، فالتفتَ النبيَّ - ﷺ - إلى رجلٍ قريبٍ منه ، وقال : اذهب إليه ، واذبحه ، فذهبَ إليه الرَّجل ، فذبحهُ ، فانتبهتُ ، وأتيتهُ حتى أقصَّ عليه الرؤيا ، وإذا الصُّراخ في داره ، فقلت ماله؟ قالوا : أصبح مذبوحاً(٣) .

---

(١) أورد هذه القصة النبهاني في سعادة الدارين ص (١٥٢ و١٥٣) .

(٢) ذكرهُ المقدسي في كتابه (النهي عن سب الأصحاب) ص (٩٦) وفيه جهالة الرجل .

(٣) ذكره المقدسي في كتابه النهي عن سبِ الأصحاب ص (٩٧) من كلام حيان النحوي .

وحُكي عن الأعمش[1] ـ رحمةُ الله عليه ـ قال: خرجتُ في ليلةٍ مظلمةٍ أريدُ الجامع، وإذا بشخصٍ قد عارضني في الطريق، فاقشعرَّ جلدي من هيبتِهِ، فقلتُ له: مِنَ الإنس أنتَ أم من الجنِّ؟ فقال: من الجنِّ، من مؤمنيها، فقلتُ: أفيكم من البدع شيء؟ قال: نعم. وأحدِّثك بعجيبةٍ. قلتُ: ما هي؟ قال: وقع بيني وبين عفريت من الجنِّ اختلافٌ في أبي بكرٍ وعمر، فقال العفريت: إنَّ أبا بكرٍ وعمر ظلما عليّاً، واعتديا عليه. قال: فقلتُ له: بمن ترضى أن يحكم بيننا في ذلك؟ قال: إبليس، فأتيناهُ، فلما نظر إلينا؛ ضحك، وقهقه، وقال: فيمَ جئتُماني؟ فذكرنا له ما اختلفنا فيه. ألا أحدثكما بحديثٍ؟ قلنا: بلى! قال: اعلموا أني عبدتُ اللهَ تعالى ألف عام في سماء الدُّنيا، فسُميتُ العابد، ثمَّ رُفعت إلى السَّماء الثانية، فعبدتُ الله تعالى ألف عام أخرى، فسُميتُ الزَّاهد، ثم رُفعتُ إلى السَّماء الثالثة، فعبدتُ الله كذلك، ثم سُميت الراغب، ثم رُفعتُ إلى السَّماء الرابعة، فرأيتُ فيها سبعين ألف صف من الملائكة يستغفرون لمحبي أبي بكروعمر، ثم رُفعت إلى السماء الخامسة، فرأيتُ فيها سبعين ألف صف من الملائكة يلعنون مبغضي أبي بكرٍ وعمر، فهذا ما رأيت في السَّموات، فإن شئتما؛ فأحبوهما، وإن شئتما فأبغضوهما.

فهذا ما أردنا من ذكرِ بعض فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وما جرى لمن تعرَّض لأبي بكرٍ، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ببغضٍ وأذًى من خزي الدنيا ونكالها، مع ما أعدَّ اللهُ له في نار جهنم من العذاب والنَّكال ومع أنَّ من يدخل في شيءٍ من ذلك كان صاحب هوى وبدعة.

وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ وقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد أعان على هدم الإسلام»[2].

---

(١) الأعمش هو سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وحكي عنه وعن ابن عُيينة: قال: سبق الأعمش الناس بأربع. كان أقرأهم للقرآن. وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، توفي رحمه الله سنة (١٤٧)هـ.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (٩٤٦٤) من حديث إبراهيم بن ميسرة، وهو تابعي ..=

وقال بشر الحافي[1] ـ رحمه الله ـ: إذا كان في طريقك صاحب بدعةٍ؛ فغمض عينيك قبل أن تصل إليه.

وقال: من شتم أصحاب محمد ـ ﷺ ـ فهو كافر، وإن صام وصلّى، وزعم: أنَّه مسلم.

وقال الأوزاعي[2]: مَنْ شتم أبا بكرٍ، وعمر؛ فقد ارتدَّ عن دينه.

ونظر ابن سيرين[3] يوماً إلى رجلٍ من أصحابه، وقد رجع من عيادة مريضٍ من أهل الأهواء، فقال له ابن سيرين: قد فسد ما بيني وبينك، إنْ مرضتَ لم أعدك، وإن متَّ لم أشهد جنازتك، ولم أصلِّ عليك، إلا أن تتوب إلى الله! فقال: قد تبتُ!

وبلا ريب عند علماء جميع المسلمين: أن الرافضة هم من أهلِ الأهواء، والبدع؛ لأنَّهم عملوا بأهواء أنفسهم، وابتدعوا أشياء لم يأذنِ الله بها، ولا رسوله، وطعنوا على أصحابِ رسول الله ـ ﷺ ـ فعلى المسلم التابع لسبيلِ

= ثقة حافظ توفي سنة (١٣٢) والحديث مرسل.

ورواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها وفي سنده الحسن بن يحيى أبو عبد الملك الخشني الشامي. قال النسائي: ليس بثقة. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وانظر تهذيب التهذيب (٢/ ٢٨١ و٢٨٢).

ورواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٤٨) ورقم (٧٠٠١) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه وفي إسناده أحمد بن معاوية الباهلي قال ابن عدي: حدث بأباطيل، وكان يسرق الحديث والحديث مجموع طرقه فيها ضعيف.

(١) بشر الحافي هو بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدِّث الزاهد شيخ الإسلام صحب الفضل بن عياض قال إبراهيم الحربي: لو قُسم عقلُ بشر على أهلِ بغداد صاروا عقلاء، توفي يوم الجمعة سنة (٢٢٧)هـ رحمه الله.

(٢) الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام كان يسكن بمحلة الأوزاع وهي العقيبة الصغيرة ظاهر باب الفراديس بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات توفي رحمه الله سنة (١٥٧)هـ.

(٣) محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام. أبو بكر الأنصاري مولى أنس بن مالك رضي الله عنه ولد لسنتين بقينا من خلافة عمر رضي الله عنه سمع أبا هريرة وعمران بن حصين، وابن عباس رضي الله عنهم، كان ابن سيرين فقيهاً عالماً، ورعاً كثير الحديث، صدوقاً توفي رحمه الله سنة (١١٠)هـ.

المؤمنين السَّالكين على الصراطِ المستقيم ، المجانبةُ لتلك الأهواء المعتلَّة ، والآراء المُردية ، ومجانبةُ أهلها أيضاً ، وطلبُ السلامة لدينه ، وحسنُ الاعتقاد في صحابة نبيِّه ـ ﷺ ـ سادات الأمَّة ، ونشر محاسنهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عمَّا شجر بينهم ، وعلى ذلك مضى السَّلف الصَّالحون ، والعلماء العاملون في نشر محاسنهم نظماً ، ونثراً ، فمنهم عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ له قصيدةٌ من جملتها هذه الأبيات في ذكر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ورضي عنَّا بهم ـ فقال :

إنِّي امرؤٌ ليس في ديني لغامزة ... لينٌ ، ولستُ على الأسلافِ طعَّانا
شُغِلْتُ عنْ بغضِ أقوامٍ مضوا سلفاً ... وللرَّسول مَعَ القُرآنِ إخوانا
فما الدُّخول عليهم بالَّذي عَمِلُوا ... بالظنِّ منِّي وقد فرَّطتُ عصيانا
فلا أسبُّ أبا بكرٍ ولا عُمَراً ... ولا أسبُّ معاذ الله عثمانا
ولا ابن عمِّ رسولِ اللهِ أشتمهُ ... ولو أواري لحتم الموت أكفانا
ولا الزبير حواري الرسول ولا ... أهدي لطلحة شتماً عزَّ أوْهَانا
ولا أقول عليٌّ في السَّحاب لقد ... والله قلتُ إذاً إثماً وَعُدْوانا

ولغيره من العلماء هذه الأبيات :

ما للروافض غير شتمهم الصحابة مكسب
أو ذي بها شيطانها ذات الغرور المذهبُ
وهو الذي بعقولها وقلوبها يتلعَّبُ
يا من رأى عجباً وَمَنْ هذا الذي لا يعجبُ
رضي الإله عن الصحابة والروافض تغضب
وتردُّ ما نقل الثقاة وبالكتاب تكذِّبُ
وتروغ عن قصد السبيل كما يروغ الثعلبُ
لا تصغينَّ لشيخهم فهو البعير الأجرب
وأغشُّ من شيخ اليهود إذا بلوت وأكذبُ

وقال غيره :

فحبُّ جماعةِ الأصحابِ ديني ... وديـنُ أبي وأعمامي وخالي
وأعدِلُ عنْ طُغاة الكفر لفظي ... برفضي كلَّ رفضٍ واعتزالي

وقال غيره:

إنَّ مَـنْ لـم يقـدِّم الصِّـدِّيقـا ... لـم يكـنْ لـي حتـى أمـوت صـديقـا

والـذي لا قـال قـولـي فـي ... الفـاروق أنـوى لكشحـه تفـريقـا

ولنـار الجحيـم بـاغـضُ ذي ... النُّـوريـن يهـوي مكـانـاً سحيقـا

مـن تـولّـى عنـدي عليّـا ... وعـاداهـم طـرّاً عـددتـه زنـديقـا

وقال غيره:

حـبُّ النبـيِّ مـن الإيمـان مفتـرضٌ ... وحـبُّ أصحـابـه نـورٌ وإيمـانُ

هم سادة الخلق في دينٍ وفي كرمٍ ... وهـم نجـومٌ وفـرسـانٌ وعنـوانُ

وقال غيره، وهو الشَّافعيُّ رحمةُ الله عليه.

شهـدتُ بـأنّ اللهَ لا شـيءَ غيـرُه ... وأشهـدُ أنَّ البعـثَ حـقٌّ وأخلـصُ

وأنَّ عُـرى الإيمـانِ قـولٌ مبيَّـنٌ ... وفعـلٌ زكـيٌّ قـد يـزيـدُ وينقـصُ

وأنَّ أبـا بكـرٍ خليفـةُ ربِّـه ... وكان أبو حفصٍ على الخير يحرصُ

وأشهـدُ ربـي أنَّ عثمـان فـاضِـلٌ ... وأنَّ عليّـاً فضلُـه متخصِّـصُ

أئمـةُ قـومٍ يُهْتَـدَىٰ بهـداهـمُ ... لحـا الله مَـنْ إيَّـاهـم يتنقَّـصُ

فمـا العتـاةِ يشهـدون سفـاهـةً ... ومـا لسفيـهٍ مـا يحيـص ويحـرص

وما وردَ في الثناءِ على الصحابةِ من الآيات، والأخبارِ، والآثارِ، والأشعار خصوصاً الخلفاء الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ أكثر من أن يُحصر، ذكرنا ما يسَّره الله ـ تعالى ـ وفيه كفاية لمن أراد الله أن يهديَه.

وذكرنا أيضاً لمبغضهم من اللعنة على لسانِ رسول الله ـ ﷺ ـ وماله من الخزي والنَّكال في الدُّنيا والاخرة، وفيه أيضاً كفاية، وموعظةٌ لمن كان له قلب، أو ألقى السَّمع وهو شهيد، وأراد الله به خيراً، وأما المصر على كفره، ومذهبه فلا ينتفع بمجلَّدات، ولو جائتهم كلُّ آيةٍ حتى يروا العذاب الأليم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

اللهمَّ أحينا على حبهم ، وأمتنا وابعثنا لديهم وقربهم ، وأعذنا يا مولانا من بغضهم وسبِّهم ، ولا تجعل لأحدٍ منهم في أعناقنا ظلامة ، واجعلهم شفعاءنا إليك يوم القيامة ، برحمتك يا أرحم الراحمين!

وافق الفراغ من نسخة نهار الخميس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعون وتسعمئة على يد العبد . . .

تم بحمد الله تعالى ، وجميل توفيقه ، وحسن معونته طبع كتاب «تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر»

بتخريج وتعليق العبد الفقير إلى الله العلي القدير طالب العواد

بتاريخ : ١٢/ ٨/ ١٤٢٣ هـ الموافق ١٨/ ٩/ ٢٠٠٢م .

* * *


الفهارس العلمية

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات